

T.C.  
NECMETTİN ERBAKAN ÜNİVERSİTESİ  
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ  
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI  
TEFSİR BİLİM DALI

**KUR'ÂN-I KERİM KISSALARINDA MÜTEŞABİH  
LAFIZLARIN ANLAŞILMASINDA BAĞLAMIN ETKİSİ  
-ADEM, İBRAHİM, İSMAİL VE İSA KISSALARI  
ÇERÇEVESİNDE-**

أثر السياق في فهم المتشابه اللفظي في القصص القرآني  
دراسة تطبيقية على آيات قصص آدم وإبراهيم وإسماعيل وعيسى عليهم السلام

MUHAMMED SAQAAN

YÜKSEK LİSANS TEZİ

DANIŞMAN:  
Prof. Dr. HARUN ÖĞMÜŞ

Konya - 2020



T.C.  
NECMETTİN ERBAKAN ÜNİVERSİTESİ  
Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürlüğü



### Bilimsel Etik Sayfası

Öğrencinin	Adı Soyadı	Muhammed SAQAAN		
	Numarası	17810601204		
	Ana Bilim / Bilim Dalı	Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı – Tefsir Bilim Dalı		
	Programı	Tezli Yüksek Lisans	X	
		Doktora		
Tezin Adı	KUR'ÂN-I KERİM KISSALARINDA MÜTEŞABİH LAFIZLARIN ANLAŞILMASINDA BAĞLAMIN ETKİSİ -ADEM, İBRAHİM, İSMAİL VE İSA KISSALARI ÇERÇEVESİNDE-			

Bu tezin hazırlanmasında bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle riayet edildiğini, tez içindeki bütün bilgilerin etik davranış ve akademik kurallar çerçevesinde elde edilerek sunulduğunu, ayrıca tez yazım kurallarına uygun olarak hazırlanan bu çalışmada başkalarının eserlerinden yararlanılması durumunda bilimsel kurallara uygun olarak atıf yapıldığını bildiririm.

Öğrencinin Adı Soyadı

Muhammed SAQAAN

İmzası

## الملخص

أثر السياق في فهم المتشابه اللفظي في القصص القرآني

- دراسة تطبيقية على آيات قصص آدم وإبراهيم وإسماعيل وعيسى عليهم السلام -

هذه دراسة تبين دور السياق والقراءات في محاولة فهم المتشابه اللفظي أو الفروقات بين الآيات في القرآن الكريم في القصة ذات الموضوع الواحد ضمن نطاق قصص (آدم وإبراهيم وإسماعيل وعيسى عليهم السلام).

تضمنت هذه الدراسة مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. أما المقدمة فقد احتوت على تعريف بطبيعة الموضوع، وأهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، وإشكالية البحث، وأهداف البحث، ومنهج البحث والدراسات السابقة في موضوع البحث.

أما الفصل الأول فقد كان عبارة عن ستة مباحث تحدثت فيها عن مفهوم السياق، وأنواع السياق، وأركان السياق، ودلالة السياق، وأهمية السياق، والتدرج التاريخي لظهور مصطلح السياق.

وأما الفصل الثاني فقد كان عبارة عن ستة مباحث أيضًا تحدثت فيها عن مفهوم المتشابه اللفظي، وتطور مفهوم المتشابه اللفظي في القرآن تاريخيًا، ونشأة علم المتشابه اللفظي، وأهم الكتب التي ألفت في المتشابه اللفظي، وأنواع المتشابه اللفظي في القرآن، وأهمية علم المتشابه اللفظي.

وأما الفصل الثالث فقد كان عبارة عن خمسة مباحث تحدثت فيها عن مفهوم القصة في القرآن، وخصائص القصة القرآنية وأساليبها، وأهداف القصص القرآنية، وعناصر البنية الفنية للقصة القرآنية، وجماليات السياق الأدبي في القصة القرآنية.

وأما الفصل الرابع فكان هو الدراسة التطبيقية التحليلية حيث تناولت دراسة المتشابه اللفظي في قصة آدم عليه السلام و المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام و المتشابه اللفظي في قصة إسماعيل عليه السلام و المتشابه اللفظي في قصة عيسى عليه السلام.

المرحلة: ماجستير

اسم الطالب: محمد سقعان

## Özet

### KUR'ÂNİ KERÎM KISSALARINDA MÜTEŞABİH LAFIZLARIN ANLAŞILMASINDA BAĞLAMIN ETKİSİ -ADEM İBRAHİM İSMAİL İSA AS. KISSALARI ÇERÇEVESİNDE-

Bu araştırma, kur'an-i kerim'deki tek konulu kıssaların arasındaki benzeşen kelimelerin veya sözlerin arasındaki farklılıkları anlamak için bağlamın etkisini gösteren bir çalışmadır. (Hz. Adem, Hz. İbrahim, Hz. İsmail, Hz. İsa, (a.s) Kıssaları çerçevesinde).

Giriş bölümünde; konunun doğası, konunun önemi, araştırmanın tercih nedenleri, araştırmanın problemi, araştırmanın amaçları ve araştırma yönteminin ve önceki yapılan araştırmalar değerlendirmesi bir tanımı bulunmaktadır.

İlk bölüm; bağlam kavramı, bağlam türleri, bağlam öğeleri, bağlamın delaleti, bağlamın önemi ve bağlam teriminin ortaya çıkışının tarihsel gelişimini içeren altı başlıktan oluşmaktadır.

İkinci bölüm; benzeşen kelimelerin kavramı, Kur'an'da sözel benzerlik kavramının gelişimi, benzeşen kelimelerinin biliminin ortaya çıkışı, ve benzeşen kelimelerinin önemini anlatan dört başlıktan oluşmaktadır.

Üçüncü bölüm; Kur'ân'daki kıssa kavramı, Kur'ân kıssasının özellikleri ve yöntemi, Kur'ân kıssalarının hedefleri, Kur'ân kıssasının sanatsal yapısının unsurları ve Kur'ân kıssasının estetik yapısını konu alan beş başlıktan oluşmaktadır.

Dördüncü bölümde ise, uygulamalı analitik çalışmaya yer verilmektedir. Bu bölümde; Hz. Adem'in, Hz. İbrahim'in, Hz. İsmail'in, Hz. İsa'nın, Kıssalarındaki çerçevesinde benzeşen kelimelerin incelemesi ele alınmaktadır.

**Derece:** Master

**Öğrenci:** Muhammed SAQAAN

## **ABSTRACT**

The Effect of the context in understanding the Analogue in the Quranic Stories-

Applied study among the verses of Adam's, Abraham's, Ishmael's and Jesus' stories.

This study illustrates the role of the context and evidences in understanding the analogue, or the difference among the Quranic verses in the single-themed story within the range of the stories of Adam, Abraham, Ishmael, and Jesus, peace be upon them.

This study includes an introduction, four chapters and conclusion. The introduction contains the definition of the nature of the topic, the importance of the topic , reasons for choosing a topic, the problem of the research, the objectives of the research, methods of the research and the previous studies related to the research.

The first chapter is consisted of six branches, in which I have handled the context concept, the context types, the context pillars, its evidences, its importance, and the historical progression of the emergence of the context term.

The second chapter is about six branches too, in which I have also discussed the concept of analogue, the concept development of analogue in Quran in a historical way, the emergence of the analogue, the most important books that were written about analogue, the analogue types in Qur'an, and the importance of the science of analogue.

The third chapter is consisted of five branches, in which I have handled the story concept in the Holy Quran, the characteristics of the Qur'anic story and its methods, the purposes of the Qur'anic stories, the

elements of the artistic structure of the Qur'anic story and the aesthetics of the literary context in the Qur'anic story.

The fourth chapter discusses the applied analytic study that I have handled the analogue in Adam's story , the analogue in Abraham's story , the analogue in Ishmael's story and the analogue of Jesus' story.



## المحتويات

ب	الملخص	.....
ت	Özet	.....
ث	ABSTRACT	.....
ث	الإهداء	.....
- 1 -	المقدمة	.....
- 3 -	تمهيد	.....
- 3 -	أ- طبيعة الموضوع	.....
- 3 -	ب- أهمية الموضوع	.....
- 4 -	ج - أسباب اختيار الموضوع	.....
- 4 -	د- إشكالية البحث	.....
- 5 -	هـ- أهداف البحث	.....
- 5 -	و- منهج البحث	.....
- 5 -	ز: تقييم الدراسات السابقة والفروقات	.....
- 8 -	1. الفصل الأول: مدخل إلى السياق	.....
- 8 -	1.1. تعريف السياق	.....
- 8 -	1.1.1. السياق لغة:	.....
- 8 -	1.1.2. السياق اصطلاحًا:	.....
- 14 -	1.2. أنواع السياق	.....
- 14 -	1.2.1. أنواع السياق عمومًا:	.....
- 19 -	1.2.2. أنواع السياق القرآني:	.....
- 24 -	1.3. أركان السياق	.....
- 24 -	1.3.1. وفق نظرية (فيرث FIRTH):	.....
- 24 -	1.3.2. وفق بعض الباحثين:	.....
- 26 -	1.4. دلالة السياق	.....
- 26 -	1.4.1. دلالة السياق اصطلاحًا:	.....
- 27 -	1.4.2. دلالة السياق في اللغة العربية والقرآن الكريم:	.....
- 28 -	1.5. أهمية السياق	.....
- 38 -	1.6. التدرج في ظهور مصطلح السياق تاريخيًا:	.....
- 43 -	2. الفصل الثاني: المتشابه اللفظي في القرآن	.....
- 43 -	2.1. تعريف المتشابه اللفظي ومفهومه	.....
- 49 -	2.2. نشأة علم المتشابه اللفظي:	.....

الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي وتوجيهه	50 -	2.3
أنواع المتشابه اللفظي في القرآن	55 -	2.4
أهمية علم المتشابه اللفظي	58 -	2.5
الفصل الثالث: القصص في القرآن:	60 -	3.
تعريف القصص لغة واصطلاحًا	60 -	3.1
القصة لغة:	60 -	3.1.1
القصة اصطلاحًا:	60 -	3.1.2
خصائص القصة القرآنية وأساليبها:	61 -	3.2
الإيجاز:	61 -	3.2.1
وحدة الغاية:	63 -	3.2.2
تنوع طريقة العرض:	63 -	3.2.3
براعة الاستهلال	64 -	3.2.4
التصوير الفني في القصة القرآنية:	66 -	3.2.5
تنوع وسائل ربط المشاهد:	68 -	3.2.6
التكرار:	69 -	3.2.7
أهداف القصص القرآنية	71 -	3.3
تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية نفوس صحبه:	71 -	3.3.1
نشر القيم الخلقية والدينية بين المؤمنين:	72 -	3.3.2
الترغيب والترهيب:	73 -	3.3.3
التأثير النفسي:	74 -	3.3.4
التوجيه وترسيخ العقيدة	75 -	3.3.5
وحدة رسالات الأنبياء:	75 -	3.3.6
عناصر البنية الفنية للقصة القرآنية	76 -	3.4
الأحداث:	76 -	3.4.1
الشخص:	79 -	3.4.2
الحوار:	81 -	3.4.3
التشويق:	82 -	3.4.4
جماليات السياق الأدبي في القصة القرآنية	83 -	3.5
الفصل الرابع: الدراسة العملية	85 -	4.
قصة آدم عليه السلام	85 -	4.1
المسألة الأولى: خلق آدم عليه السلام	85 -	4.1.1
المسألة الثانية: أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام	93 -	4.1.2
المسألة الثالثة: امتناع إبليس عن السجود	94 -	4.1.3

- 102 -	المسألة الرابعة: مرحلة ما بعد امتناع إبليس عن السجود .....	4.1.4
- 109 -	المسألة الخامسة: إغواء اللعين .....	4.1.5
- 111 -	المسألة السادسة: أمر آدم بسكنى الجنة .....	4.1.6
- 115 -	المسألة السابعة: هبوط آدم وزوجه من الجنة .....	4.1.7
- 118 -	قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .....	4.2
- 118 -	المسألة الأولى: الأمر بالاعتداء بالرسول (ومن بينهم إبراهيم وإسماعيل) .....	4.2.1
- 120 -	المسألة الثانية: المصطفى من ذريته .....	4.2.2
- 121 -	المسألة الثالثة: موقف إبراهيم عليه السلام من أبيه آزر وما دار بينهما من مناقشات .....	4.2.3
- 124 -	المسألة الرابعة: دعاء إبراهيم "رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا" .....	4.2.4
- 126 -	المسألة الخامسة: دخول الملائكة على إبراهيم عليه السلام وتبشيرهم إياه وثناء الله عليه .....	4.2.5
- 130 -	قصة عيسى عليه السلام .....	4.3
- 130 -	المسألة الأولى: بشرى الملائكة لمريم عليها السلام .....	4.3.1
- 132 -	المسألة الثانية: اختلاف الأحزاب في عيسى عليه السلام .....	4.3.2
- 133 -	المسألة الثالثة: دعوة عيسى لبني إسرائيل للإيمان بالله .....	4.3.3
- 136 -	المسألة الرابعة: معجزات عيسى عليه السلام .....	4.3.4
- 139 -	المسألة الخامسة: إيمان الخواريين ونصرتهم لعيسى عليه السلام .....	4.3.5
- 143 -	الخاتمة .....	
- 145 -	ثبت المصادر والمراجع .....	

الإهداء

إلى نُورِ الكائناتِ وضيَاءِ الكَوْنِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إلى أَبِي المُرَبِّي العَزِيزِ

وإلى أُمِّي العَالِيَةِ

إلى أَسَاتِدَتِي أَصْحَابِ الفَضْلِ

وإلى زوجتي وأولادي عائشة وزين العابدين

وإلى أُمَّةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

## الاختصارات والرموز

ت. : توفي

د. الدكتور

د.ت: بدون تاريخ

د.ط: بدون طبعة

ص: الصفحة

ط: الطبعة

م: ميلادي

هـ: هجري

## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أرسل لنا رسوله الكريم، وأيّدته بكتاب معجز عظيم، هذا الكتاب الذي أنار الدُّرُوبَ، وأسعدَ القُلُوبَ، وأدهش العقول، وأعجز أولي الألباب.. فعاش العالمون والعارفون، والباحثون والدارسون، والمفسِّرون والفقهاء، وعلماء البلاغة والنحو؛ حياتهم. لا يسأمون من النهل من معين القرآن الكريم الذي لا ينضب..

هذا الكتاب العظيم الشأن، الرفيع القدر، الذي وصفه الله بكونه نورًا وهدايةً فقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: 52]، أمرنا بدراسته وتدبره وتأمله، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، وتدبُّر القرآن وفهمه وتعلُّمه أمرٌ لا مندوحة عنه للوقوف على مدى إعجاز هذا الكتاب وعظَمته.

واشتمل القرآن على فنون بلاغية في البيان والبلاغة، وروعة التعبير، وعظمة التصوير. وبالرغم من كون العرب أهل البيان والفصاحة؛ لكنهم وقفوا حائرين أمام إبداع عظمتهم وروعة أسلوبه، وكان من مظاهر هذا الإعجاز التشابه بين بعض آياته في بعض المواطن ولا سيَّما في القصص القرآني، فقد تختلف طريقة سرد القصص القرآنية في وجوه منها: تقديم بعض الألفاظ في موضع، وتأخيرها في موضع آخر، أو ذكر بعضها في موضع وحذفها في موضع آخر، وقد تكون القصة مقتضبة في سورة، ومفصلة في سورة أخرى.. وهكذا. ويؤدي السياق دورًا في فهم بعض اختلافات الحروف أو الكلمات في القصة الواحدة التي فيها متشابه لفظي. والمتشابه اللفظي هو أسلوب من الأساليب القرآنية ووجه من وجوه بلاغته، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقَشَّعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الزمر: 23]، فالقرآن الكريم، يشبه بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا.

وفي هذا البحث نحاول كشف بعض أسرار الاختلافات في عرض أحداث القصة، وأسباب اختلاف أقوال شخوص القصة القرآنية الواحدة وفق ما يناسب السياق العام في الآيات، في سورتين مختلفتين أو عدة سور. ويتناول الموضوع دراسة (المتشابه اللفظي في القرآن الكريم) أي الآيات القرآنية المتكررة بلفظها أو باختلاف يسير في لفظها مع تقارب المعنى لغرض ما. أي دون أن يكون ذلك

التكرار في الحقيقة تكررًا لنفس المعنى، وكثيرا ما يتصل هذا الاختلاف بمناسبة السياق القرآني الذي سيتم شرحه وتعريفه والحديث عنه ضمن الدراسة. وسنقوم باستقراء مواضع المتشابه اللفظي في القصة القرآنية من مثل: قصة آدم، وإبراهيم، وإسماعيل، وعيسى، عليهم السلام ليتضح بذلك منهج القرآن الكريم وأسلوبه في علم المتشابه اللفظي. ويأتي دور الباحث في سبر أغوار الآيات بلاغيًا، وتتبع أسباب الفروقات والاختلافات، وتعليلها والتوفيق بينها، ومحاولة تبيين وجه الخلاف الظاهر، الذي هو في حقيقته ليس فيه اختلاف في القصة الواحدة؛ ولكن آليات سرد القصة من الناحية الفنية تقتضي الإيجاز أحيانًا، والتفصيل أحيانًا، وتقتضي تسليط الضوء أحيانًا على جوانب من القصة في سورة دون السور الأخرى لما يقتضيه السياق، وهذه الجوانب تخفى في سورة أخرى لا يحتاجها السياق ولا تقتضي التفصيل.

فقصة آدم مثلاً ذكرت مفصلة في سورة البقرة وموجزة في سورة الكهف، وقصة إبراهيم وإسماعيل ذكرت مفصلة في الأنعام والشعراء والعنكبوت وموجزة في البقرة وآل عمران، وقصة عيسى ذكرت مفصلة في آل عمران ومريم والمائدة وأشير إليها في الزخرف والصف وغيرها.

والبحث يسلط الضوء من الناحية البلاغية والتحليلية على التشابه والاختلاف في القصة الواحدة في سور متعددة ويقف عند حدث واحد عُرضَ بعبارتين متشابهتين، حدّد كل واحدة منهما سياق مختلف، فندرس اختلاف العبارة وفق ذلك السياق ونقارن بين العبارة في هذه الآية والعبارة في آية أخرى من سورة أخرى للحدث الواحد، وهنا يكون للسياق اللغوي وسياق الحال دور في اقتضاب الحدث أو تفصيله واختيار هذه الكلمة أو تلك. فالقرآن الكريم يختار اللفظة المناسبة في سياق محدد يختلف عن السياق في آية أخرى، فالقرآن المكي يختلف من ناحية السرد والأسلوب والتوجيه عن القرآن المدني الذي نجد فيه تفصيلاً أكثر من ناحية الأحكام مثلاً، وتطول الآيات في السور المدنية في حين أنها تقصر في السور المكية، فتتلاحق الآيات بسرعة ويصبح الإيقاع سريعاً، أما في القرآن المدني فيكون الإيقاع بطيئاً هادئاً. وأرجو أن أكون قد وفّقتُ في هذه الدراسة فما كان صواباً فهو بتوفيق من الله وهديته، وما كان خطأً فمن تقصيري وضعفي ومن الشيطان. ومن الله التوفيق وعليه التكلان.

## تمهيد:

### أ- طبيعة الموضوع:

تتناول الدراسة موضوع (المتشابه اللفظي في القرآن الكريم) أي محاولة البحث عن السر والحكمة وراء اختلاف بعض الألفاظ أو الجمل المتكررة في القصة الواحدة التي ترد متكررة بلفظها تكراراً كاملاً ومتطابقاً في مواضع بينما ترد مختلفة اختلافاً يسيراً ومتقارناً في مواضع أخرى لأغراض وحكم ومقاصد، وتكون معاني هذه الألفاظ المتكررة في المواضع المختلفة قريبة المعنى، وكثيراً ما يتصل هذا الاختلاف بمناسبة السياق القرآني الذي سيتم شرحه وتعريفه والحديث عنه ضمن الدراسة. وسنقوم باستقراء مواضع المتشابه اللفظي في القصة القرآنية من مثل: قصة آدم وإبراهيم وإسماعيل وعيسى عليهم السلام ليتضح بذلك منهج القرآن الكريم وأسلوبه في علم المتشابه اللفظي.

### ب- أهمية الموضوع:

- بيان الفروقات الدلالية الدقيقة للألفاظ متشابهة المعاني في قصة واحدة في مواضع مختلفة: فعلم المتشابه اللفظي في القرآن هو عبارة عن تفسير لكلام الله تعالى، إذ نقوم بتفسير ظاهرة تكرار القصة بألفاظ وعبارات مختلفة في سور متعددة ونُبَيِّنُ دلالات اختلاف الألفاظ في سياقات مختلفة.
- إظهار عظمة البيان والبلاغة في القرآن الكريم فعلم المتشابه اللفظي يعدُّ سرّاً من أسرار الإعجاز ولوناً من ألوان البلاغة وذلك باختيار المكان الأكثر دقة لكل كلمتين قريبتين في المعنى، مما يجعل من كلمات القرآن معجزةً بيانيةً رائعة خالدة، وفي ذلك يقول ابن عطية: "وكتاب الله لو نزعته منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"<sup>1</sup>.
- بيان أن كثير من الألفاظ التي قيل بترادفها ليست مترادفة مع أن كثيراً من طلاب العلم يحكمون بالترادف على كثير من المسائل المتشابهة.
- إن دراسة علم المتشابهات اللفظية يكتسب أهمية لكونه جزءاً من علم الدلالة فهو يبحث في العلاقات الدلالية التي تربط بين تلك الألفاظ المتشابهة، وتجعلها في الحقول الدلالية الواحدة، لذلك كان لزاماً على المشتغلين بعلوم القرآن الاهتمام بالمتشابهات اللفظية والعمل على بيان الفروق الدقيقة بين ألفاظه.

<sup>1</sup> ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، 52/1.

## ج - أسباب اختيار الموضوع:

- 1- هذه الدراسة تجمع بين علمين من العلوم المتصلة بالقرآن الكريم هما البلاغة والتفسير لذا أردت أن أشتغل بعلوم مهمة هي علوم البلاغة والتفسير مرتبطة باللغة العربية ومعاني الألفاظ والفروقات اللغوية.
- 2- من الأسباب التي دعيتني إلى الخوض في هذا البحث هو بيان الفروقات السردية في تفسير القصة الواحدة حين يختلف عرضها في سور متعددة، فعند قراءتي المتكررة للقرآن الكريم وجدت فروقات لغوية وأسلوبية أثناء تكرار القصة الواحدة مما أثار لدي أسئلة حول بيان القرآن وبلاغته هنا، فكان البحث محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات.
- 3- محاولة إكمال ما بدأ به غيري من الباحثين الذين درسوا الفروقات القرآنية والتشابهات في سياق القصة الواحدة. فالدكتور فهد الشتوي ومن بعده الباحثة تهاني سالم باحويرث كانا قد بدأنا بدراسة تطبيقية لموضوع المتشابه اللفظي، حيث كان الدكتور فهد الشتوي قد كتب رسالة حول المتشابه اللفظي<sup>2</sup> في قصة سيدنا موسى عليه السلام، وكذلك الباحثة تهاني باحويرث قد كتبت رسالة حول المتشابه اللفظي<sup>3</sup> في قصص كل من سيدنا نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وأنا بدوري أكمل مسيرتهما في دراسة علم المتشابه اللفظي وأتناول قصصاً أخرى لم يتطرقا إليها وهي قصص كل من الأنبياء: سيدنا آدم وإبراهيم وإسماعيل وعيسى عليهم السلام.

## د- إشكالية البحث:

لعل أبرز إشكالية نحاول إثباتها هي أن تكرار الآيات القرآنية بألفاظ متفككة، أو مختلفة ليس تكراراً خالياً من الفوائد والأسرار والنكت، وإنما التكرار والاختلاف الظاهر له أهدافه وغاياته، فالقرآن الكريم إذا وردت فيه كلمة أو لفظة مخصوصة، ثم أعيدت وتكررت في موضع آخر من القرآن، لكن بتغيّر واختلاف عما كانت عليه في الموضع الأول أو أثبت فيها حرف في موضع وأثبت في آخر فكل ذلك لا بد له من

<sup>2</sup> وهي رسالة ماجستير بعنوان: (دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام- دراسة نظرية تطبيقية)، إعداد: فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي، وهي رسالة مقدمة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1426هـ- 2005م.

<sup>3</sup> وهي رسالة ماجستير بعنوان: (أثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني - دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام)، إعداد: الباحثة تهاني بنت سالم بنت أحمد باحويرث، وهي رسالة مقدمة بكلية الدعوة في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1428هـ - 2007م.

حكمة وهدف وسر وغاية ونحن بدورنا نحاول الاجتهاد في معرفة تلك النكتة أو ذلك السر فإن وفقنا الله لمعرفة فقد نلنا مرادنا، وإن لم ندركها فإنما لتقصيرنا وجهلنا وليس لأنه لا حكمة فيها. فالإشكالية في هذا البحث تتلخص بقدرة الباحث على ربط الألفاظ المختلفة بسياقاتها وبيان سبب ورود هذه اللفظة في موضع واختلافها في موضع آخر. ليصل الباحث في النهاية إلى توجيه القارئ إلى ما خلف الألفاظ لمعرفة المعاني البعيدة للسياقات المختلفة في القصة الواحدة.

### ه- أهداف البحث:

- 1- الوصول إلى معرفة منهج القرآن الكريم وأسلوبه في علم المتشابه اللفظي.
- 2- إثبات أن التكرار في القرآن الكريم له غرضه وغايته البلاغية وهو تكرارٌ مفيدٌ يضيف للمعنى معنى جديداً وليس تكراراً عبثياً مجرد التكرار وإعادة الألفاظ أو التراكيب.
- 3- محاولة جمع حالات المتشابه اللفظي وبيان الفروقات اللغوية في المتشابه وتفسيرها سياقياً.

### و- منهج البحث:

- 1- المنهج الاستقرائي الإحصائي: وهذا المنهج يتخلل المباحث التي يرد فيها آيات تكرر لفظها في قصص الأنبياء الذين خُصَّصَ هذا البحث لدراستهم، وبه اجتهدتُ في تتبع واستقراء وإحصاء مواطن المتشابه اللفظي من خلال تلك قصص التي هي موضوع البحث.
- 2- المنهج التحليلي المقارن: ويتخلل هذا المنهج جوانب البحث أكثرها فيناقش الأقوال والأفكار ومعرفة الأسباب الحقيقية التي تقف وراءها وأبعادها ومعرفة الراجح من المرجوح والوقوف على أوساطها.

### ز: تقييم الدراسات السابقة والفروقات:

هناك بعض الدراسات السابقة التي كُتبت في موضوع المتشابه اللفظي، تم الاطلاع على معظمها، وقراءة خططها ومقدماتها، حيث وجدتُ من الرسائل المتعلقة بموضوع البحث أو القريبة منه ما يلي:

- 1- رسالة دكتوراة بعنوان: (المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية)، إعداد: صالح بن عبد الله الشثري، استعرض فيها مؤلفها أبرز الكتب التي ألفت في علم المتشابه اللفظي وهي رسالة بلاغية مقدمة لفرع البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وتركز على دراسة الجوانب البلاغية التي تتعلق بتوجيه الآيات المتشابهة وقد نوقشت عام: 1421هـ-2001م.

**والفارق بين هذا الدراسة ودراستي:** أن هذا البحث هو بحث شامل في المتشابه القرآني عامة أما دراستي فهي مختصة بالمتشابهات في القصة القرآنية، كما أن دراسة الباحث صالح الشثري هي دراسة بلاغية أما دراستي فتختلف في أنها دراسة بلاغية وأدبية وفنية.

2- رسالة دكتوراة بعنوان: (المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه - دراسة موضوعية) إعداد: محمد بن راشد البركة وهي رسالة مقدمة لقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام 1426هـ - 2005م.

**والفارق بين هذا البحث ودراستي:** أن الباحث محمد البركة تعمق بالحديث عن علم المتشابه اللفظي وعلاقته بالعلوم الأخرى وقواعد التوجيه، أما أنا فني هذه الدراسة كان التركيز على تبيين دور السياق في فهم المتشابه اللفظي في قصص الأنبياء وذلك من خلال القصص التي حددت العمل عليها في هذه الدراسة، بالإضافة إلى أنني تعمقت بالجانب التحليلي أكثر وحاولت من خلال التحليل والمقارنة إضافة أشياء جديدة لم تكن موجودة في الدراسات السابقة وذلك من خلال النظر والتحليل والمقارنة.

3- رسالة دكتوراة بعنوان: (أثر السياق القرآني في التفسير - رسالة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة-)، إعداد: محمد بن عبد الله الربيع، وهي رسالة قدمت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام 1427هـ - 2006م.

ومجال هذه الرسالة هو سورتي الفاتحة والبقرة حيث بين كاتبها دور السياق في آيات سورة الفاتحة وقسم سورة البقرة إلى مقاطع وبيّن دور سياق الآيات وفقاً لكل مقطع.

**والفارق بين هذا البحث ودراستي:** هو أن هذه الدراسة غير مختصة بالمتشابه بل مختصة بنظرية السياق في الدراسات البنيوية وهي دراسات حديثة تركز على علاقة اللفظة في سياق النص والسابق واللاحق أي على العلاقات الداخلية في النص الأدبي.

4- رسالة ماجستير بعنوان: (دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام- دراسة نظرية تطبيقية)، إعداد: فهد بن شتوي الشتوي وهي رسالة مقدمة بكلية الدعوة في جامعة أم القرى 1426هـ - 2005م. وتأتي هذه الدراسة على قسمين؛ قسم نظري والقسم الآخر هو الدراسة التطبيقية ومجالها قصة موسى عليه السلام.

والفارق بين هذا البحث ودراستي: بالنسبة للقسم النظري من البحث هناك اختلافٌ

جزئيٌّ للعناوين وكليٌّ للمضامين، أما بالنسبة لقسم الدراسة التطبيقية فهو مختلفٌ كليًا بسبب اختلاف السور المدروسة أولاً واختلاف الأنبياء الذين تم اختيارهم في الدراسة ثانياً؛ فالباحث فهد الشتوي درس قصة موسى عليه السلام فقط، أما دراستي هذه فلم تتناول قصة موسى عليه السلام بل تناولت قصص آدم وإبراهيم وإسماعيل وعيسى عليهم السلام.

5- رسالة ماجستير بعنوان: (أثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص

القرآني - دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام)، إعداد: الباحثة تهاني بنت سالم بنت أحمد باحويرث، وهي رسالة مقدمة بكلية الدعوة في جامعة أم القرى 1428هـ - 2007م.

والفارق بين هذا البحث ودراستي: كما هو الفارق مع الرسالة السابقة رقم (4) في أن

القسم النظري من البحث فيه اختلافٌ جزئيٌّ للعناوين وكليٌّ للمضامين، وكذلك بالنسبة للتطبيق والتحليل فهو مختلفٌ كليًا بسبب اختلاف القصص المدروسة واختلاف الأنبياء الذين تم اختيارهم في الدراسة ثانياً؛ فالباحثة تهاني باحويرث درّست قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام بينما دراستي هي عن قصص آدم وإبراهيم وإسماعيل وعيسى عليهم السلام.

ودراستي هذه ستكون إستكمالاً لهاتين الرسالتين الأخيرتين كما بينتُ في فقرة (أسباب اختيار الموضوع ص5).

## 1. الفصل الأول: مدخل إلى السياق

### 1.1. تعريف السياق

#### 1.1.1. السياق لغة:

السياق في اللغة أصله من الجذر اللغوي (س و ق)، والفعل منه (ساق يسوق سوقًا وسياقًا).  
ويطلق السياق في اللغة العربية على عدة معان منها التابع والتقاود. والعرب تقول: "إِسَاقَتْ وَتَسَاقَتْ  
الإبل تساوقًا إذا تتابعت"<sup>4</sup>، وكذلك يطلق لفظ السياق عند العرب على المهْر، لأن مَهْرَ المرأة عند  
العرب كان هو الإبل، والإبل تُسَاق سوقًا فسمي مَهْرَ المرأة سِياقًا<sup>5</sup>، ويطلق السياق أيضًا على من  
شارف على الموت وكادت روحه أن تخرج من بدنه فيقولون: "فلانٌ في السِّياق، أي: في النزح"<sup>6</sup>.  
وجاء في أساس البلاغة: "وهو يسوق الحديث أحسن سياق، .. وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك  
بالحديث على سَوَاقه: على سرِّده"<sup>7</sup>.  
إذًا: فالسياق في معناه اللغوي لفظ يدل على التابع والتسلسل.

#### 1.1.2. السياق اصطلاحًا:

إن القارئ لكتب اللغة والأدب والمتصفح للمعاجم الأدبية؛ يرى أن بعضها اهتم بهذا المصطلح وعرّفه في  
حين أن البعض الآخر لم يعبؤوا به كمصطلح أدبي، وعدّوه من الكلام الأدبيّ المعلوم الذي لا يحتاج إلى  
تعريف.  
وقد اهتم بعض علماء أصول الفقه بالسياق وعرّفوه؛ وذلك لأن استنباط الأحكام الفقهية يرتبط بقريضة  
الجملة، وباختلاف معنى اللفظة ضمن سياق الكلام. وهنا نسوق بعض التعريفات الاصطلاحية للفظ  
(السياق) في كتب اللغة ومصطلحات الأدب وفي كتب أصول الفقه:

<sup>4</sup> ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3،  
1414هـ، مادة: سوق، 166/10.

<sup>5</sup> ينظر: الأزهرى: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث  
العربي، بيروت، ط1، 2001م، 184/9، ابن منظور: لسان العرب، مادة: سوق، 166/10.

<sup>6</sup> الأزهرى: تهذيب اللغة، 183/9.

<sup>7</sup> الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار  
الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م، مادة: سوق، 484/1.

### 1.1.2.1. السياق في كتب اللغة ومصطلحات الأدب:

بعض أدباء اللغة والأدب يرون أن السياق هو عبارة عن (وسيلة ربط بين ألفاظ الكلام وجُمَلِه)، وبها يُعرَّفُ المعنى المقصود والغاية المنشودة من تلك الجُمَلِ أو تلك الكلمات ضمن المقطع أو النص. وبذلك يغدو النص كالبناء المكوّن من فقرات وأجزاء، والسياق هو الرابط بين تلك الأجزاء أو تلك الأقسام والمكونات. فالسحلماسي (ت. حوالي 1305/704) قد عرّف السِّياق بقوله: "هو ربط القول بغرض مقصود عن القصد الأول"<sup>8</sup>، وبتعبير آخر فإن السياق عبارة عن تتابع الكلمات وتسلسلها في النص.

وحديثاً أصبح للسياق عند اللغويين معنى أكثر شمولاً وتوسعة فاعتبروا أن السياق هو المصاحب لما يفيد بيان المعنى. أو هو "الوحدات التي تسبق وتلي وحدة لغوية محددة"<sup>9</sup> فأول الكلام يفضي إلى آخره إذا فُهم السياق، ولا يُفهم السياق إلا بفهم اللاحق والسابق.

وفي قاموس العلوم الاجتماعية بُحِد تعريف السياق بأنه: "جميع الشروط التي تساهم في تحديد معنى كلمة أو عبارة"<sup>10</sup>.

وعرّف ستيفن أولمان Stephen Ullmann في كتابه (دور الكلمة في اللغة) السياق بمعناه التقليديّ بأنه: "النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم"<sup>11</sup>.

وقد يُعبّر عن القرينة الحالية بالسِّياق"<sup>12</sup>، فالسياق هو قرينة لفهم معنى اللفظة ولا سيّما إن كان للفظه أكثر من معنى (مترادفات متعددة). وبالسِّياق أيضاً يُفهم المعنى العام للنص.

وشبّه جون لاينز John Lyons السياق بنسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد يمثل كل خيط فيه إحدى علاقات المعنى فيقول: "من الأفضل اعتبار البنية المعجمية للغة شبكة واسعة معقدة من علاقات المعنى، أي أنها تشبه نسيج العنكبوت"<sup>13</sup>.

<sup>8</sup> السحلماسي: أبي محمد القاسم الأنصاري السحلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علاء الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1401هـ-1980م، ص188.

<sup>9</sup> مبارك: د. مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م، ص61.

<sup>10</sup> DEMİR, Ömer, ACAR, Mustafa, *Sosyal Bilimler Sözlüğü*, (Ankara: Vadi Yayınları, 1997), 31.

<sup>11</sup> أولمان: ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: د. كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص57.

<sup>12</sup> وهبة: مجدي، المهندس: كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص288.

<sup>13</sup> لاينز: جون، اللغة والسياق والمعنى، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م، ص83.

والسِّيَاق ظروفٌ يقعُ ضمنها الحدث أو يساق فيها الكلام، لأن اسم السياق مشتق من الفعل (ساق)، وهنا المقصود سَوْقُ الكلام كما أن السياق قرينة معنوية تبين المعنى في الجمل من خلال الكلمات السابقة واللاحقة.

### 1.1.2.2. السياق عند الأصوليين:

اهتم علماء الأصول بالسياق واعتبروه أصلاً يُعْمَلُ به، وقاعدةً يُبْنَى عليها في كثير من المسائل، ولعل أول من أشار إلى ذلك الإمام الشافعي (ت. 820/204) حيث رأى أن دلالة الخطاب في القرآن جاءت متناسبةً بل ومتفوقَةً على مستوى العرب في تكلمهم وأساليبهم وبلاغتهم فكان من أساليب القرآن أنه أحياناً "يخاطب بالشيء منه عامًّا ظاهرًا، يُراد به العام الظاهر، ويُستغنى بأوّل هذا منه عن آخره. وعامًّا ظاهرًا يُراد به العام، ويَدْخُلُهُ الخاصُّ، فيُستدلُّ على هذا ببعض ما خُوِطِبَ به فيه؛ وعامًّا ظاهرًا، يُراد به الخاص. وظاهرًا يُعرَفُ في سياقه أنه يُراد به غيرُ ظاهره. فكلُّ هذا موجودٌ علَّمُه في أول الكلام، أو وَسَطِه، أو آخِرَه"<sup>14</sup>. ولم يكتف الشافعي (ت. 820/204) بتلك الإشارة إلى السياق وإنما عقّد بابًا خاصًّا من أبواب كتابه عنون له بقوله: باب: الصَّنْفُ الذي يُبَيِّنُ سياقه معناه. وساق أمثلة على ذلك. ثم تعاقب الأصوليون من بعده على التفصيل والتعمق أكثر في دلالة السياق ومجالاتها وطرق اعتبارها. وكثيرًا ما كانوا يعبرون عن السياق بلفظ القرائن التي تقتزن باللفظ كالإمام السَّرْحَسِي (ت. 1097/490)، في أصوله ذكر أسماء صيغة الخطاب في استعمال الفقهاء وذكر من بين تلك الأسماء (النص) فبيّن معناه بقوله: "وأما النص فما يزداد وضوحا بقرينة تقتزن باللفظ من المتكلم ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهرا بدون تلك القرينة"<sup>15</sup>.

وعلماء الأصول يرون أن السياق والقرائن التي تحيط باللفظ تعتبر واحدة من أهم طرائق معرفة الجملات والمحتملات أو المتشابهات وفي هذا يقول العز بن عبد السلام (ت. 1262/660): "السِّيَاق مُرْشِدٌ إلى تبيين الجملات، وترجيح الختملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال؛ فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذمًا، فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذمًا واستهزاءً وتهكُّمًا بعرف الاستعمال. مثاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾

<sup>14</sup> الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط1، 1358هـ - 1940م، 50/1.

<sup>15</sup> السَّرْحَسِي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السَّرْحَسِي، أصول السَّرْحَسِي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ - 1993م، 164/1.

[الدخان: 49] أي الدليل المهان؛ لوقوع ذلك في سياق الذم، وكذلك قول قوم شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87] أي السفيه الجاهل؛ لوقوعه في سياق الإنكار عليه...<sup>16</sup>.

وقال ابن دقيق العيد (ت. 1302/702) في إحكام الأحكام: "أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه. وهي المرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات"<sup>17</sup> إذا فعلوا الأصول استفادوا من دلالة السياق في استدلالهم على القواعد التي صاغوها وعملوا عليها والترجيحات التي أقرها، فبالسياق يستعان على تبيين الجمل وتعيين المحتمل، وتقييد المطلق.. وما إلى ذلك من مهمات الأصوليين في كشف حقيقة أوجه الكلام. لذا يجب على الفقيه والأصولي والمرجع النظر إلى النصوص بشكل مترابط وأن يرجع آخر الكلام ومنتهاه إلى أوله وأن يلحق أوله بآخره حتى يظهر له المعنى المقصود والغاية المنشودة عبر دلالة السياق والأحوال والقرائن فيفهم كلام المتكلم غاية الفهم ويدركه أحسن الإدراك يقول الشاطبي (ت. 1388/790) في الموافقات: "لا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف"<sup>18</sup>.

مما سبق نخلص إلى أن الفقهاء والأصوليين، ذكروا في حديثهم وإشاراتهم إلى السياق أنه يبين أموراً؛ منها تبيين الجمل، وترجيح المحتمل، وتخصيص العام، وغير ذلك مما يتعلق بمسائل أصولية. لأن نظرتهم كانت وفق مسائل تحتمل أوجهاً عديدة؛ فالسياق عندهم كموضح لتلك الأوجه، ومزيل للبس المسائل الخلافية (حمالة الأوجه).

### 1.1.2.3. السياق عند المفسرين:

اهتم معظم المفسرين بدلالة السياق وعملوا على اعتبارها أثناء التفسير، قديماً وحديثاً، فلا غنى للمفسر عن إعمال النظر في دلالة السياق؛ وذلك باعتبارها أحد أهم قواعد التفسير لمن أراد الاشتغال بهذا العلم.

وخير معين لفهم النص، ومعرفة المراد منه خلال عملية التفسير على وجه دقيق؛ هو معرفة السياق الذي جاء فيه الكلام، والإحاطة بأحواله وظروفه، وسابقه ولاحقه. وكذلك للسياق دور مهم في دفع وهم التعارض والاختلاف بين الآيات، والمفسرون قديماً وبرغم أنهم عنوا بالسياق واستدلوا به في كثير من

<sup>16</sup> العز بن عبد السلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الإمام في بيان أدلة الأحكام، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م، 159/1.

<sup>17</sup> ابن دقيق العيد: محمد بن علي بن وهب، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية، د.ط، د.ت. 21/2.

<sup>18</sup> الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ - 1997م، 265/4.

التأويلات، وجعلوه مرجحًا لكثير من المسائل التفسيرية؛ إلا أني لم أقف على تعريف لأحدهم، تعريفًا جامعًا مانعًا للسياق.

وإذا ما نظرنا في كتب التفسير؛ فإننا نرى عبارات تدل على اعتبار الأئمة والمفسرين للسياق، أثناء تأويلهم وتفسيرهم للآيات، واستخدامهم له بكثرة، فنرى من عباراتهم مثلًا: (ويقتضي سياق الكلام كذا)<sup>19</sup>، و(سياق الكلام يدل على كذا)<sup>20</sup>، و(الضمير يفسره سياق الكلام)<sup>21</sup>، و(وجه الصواب كذا لأنه أليق بسياق الكلام)<sup>22</sup>، و(الجواب كذا بدليل سياق الآية)<sup>23</sup>... وغير ذلك من مثل تلك العبارات. هذا ولقد وضع المفسرون القدامى شروطًا صادقة لمن أراد أن ينتظم في هذا العلم الجليل، وأكثر هذه الشروط يصب في السياق والمقام، وما يحيط بالنص القرآني من ظروف وملابسات، لا بد للمفسر من الوعي بما قبل مباشرته تفسير النص القرآني الكريم<sup>24</sup>.

ونجد في كتب التفاسير وعلوم القرآن إفادات تدل وتنبه على أهمية السياق إما صراحة وإما إشارة ومضمونا، وتؤكد على وجوب إعماله والنظر إليه عند التفسير، وتنص على أنه أحد المرجحات عند اختلاف الآراء. ومن أولئك المفسرين الإمام الطبري (ت. 923/310) حيث علل اختياره في إحدى التأويلات بالسياق فقال: "فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى"<sup>25</sup>. وحذر الطبري (ت. 923/310) في موضع آخر من إهمال السياق فقال: "فغير جائز

<sup>19</sup> ينظر: ابن جزري: أبو القاسم محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ، 468/1.

<sup>20</sup> ينظر: أبي حيان: محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 589/1. وينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م، 190/6.

<sup>21</sup> ينظر: أبي حيان، البحر المحيط في التفسير، 562/7.

<sup>22</sup> ينظر: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر، الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، 354/26.

<sup>23</sup> ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، 90/1.

<sup>24</sup> نحر، هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، دار جدارا، إربد- الأردن، ط1، 1429هـ- 2008م، ص219.

<sup>25</sup> الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م، 480/2.

صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة. فأما الدعاوى، فلا تتعذر على أحد<sup>26</sup>.

واعتبر المفسرون أن السياق والأحوال المحيطة بالنص وما سبقه وما لحقه كل ذلك مرجح للاختلافات الحاصلة في فهم الآيات ويعتبر فيصلاً في حسم وجهات النظر ومن لم يأخذ السياق بعين الاعتبار فلا معنى لرأيه ولا قيمة لتفسيره ومثال على ذلك ابن جزى الكلبي (ت. 1340/741) في تفسيره ذكر أسباب الخلاف بين المفسرين، والوجه التي يرجح بها بين أقوالهم. وعدّ من وجوه الترجيح: "أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله، أو ما بعده"<sup>27</sup>.

وعلاوة على ذلك فإن مما يبين اهتمام المفسرين بالسياق أنهم أوجبوا فهم مقصود الآيات بالعمل به والنظر إلى المعاني ضمنه حتى ولو خالفت تلك المعاني المفهومة من خلال السياق المعنى الأصلي للكلمة أو اللفظة أحياناً والإمام الزركشي (ت. 1392/794) ممن جوّز هذا حيث يقول: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سبق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز"<sup>28</sup>.

وللسياق عند المفسرين دور في آي القرآن الكريم التي لم يرد في تفسيرها نقل؛ حيث إن السبيل لمعرفة المراد من تلك الآيات العلم بمدلولات الألفاظ واستخدامها وفق السياق والقرائن والأحوال علاوة على الإمام باللغة العربية وقواعدها ومعرفة أساليب الكلام والبلاغة والبيان لدى العرب وما إلى ذلك من الشروط المعروفة لدى المفسرين.

ونجد عند المفسرين استخدامهم لمفهوم القرائن أي ما يصاحب النص ليدل على مقصود المتكلم منه، والعمل بالقرائن عند المفسرين ليس عبثياً أو عشوائياً بل يندرج ضمن شروط واعتبارات، فهي بمثابة متكّي يتكأ عليه عند فهم النصوص وتحليلها وفي هذا يقول رشيد رضا (ت. 1935/1354): "وإنَّ أفضلَ قرينةٍ تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سَبَق من القول، وأتقائه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتابُ بجمليته"<sup>29</sup>، والذي يقود المفسر لفهم القرائن فهماً صحيحاً ومعرفة حقيقة المقصود من الخطاب معرفة جيدة هو الاستدلال الجيد وإمعان النظر وحسن النية وسلامة القصد،

<sup>26</sup> تفسير الطبري: 389/9.

<sup>27</sup> ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل: 19/1.

<sup>28</sup> الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط1، 1376هـ - 1957م، 317/3.

<sup>29</sup> رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م،

فبالقرائن يتم الترجيح بين ما تعارض من الأدلة الشارحة للآيات وما احتل من الألفاظ المفسرة لها وبها أيضاً يعرف الكلام المذكور من المحذوف، ويؤول المعنى الظاهر البعيد إلى ما هو خفي قريب وهذا كله يشكّل مفهوم السياق وحقيقته عند المفسرين. وسيأتي معنا كثير من أقوال المفسرين، بخصوص السياق، تردُّ في مواضعها إن شاء الله.

مما سبق يمكنني أن أعرف السياق باختصار بأنه:

قربنة تُفهم من المعنى الشُمولي للنص، تُبين المعنى الدقيق لألفاظ الجملة، في حقلٍ دلاليٍّ معين.

## 1.2. أنواع السياق

### 1.2.1. أنواع السياق عمومًا:

في حياتنا اليومية نسمع الكثير من الحوارات والكلام من قِبَلِ أناسٍ مختلفين، وطبيعة الكلام تختلف من شخص إلى آخر، وتختلف القدرة الاستيعابية بحسب درجة ثقافة كل شخص، وفي كل حديث أو كلام أو حوار يدور في الحياة اليومية التي نعيشها هناك عبارات تتكرر، ومفردات لا تُفهم إلا بعد أن نَسَمَعَ ما قبلها وما بعدها؛ أي في الكلام الذي وردت فيه، فالكلام عمومًا تُفهم معانيه من خلال سياقات متنوعة مختلفة، فلكل مفردة فهم ومعنى بحسب القرائن التي وردت في الجملة التي قيلت وبحسب السِّياق أيضاً. ولفهم مدلول الكلمة ينبغي فهم السِّياق، وللسِّياق أنماط وأنواع مختلفة ذكر الباحثون لها أقسامًا متنوعة، لعل أشهرها السياق اللغوي، وسيقاق المقام. ونحن بدورنا نذكرها كما يلي، مع بعض الزيادة والاختلاف بين الدارسين أنفسهم:

فذكروا<sup>30</sup>:

<sup>30</sup> ينظر لتقسيمات السياق هذه في: جبل: عبد الكريم محمد حسن، في علم الدلالة - دراسة في شرح الأنباري للمفضليات-، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، 1997م، ص 63 - 74. وينظر: القاسم: عبد الحكيم بن عبد الله، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير (رسالة)، كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1999م، ص 88 وما بعدها.

### 1.2.1.1. السياق اللغوي (النصي، المقالى):

السياق اللغوي يراد به: "الجُمْل المكوّنة والسابقة واللاحقة لنص الخطاب المراد تفسيره واستخلاصُ المقصود منه"<sup>31</sup> فهو ذلك الاتساق والتنسيق أو الترتيب اللغوي الذي يُعنى بتأليف وتركيب الكلمة وإنشائها وإعطائها موقعها وخصائصها من ذلك النظم فيؤخذ بعين الاعتبار ما يسبقها وما يليها في الجملة.

كما أن السياق اللغوي يتمثل في تتابع الألفاظ أو المفردات والجمل، وحتى الأصوات في حديث ما أو كلام أو حوار، وتلك الألفاظ والأصوات تأخذ مفهومها وخصائصها من السياق اللغوي، فهو المتحكم بها والمؤثر بفهم طبيعتها وحقيقة المقصود منها.

وفي اللغة العربية كثيرٌ من الألفاظ لها معانٍ متعددة عامة ومشاركة فتكون ضمن النص محتملة إما كلها، أو بعضها ومنها ما يكثر استخدامه بمعنى محدد، ومنها ما يُندّر إطلاقه والذي يحدد المعنى المراد من كل ذلك هو السياق اللغوي. وبالتالي تتضح أهمية السياق اللغوي في أنه "يوضح كثيرًا من العلاقات الدلالية عندما يُستخدم مقياسًا لبيان الترادف، أو الاشتراك، أو العموم، أو الخصوص، أو الفروق.." <sup>32</sup>. فإذا تعارضت التأويلات والاحتمالات فإن أقرها إلى الصواب أكثرها اثتلافًا وانسجاماً مع سياق النص.

كما أن السياق اللغوي يساعد على توضيح إشارات المعنى، من خلال الارتباطات الأسلوبية للنص، فهو يعتمد على عناصر لغوية في سياق النص، يستطيع بواسطتها المستمع تقصي العناصر اللغوية لذلك النص لتحديد دلالة المعنى الأرجح، وهذه الإشارات أو القرائن مثل: "ذكر جملة سابقة أو لاحقة، أو عنصر في جملة سابقة أو لاحقة، أو في الجملة نفسها يحوّل مدلول عنصر آخر إلى دلالة غير المعروفة له"<sup>33</sup> ولنأخذ مثالاً عن السياق اللغوي من القرآن وهو قوله تعالى في سورة النحل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [سورة النحل: 1]، فجملة ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ قرينة لغوية سياقية صرفت الفعل (أَتَى) عن دلالاته على الماضي الذي حصل وانتهى إلى دلالاته على المستقبل الذي لم يحصل بعد، وفُهِمَ (أَمْرُ اللَّهِ) [سورة النحل: 1] الوارد هنا بأنه قيام الساعة، الذي لطالما كان المشركون يستعجلونه، وإنما عبر عنه

<sup>31</sup> جغيم، د. نعمان، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس، عمّان - الأردن، ط1، 1435هـ - 2014م، ص92.

<sup>32</sup> قدور: أحمد محمد، مبادئ اللسانيات العامة، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1427هـ - 2006م، ص265.

<sup>33</sup> عبد اللطيف: محمد حماسة، النحو والدلالة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420 - 2000م، ص 116-117.

بصيغة الماضي ليُعَلِّمَنَا بقرب حصوله ومجيئه، فهو آت لا محالة، وما يعضد هذا ويؤكدُه ورود آيات كثيرة في سور متعددة تتضمن جملة ﴿أَمُرِ اللّٰهَ﴾ يختلف معناها عما ورد في سورة النحل كقوله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [سورة هود: 43]، فهنا المقصود بأمر الله عذابه. وكذلك قوله: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ﴾ [سورة هود: 73] أي قدرته وحكمته، وقوله: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَبِيِّ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللّٰهِ﴾ [سورة الحجرات: 9]، فأمر الله هنا هو الصلح وزوال الخصومة، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: 47] أمره هنا هو عذابه الذي وعد به المشركين. فكل تلك المعاني فهمت من خلال السياق والقرائن التي صاحبته ولولا النظر في السياق لما كان لنا معرفة المراد من الألفاظ والجملة في كل موضع<sup>34</sup>.

### 1.2.1.2. سياق الحال (المقام أو الموقف):

سياق المقام هو: "حصيلة الظروف الاجتماعية والطبيعية والنفسية السائدة وقت صدور الخطاب، والتي يُتَوَقَّع أن يكون لها تأثير في صيغة الخطاب وتوجيهه وفهمه"<sup>35</sup>. وهو سياق غير لغوي يتمثل في التفاصيل الخارجية التي تحيط بعملية الخطاب، والوسط الذي يقع فيه الكلام وبيئته الحالية وظروفه المعاشة التي تحيط به، فتكون دلالاته ناتجة عن معطيات وظروف الزمان والمكان التي يحدث فيها الحدث الكلامي أو النصي والتي تؤخذ بعين الاعتبار.

وسياق الحال هو فكرة قديمة كثيرة التداول بين اللغويين والبلاغيين العرب منهم والغربيين، عمل عليها وطورها اللغوي البريطاني (فيرث Firth)<sup>36</sup> وكذلك لم يغفل عنها أفلاطون Plato ومالينوفسكي Malinowski وغيرهم. غير أن فيرث Firth "استطاع أن يصوغ منها نظرية علمية"<sup>37</sup>.

وسياق المقام أو الحال هو عبارة عن مجموعة من العناصر التي تشكّل وتكوّن حال الكلام ومقامه كشخصية المخاطب والمخاطب وتحصيلهما الثقافي والمعرفي، وكالبيئة الاجتماعية والمكانية أو الفيزيولوجية التي يسود خلالها الخطاب. فمن خلال سياق المقام أو الحال تُعرّف وظائف المخاطب والمخاطب وكل

<sup>34</sup> ينظر: عبد اللطيف: محمد حماسة، النحو والدلالة، ص116.

<sup>35</sup> جغيم: د. نعمان، طرق الكشف عن مقاصد الشاعر، ص95.

<sup>36</sup> John Rupert FIRTH لغوي بريطاني، أستاذ علم اللغة في جامعة لندن في الفترة من عام 1944 حتى عام 1956م، وهو صاحب نظرية سياق الحال Context of Situation ومؤسس المدرسة الإنجليزية الاجتماعية في علم اللغة توفي في العام 1960.

<sup>37</sup> خليل: حلمي، العربية وعلم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، 2006م، ص132.

من له صلة أو مشاركة أو مشاهدة بالخطاب أو الحديث. إذا فسياق الحال هو إحدى العوامل المؤثرة في الكلام، ومعيار من معايير الحكم على العبارة فيجب مراعاته والنظر إليه وأخذ به بعين الاعتبار خلال عملية تحليل النصوص وفهم مراد المتكلم منها. ولذلك جمع علماء الإسلام الروايات في أسباب نزول الآيات وحاولوا المعرفة بالمكي والمدني وغير ذلك مما يتعلق بالظروف التي نزل فيها القرآن الكريم واهتموا بها في تفسيره من البداية.

### 1.2.1.3. السياق الثقافي (الاجتماعي):

يراعى السياق الثقافي في الكلام عند عملية اختيار وانتقاء الكلمات التي ستستخدم في الحديث، حيث يتم اعتماد مفردات وألفاظ ذات سوية لغوية محددة في الكلام وفقاً لطبيعة البيئة الثقافية والاجتماعية لجميع أطراف الكلام وعناصره، بالإضافة إلى أن السياق الثقافي يحدد المراد من الكلمات ذات الاستخدامات العامة المتعددة حين إطلاقها، وفقاً لما تعنيه تلك الكلمات في تلك الثقافة أو في ذلك المجتمع.

ومثال عليه: كلمة (الصَّرْف) لها استخدامات ودلالات متعددة تُفهم مباشرة بين أفراد الوسط الثقافي أو المحيط الاجتماعي الذي استخدمت فيه هذه الكلمة. فاستعمالها مثلاً لدى طلاب اللغة العربية ودارسيها، يعني مباشرة أن المقصود هو (علم الصَّرْف) الذي تُعرف به أحوال الكلمة العربية من اشتقاق وتغيير وزيادة ونحو ذلك. في حين أن دارسي الهندسة وطلابها، يفهمون من كلمة (الصَّرْف) حين إطلاقها ضمن محيطهم بأنها ذلك المصطلح العلمي الذي يشير إلى عمليات التخلص من المياه عبر الوسائل المختلفة، وهنا يفهم هؤلاء المهندسون ذلك المعنى من مدلول الكلمة بكل سهولة وبدون أي التباس وذلك وفقاً لكثرة تداول هذا المفهوم بينهم وعُلبية استعماله ونُدرة استخدام باقي المدلولات الأخرى لكلمة (الصَّرْف) في تلك البيئة أو المحيط الذي يعيشونه. أما إذا استعملت كلمة (الصَّرْف) في قطاع المال والتجارة والبنوك والمصارف وما شابهها، فيكون لها دلالة أخرى تشير إلى تحويل العملة النقدية من فئة إلى فئة أو من نقد إلى آخر ونحو ذلك<sup>38</sup>. ويقرب ما يسميه علماء الإسلام بالمعنى العربي من السياق الثقافي، وقد اهتموا به وقدموه على المعنى اللغوي في تفسير القرآن الكريم. فكلمة (دابة) مثلاً تدل على (مركوب) بدلاً من أنها تدل لغة على شيء يدب ويتحرك.

<sup>38</sup> القدور: أحمد، مبادئ اللسانيات العامة، ص 269.

ونستطيع القول أن السياق الثقافي أو الاجتماعي هو المكون الرئيسي للسياق الخارجي للنص "فيجب عدم تجاهله لأنه يعكس الظروف التاريخية والثقافية التي حدث فيها النص، فيسهل في الفهم الدقيق للمصطلحات أو كتابتها وتصنيفها تصنيفًا صحيحًا لما تدل عليه"<sup>39</sup>.

وهكذا يتضح أن السياق الثقافي يعتبر وسيلة من وسائل معرفة مدلولات الكلمات والألفاظ وإحدى أدوات إدراك المفاهيم التي تستخدم ضمن إحدى المجتمعات أو الظروف، ومراعاته ضرورة لا بد منها في فهم النصوص.

#### 1.2.1.4. السياق العاطفي:

هو السياق الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية التي تفيد العموم، ودلالتها العاطفية التي تفيد الخصوص "فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو اعتدالاً"<sup>40</sup>؛ وذلك كاستخدام ألفاظ عنيفة ذات طابع شديد في حالة الغضب وشدة الانفعال، وبالمقابل استخدام ألفاظ رقيقة وحميمة في حالة الحب والهدوء والرضا، فمن يكون في حالة من الاندفاع والحماس أو النفور ربما يُفْرِطُ ويبالغ في استخدام ألفاظٍ أو انتقاء أوصافٍ تُرضي حالته التي وصل إليها، وقد تكون تلك الكلمات والأوصاف لحظيةً آتيةً لا يريد حقيقتها أو لا يقصد ما تحمله من دلالات ومعانٍ أصلية، وإنما كان استخدامه لها بدافع العاطفة والشعور الذي يعيشه. ومثال ذلك: كالمتكلم الغاضب غضبًا شديدًا فإنه يستخدم كلماتٍ من قبيل: "القتل والذبح والاحتقار والاستكراه الشديد، دون أن يقصد دلالتها الموضوعية، إذ لا يعدو ذلك كونه مبالغة في التعبير عن حالته العاطفية"<sup>41</sup>، وهنا تؤدي الحالة الوجدانية والنفسية دورها في هذا السياق. وهناك كلمات لها معنى دلالي عقلي وفي نفس الوقت لها إيماءات عاطفية تؤثر في المتلقي من خلال توّصّعها في سياق عاطفي معيّن من ذلك: كلمتا (فتح واحتلال)، أو (عدل وحرية) إذ يتم العمل على تعبئة وشحن تلك المصطلحات غالبًا بمحتويات ودلالات مليئة بالعواطف والمشاعر بحسب كل مصطلح.

وللخصوصية العظيمة والكبيرة للقرآن الكريم كونه كتابًا أدبيًا معجزًا متفردًا للباحثين تقسيمات خاصة بأنواع سياقاته؛ حيث قسموا السياق القرآني إلى أربعة أنواع كما يلي:

<sup>39</sup> Bknz. TİYEK: Fatih, *KUR'AN'I ANLAMADA BAĞLAMIN ROLÜ VE MEALLERDEKİ BAĞLAMSAK SORUNLAR*, Doktora Tezi, ERCİYES ÜNİVERSİTESİ, Kayseri, 2014, S. 337.

<sup>40</sup> عمر: أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص70.

<sup>41</sup> القدور: أحمد، مبادئ اللسانيات العامة، ص267.

## 1.2.2. أنواع السياق القرآني<sup>42</sup>:

### 1.2.2.1. سياق القرآن:

ويراد به النسق العام القرآني بكامله، والمعاني الكلية (كليات الألفاظ)<sup>43</sup> في القرآن الكريم، والعادات الغالبة (الأساليب المطردة)<sup>44</sup>، والمقاصد الكلية<sup>45</sup>، والأغراض الأساسية في القرآن الكريم. ومن المعلوم لدى المشتغلين بعلم التفسير أن أفضل طرق التفسير وأصحها أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، لأن في القرآن مُجْمَلًا قد فُصِّلَ في موضع آخر، وعامًا قد حُصِّصَ في مكان آخر وهكذا..، فيجب عند التفسير أن يُنظر إلى سياق القرآن كاملاً وأن يُرَدَّ أوله على آخره وأن لا يهمل أو يستبعد شيء منه فهو

<sup>42</sup> هذه التقسيمات أخذنا عناوينها من دراسة: (دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام) للباحث فهد الشتوي، وهو نقلاً عن كتاب (دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم) لمؤلفه عبد الوهاب رشيد أبو صافية الحارثي. أما الشروحات والمتمن فهناك اختلاف وفروقات.

<sup>43</sup> المقصود بـ (كليات القرآن أو كليات الألفاظ): الألفاظ التي يكثر استعمالها ويضطر على معنى واحد غالباً في القرآن الكريم، فيصبح معناها الكلي مقصوداً، ومن ثم يجب اعتباره أصلاً في التفسير، ويكون مرجحاً وفضلاً في اختلاف العلماء. من ذلك مثلاً: غالب ذكر (الغيث) في القرآن الكريم يكون للرحمة، وغالب ذكر (المطر) يكون للعذاب. وكل ما ذكر في القرآن بلفظ (إفك) فهو: الكذب.. هذا ولا تخلو المسألة من ضوابط واستثناءات. قال ابن القيم (751هـ - 1350م): "للقرآن عُزْفٌ خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عُزْفِهِ، والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ، بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها.. فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي فتدبر هذه القاعدة فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها وتقطع أنها ليست مراد المتكلم" ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت، 28/3.

<sup>44</sup> يقول ابن عاشور (ت: 1973/1393): "يقع على المفسر أن يتعرف عادات القرآن من نظمه وكلمه" ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، 124/1. ومن تلك العادات الغالبة المطردة التي نلاحظها عند تتبع آيات القرآن الكريم: نجد أنه إذا ذكرت آية في الوعيد، يعقبها آية في الوعد، أو إذا ما ذكرت اللجنة يتبعها ذكر النار، وإذا ما ذكر العذاب يجيء بعده ذكر الرحمة والنعيم، وأمثلة ذلك كثير في القرآن منها: [سورة الحج من 19 وحتى 23]، و [سورة محمد الآية: 15]. ومن عادات القرآن أيضاً: التعريض كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ...﴾ [آل عمران: 154] ومن عادات القرآن أنه كلما ذكرت الدلائل الموجودة في الأنفس، فإنه يُذكر عقبها الدلائل الموجودة في الآفاق ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: 5- 6- 7] ثم جاء بعدها: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ \* وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ \* إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: 11 - 12 - 13].

<sup>45</sup> وضَّح ابن عاشور (ت: 1393هـ - 1973م) تلك المقاصد، فعد منها ثمانية: "الأول: إصلاح الاعتقاد، الثاني: تهذيب الأخلاق، الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة، الرابع: سياسة الأمة، الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة، السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول" ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، 39/1-40-41.

"كالسورة الواحدة وكالآية الواحدة يصدّق بعضها بعضاً ويبين بعضها معنى بعض"<sup>46</sup> وغاية المفسر الوصول إلى مراد الله تعالى ومقصوده من كلامه بأفضل تعبير وأجمل بيان يحتمله المعنى ويجيزه ولا يأباه اللفظ أو يستبعده، لذلك وجب عليه القيام بكل ما يوضح المراد من مقاصد آيات القرآن ومراميه وغاياته، وعلماء التفسير بدورهم قد وضعوا قواعد وشروطاً لمن أراد الاشتغال بالتفسير، وكان من أهم تلك القواعد والشروط؛ النظر في السياق والجو العام للآيات، وكذلك قدرة المفسر على معرفة الأحوال والظروف والملاسات التي تحيط بالنص القرآني فكان لا بد له من استحضار القرآن بعمومه وتحليل سياقاته ومعرفة وجوهها ومقتضياتها، فمن سمات هذا الكتاب تناسقه وتكامله بين كلماته وآياته وسوره كافة.

### 1.2.2.2. سياق السورة:

إن ما يُميّز سُور القرآن الكريم ويدلُّ على إعجازه؛ وجود التناسب بين السور المتعددة من جهة، والتناسب في آيات السورة الواحدة من جهة أخرى؛ فالسورة الواحدة بناء متكامل ونسيج منظم، يأتي غرضه متوافقاً مع أغراض متتابعة منسجمة يُفضي بعضها إلى بعض، ويستطيع قارئ القرآن ومدبره أن يقوّي فهمه لمحتوى السورة ومضمونها من خلال الوقوف على سياقها العام وفهم تناسب بنائها. وهناك تناسب في داخل السورة بين المعنى والمبنى أو فيما يسمى عند البلاغيين (تناسب اللفظ ضمن السياق) فيأتي كل لفظ في القرآن مثلاً منسجماً في التركيب الذي وضع فيه، والبقاعي (ت. 1480/885) في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ذكر التناسب بين خواتيم السور وبدايات السور اللاحقة لها فربط السياقات ببعضها فاهتم بالسياق واهتم بالترتيب المعجز للآيات.

والشاطبي (ت. 1388/590) في الموافقات يقول: "اعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا تتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر.. والاختصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها"<sup>47</sup>. فالنظر إلى سياق السورة من مبدئها إلى منتهاها هو إحدى طرق التأويل السليم وإهمال بعض أجزاءها خطأً جسيماً، والإمام الشاطبي (ت. 1388/590) أيضاً استدل بسياق سورة الأنعام كاملة على أن المراد بالظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] هو الشرك؛ فيقول: "سياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم أنواع الشرك على الخصوص، فإن السورة من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد"<sup>48</sup> واستدلّاه هذا بسياق السورة يحتمل الصواب بدرجة كبيرة، فالسياق يبيّن ويفسّر ويشرح الغامض والمتشابه.

<sup>46</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 295/32.

<sup>47</sup> الشاطبي: الموافقات، 268/4.

<sup>48</sup> الشاطبي: الموافقات، 27/4.

ويلاحظ من يعيش في ربوع القرآن أن لكل سورة من سورته طالت أم قصرت؛ روحًا تميزها وخاصيةً تختص بها وجوًّا يسودها ويكون لها موضوعًا واحدًا أو مواضيع متعددة فيكون "سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو.. وهذا طابع عام في سور القرآن جميعاً، ولا يشذ عن هذه القاعدة طوال السور"<sup>49</sup> ومثل ذلك السور القصيرة أيضاً، فتكون السورة وحدة متماسكة بُيئت على مقاصد، القارئ لها لا يشعر باختلاف التنسيق ولا بخلل الترتيب بل يرى نظاماً في تمام التألف والانسجام والترابط "كل ذلك بغير تكلفة.. وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه"<sup>50</sup>، فمثلاً تكون الآيات في السورة الواحدة متلاحقة قصيرة نسبياً وتكون أحياناً في سورة أخرى طويلة إلى حد ما، فتطول في جميع آيات تلك السورة الواحدة، وكذلك المعاني نجدتها متوافقة والأساليب البلاغية والنحوية متماثلة وتتشابه الفواصل حتى تغدو كلوحة بديعة غاية في إتقان النظم، وحسن التأليف وجمال المعاني واتساق المباني.

### 1.2.2.3. سياق المقطع (النص):

سياق النص أو سياق المقطع هو جزء من السورة، يكون ذا غرض واحد وموضوع واحد وبرغم اختصاص موضوعه وغاياته لكنه يتسقى ويتناسب مع وحدة السورة، ونجد سياق المقطع غالباً في القصص أو في بعض التشريعات والموضوعات كقصة آدم وآيات بني إسرائيل، وآيات القبلة وآيات الحج في سورة البقرة.

ومن أمثلة اعتبار سياق المقطع وإعماله قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [سورة المائدة: 82]، قال بعض المفسرين: إن المراد هم النصارى في ذلك الوقت وقال السمرقندي (ت. 985/375): "قال معظم المفسرين: إن المراد به النصارى الذين أسلموا، وفي سياق الآيات دليل عليه، وهو قوله: ﴿فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: 85]"<sup>51</sup> فاستدل السمرقندي (ت. 985/375) كان استدلالاً بآية لاحقة ضمن المقطع الواحد لتدعيم ما ذهب إليه هو وغيره من المفسرين.

ومن ذلك اختلاف المفسرين بالمراد بـ (الذكر) في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: 2]، فبعضهم رأى أن المراد بـ (الذكر المحدث) هو نزول شيء من القرآن، وبعضهم رأى أنه

<sup>49</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ - 2003م، 27/1-28.

<sup>50</sup> دراز: محمد بن عبد الله، النبأ العظيم، دار القلم، دمشق، طبعة عام 1426هـ - 2005م، ص188.

<sup>51</sup> ينظر: السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م، 453/1.

إحداث الله الأمر بعد الأمر، ومنهم من قال أن المراد هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم استدلالاً بسياق الآيات اللاحقة<sup>52</sup>؛ وهو قوله تعالى: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: 3]. وفي قصة يوسف مع امرأة العزيز قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: 53] قيل إن هذا قول يوسف عليه السلام<sup>53</sup>، وقيل إنه حكاية قول امرأة العزيز، وهو ما رجحه ابن كثير (ت. 1372/774) استدلالاً منه بسياق القصة فقال: "وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام... لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم"<sup>54</sup>. وقوله تعالى في سورة البروج: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ [البروج: 13]، قيل في تفسير هذه الآية أقوال: منها أنه تعالى يبدئ خلق الخلق ثم يعيدهم يوم القيامة، ومنها أنه يبدئ العذاب في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة. وهذا القول الأخير رجحه أبو جعفر النحاس (ت. 950/338) استدلالاً بسياق المقطع فقال: "وهذا أشبه بالمعنى لأن سياق القصة أنهم أحرقوا في الدنيا ولهم عذاب جهنم"<sup>55</sup>. نفهم مما سبق أن سياق المقطع أحد أنواع السياقات القرآنية وهو جزء من وحدة السورة وتكاملها، ينظر له بعين الاعتبار وتراعى خصوصيته وموضوعه.

#### 1.2.2.4. سياق الآية

سياق الآية هو جوها العام الذي جاءت فيه، والنسق الذي سارت عليه، والنظر إلى مضمونها ومدلولاتها بشكل خاص فكل آية بحد ذاتها إبداع وإعجاز مستقل، وقرآن معتبر، قال الطبري (ت. 923/310): "توجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان مُنْعِداً عنه"<sup>56</sup>. والمستعرض لكتب التفسير يجد أن المفسرين قد اهتموا بسياق الآية وأعملوه واستدلوا به على كثير من أجوبتهم وتأويلاتهم أو ترجيحاتهم. ولنأخذ أمثلة على ذلك منها قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَلَىٰ شَيْئٍ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: 223] فقد اختلفت الروايات في المقصود بالتقدمة للأنفس، فمنهم من فسرها بطلب الولد ومنهم من فسرها بالتزوج بالعفاف، ومنهم من فسرها

<sup>52</sup> ينظر: الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ - 2002م، 269/6.

<sup>53</sup> وهذا ما رآه الإمام الطبري (ت. 923/310) ينظر: تفسير الطبري، 142/16.

<sup>54</sup> تفسير ابن كثير: 395/4.

<sup>55</sup> النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، 121/5.

<sup>56</sup> تفسير الطبري: 91/6.

بالتسمية عند الجماع.. وغير ذلك، لكن الثعلبي (ت. 1035/427) والبغوي (ت. 1122/516) في تفسيريهما نقلاً عن السدي (ت. 745/127) والكلبي (ت. 763/146) أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: 223] هو "الخير والعمل الصالح" بدليل سياق الآية نفسها وهو قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ [البقرة: 223]<sup>57</sup>. إذاً فهذا إعمال من المفسرين لسياق الآية في اختيار أحد المعاني التأويلية دون غيره.

ومثال آخر: اعتقد أناسٌ مشروعية الغزلة واستحبها مطلقاً في فهمهم قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَرَضْتُهُمْ وَمَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: 16] إلا أن القاسمي (ت. 1914/1332) في محاسن التأويل رفض تأويلهم وفند فهمهم فقال: "زعم قوم أن الآية تفيد مشروعية الغزلة واستحبها مطلقاً. وهو خطأ.. وسياق الآية في الاضطهاد فحسب"<sup>58</sup>.

ومثال آخر قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّنَا لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّنَا لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: 6] هذه الآية أشكلت على بعض المفسرين، واختلفوا فيها، ورأوا أنها متعارضة مع آيات أخرى وقال بعضهم إنها محكمة وقال آخرون إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]، والظلم ههنا الشرك<sup>59</sup>، وقد أوضح ابن عاشور (ت. 1973/1393) هذا الإشكال الحاصل في آية الرعد مستدلاً بسياق الآية فقال: "وسياق الآية يدل على أن المراد بالمغفرة هنا التجاوز عن المشركين في الدنيا بتأخير العقاب لهم إلى أجل أَرَادَهُ اللهُ أو إلى يوم الحساب، وأن المراد بالعقاب في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّنَا لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: 6] ضد تلك المغفرة وهو العقاب المؤجل في الدنيا أو عقاب يوم الحساب..."<sup>60</sup>.

<sup>57</sup> ينظر: تفسير الثعلبي: 163/2. وينظر: البغوي: معالم التنزيل، 1/294.

<sup>58</sup> القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، 11/7.

<sup>59</sup> ينظر: المقري: أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1404هـ، ص109.

<sup>60</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، 13/93.

إذا علمنا هذا فإن تحديد المعنى المراد لأحد المفردات أو الجمل يبدأ بسياق الآية دون تجاوز ذلك إلى ما قبلها أو ما بعدها من آيات فيعطي سياقها دلالة خاصة توضح لنا المعنى المراد من بين المعاني الأخرى المحتملة وبذلك يحصل المنشود من فهم كلام الله وإدراك مقاصده.

### 1.3. أركان السياق

يختلف الركن عن النوع؛ فركن الشيء "جانبه الأقوى"<sup>61</sup> أي ما يقوم عليه الشيء ، فهو كالعماد للبناء والركن في السياق لا يقوم السياق إلا به. وفي دراسة النصوص والمعاني ذكر الباحثون ثلاثة أركان للسياق كما يلي:

#### 1.3.1. وفق نظرية (فيرث FIRTH):

أولاً: اللغة: ونعني بذلك وجوب اعتماد لغوي على ما يسمى بالمقام أو سياق الحال، وحدد (فيرث) العناصر الأساسية لسياق الحال بالمتكلمين أولاً ويتضمن: ( أ- كلام المشاركين والحدث غير الكلامي أي الأفعال ب- السلوك أثناء الكلام ج- شخصية المتكلم) ثم الأشياء وثيقة الصلة بالموقف ثانيًا، وأثر الحدث الكلامي في المشتركين ثالثًا.

ثانيًا: بيئة الكلام: ويُقصد بذلك وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس، تحديداً دقيقاً أو بين مستوى كلامي ومستوى آخر.

ثالثًا: مراحل الكلام: أي وجوب النظر إلى الكلام اللغوي على مراحل لأنه مكون من أحداث لغوية مركبة أو معقدة وهي فروع اللغة المختلفة<sup>62</sup>.

وقسم بعض الباحثين العرب المهتمين بتفسير القرآن أركان السياق خمسة أركان فكان أكثر تفصيلاً:

#### 1.3.2. وفق بعض الباحثين:

أولاً: الخطاب: وهو النص اللغوي.

<sup>61</sup> أبو البقاء: أيوب بن موسى الحسيني القرمي الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، فصل الرء، ص 481.

<sup>62</sup> ينظر: عمر: أحمد مختار، علم الدلالة، ص68. وينظر: مؤمن: أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط2، 2005م، ص174. وينظر: حسان: تَمَام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، 1973م. ص337 - 338.

ثانيًا: مصدر الخطاب (المرسل - المتكلم): هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب لأنه هو الذي يتلقّظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه.

ثالثًا: متلقي الخطاب (المرسل إليه - المخاطب)<sup>63</sup>: هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمدًا، والذي يختلف من متلقٍ إلى آخر وفق التأويل والفهم الخاص بكل شخص.

رابعًا: المساق: هو الملابس والظروف والأحوال التي تؤثر في دلالة الخطاب وفق الحياة الخاصة والتاريخ الاجتماعي للمتخاطبين.

خامسًا: ألفاظ الخطاب ودلالات تركيبه<sup>64</sup>.

وبعض الباحثين الدارسين للقرآن فسّموا أركان السياق وفق اللغة فحسب فكان كما يلي:

أولًا: السباق: وهو "الكلام الذي يبين معنى ما بعده"<sup>65</sup> فلا يمكن التعرف على معنى الكلام بدون الرجوع إلى ما يسبقه من عبارات تشتمل على القرائن المؤدية للمعنى.

ثانيًا: اللحاق: وهو: "الكلام الذي يبين معنى ما قبله"<sup>66</sup>.

ثالثًا: ألفاظ الكلام: وهذا الركن يقوم على ثلاثة أمور:

أ- المفردات: لأنها مفتاح النص.

ب- هيئة الكلمة: بمعرفة تصريفها واشتقاقها.

ت- النظر في نظم الجمل وعلاقتها ببعض. وفي دراسة المتشابه من

مباحث نظم الجملة الشيء الكثير فإننا نجد من أنواع المتشابه كالتقديم

والتأخير، والحذف والذكر، وصور التوكيد، والوصل والفصل، وترتيب

الجمل...<sup>67</sup>.

<sup>63</sup> ملاحظة: تبّه ابن تيمية رحمه الله في مقدمته على وجوب الاهتمام بالمخاطبين والظروف التي تحيط بهم، وكذلك النظر إلى المتكلم به (الخطاب) وإلى سياق الكلام أثناء تفسير الخطاب. ينظر: ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، طبعة عام: 1490هـ - 1980م، ص33.

<sup>64</sup> ينظر: علي: محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007م، ص155، 157، 160. وينظر: الشهري: عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004م ص45، 47.

<sup>65</sup> القاسم: عبد الحكيم، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، ص95.

<sup>66</sup> المرجع السابق: ص95.

<sup>67</sup> ينظر: باحويرث: تھاني، أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، 1428هـ - 2007م، ص73.

وبدورنا نأخذ التقسيم الأخير لأركان السياق الذي كان تقسيمًا لغويًا وفق السياق المقامي (بيان الحال)، وهذا يناسب دراستنا في دور السياق لفهم المتشابه اللفظي حيث اعتمدت على السابق واللاحق والدلائل والقرائن اللفظية.

## 1.4. دلالة السياق

### 1.4.1. دلالة السياق اصطلاحًا:

للسياق اللغوي دلالة في بيان معنى الجملة التي تتابع فيها الكلمات، وتؤدي فيها القرائن اللغوية أو البلاغية دورًا في الفهم الدقيق لدلالة معنى هذه اللفظة أو تلك من خلال الكلام السابق وضمّه مع الكلام اللاحق. فلا تُفهم بعض الألفاظ إلا من خلال السياق، وتؤدي القرائن دورًا في فهم السياق وإزالة اللبس إن وجد في العبارة.

وقد عرّف الباحثون دلالة السياق اصطلاحًا على أنها "فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده"<sup>68</sup> أو هي: "مفهوم غير مصرح به في النص يشير إليه عموم ارتباط السياق بالسباق واللاحق في أسلوب الخطاب الذي يبحث فيه عن ذلك المعنى"<sup>69</sup>. أو بتعبير آخر هي: "تلك المعاني التي تُفهم من تراكيب الخطاب، ويشعر المنطوق بها بواسطة القرائن المعنوية"<sup>70</sup>.

وبعضهم يميّز بين دلالات الكلمة واعتبر أن للكلمة دالتين: دلالة معجمية، ودلالة سياقية وهذه الأخيرة تكون مكتسبة من خلال تركيب الكلمات وضمّها بعضها إلى بعض؛ والدلالة المعجمية تمثل التصور الأولي للكلمة والذي يفهم من خلال مدلول الكلمة اللغوي، أما الدلالة السياقية فإنها تمثل المعنى الإضافي أو الثانوي ويطلق على هذا النوع من الدلالة بـ (ظلال المعنى) وهو المعنى الذي نحصل عليه من خلال تأليف الكلمات بعضها ببعض واستعمالها ضمن جمل الكلام.

نخلص مما سبق إلى تعريف مختصر لدلالة السياق فنقول: إنها الدلالة المكتسبة من الكلام السابق واللاحق بما توحى به القرائن الموجودة.

<sup>68</sup> القاسم: عبد الحكيم، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، ص 93.

<sup>69</sup> هذا التعريف يرجع للدكتور عويد المطرقي نقله عنه الباحث فهد الشتوي في رسالته: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى (سالة ماجستير)، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، 1426هـ - 2005م، ص 29.

<sup>70</sup> حمادي: إدريس، المنهج الأصولي في فقه الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1998م، ص 45.

## 1.4.2. دلالة السياق في اللغة العربية والقرآن الكريم:

إن اللغة العربية هي لغة أدبية تتفرع عنها علوم كثيرة منها علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم النحو، وعلم الدلالة.

وعلم الدلالة علم يهتم بدراسة المعنى والكلمة، وتوضُّع الكلمة في سياقها المناسب، كما أن علم الدلالة يهتم بدراسة الدلالة المعجمية والحقول اللغوية، وهو علم قائم بذاته، ويرتبط بدرجة كبيرة بعلمي النحو والبلاغة. كما يدرس العلاقة بين الكلمات في الجملة الواحدة، ويبين أثر اللفظ في السياق سواءً منه السابق واللاحق.

ولكل لفظ دلالة الوضعية التي يطلق عليها (مُسَمَّى) فتسمية الشيء هو اسمه الذي يعبر عنه، وهناك دلالة معجمية وهي المعنى المعجمي، وهناك دلالة تأويلية بحسب التفسير والتأويل. والقرآن الكريم يوجد فيه الكثير من الألفاظ التي تووَّل بدلالات (تأويلية تفسيرية). وهناك دلالة سياقية وهي تُفهم من السياق إذ يختلف معنى اللفظة من سياق إلى آخر في جملة وأخرى.

وقد قسّم المناطق وأهل الكلام الدلالة إلى لفظية وغير لفظية. وقسم البلاغيون دلالة اللفظ إلى دلالة وضعية ودلالة عقلية. وقسّم ابن جني (ت. 1002/392) دلالة اللفظ تقسيماً مغايراً إلى دلالة لفظية ودلالة صناعية ودلالة معنوية<sup>71</sup>. وتقسيم ابن جني (ت. 1002/392) أقرب للتقسيم النحوي فتحدث عن الزمن، والناحية اللفظية، والصناعية، للمصادر والأفعال.

فالدلالة عمومًا يمكن أن تكون واضحة بيّنة، أو أن تظهر من خلال المعنى عمومًا فتكون معنوية أو غير لفظية، فيدل عليها ما وراء المعنى أو ما يسمى في علم البلاغة الحديث بـ (ظلال المعنى) وقديمًا بـ (معنى المعنى)<sup>72</sup>.

للقرآن الكريم أسلوبه الخاص الذي يتميز به عن باقي الكتابات الأدبية السامية، فلا يأتي فيه لفظ قَلْبٌ ولا نابٍ بل يأتي كل لفظ في مكانه المناسب، فإذا أردنا أن نستبدل كلمة بكلمة مرادفة لها فإن ذلك

<sup>71</sup> ينظر: ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 4/100.

<sup>72</sup> مصطلح (معنى المعنى) شرحه الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بقوله: "أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر". الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م، 1/263.

يُنقَص من القيمة البلاغية الإعجازية في القرآن الكريم، لذا اتصف تركيب القرآن بالأدب الراقي الذي لا يصل إليه أي أديب ولا بليغ مهما تمكن من البلاغة وقوة البيان.

إن دلالة السياق القرآني وفق ما نرى هي فهم المعنى وفق القرائن الموجودة في النص التي تجلو الغموض وتزيد المعنى بياناً.

إذن فالسياق القرآني هو الأغراض المقصودة والغايات المنشودة التي بني عليها نظم الآية وما أحاط بها من أحوال وقرائن قولية لفظية أو حالية مقامية.

ودلالة السياق في التفسير هي: "بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق، إلا بدليل صحيح يجب التسليم به"<sup>73</sup> والسياق القرآني يرتبط ليس بالآية الواحدة فحسب بل بالآية السابقة واللاحقة وربما ارتبط بآيتين سابقتين أو أكثر من آية لاحقة ويتجلى مفهوم السياق ودلالته في طيات التفسير القرآني، فالتفسير بالنظر إلى سياق الآية وسياق المقطع هو أول مراتب التفسير وأفضلها، فتفسير القرآن بالقرآن يعتمد على السياق والقرائن في آية ومثيلاتها في آية أخرى من سورة أخرى وردت بتوضيح أكبر وإشارة أعمق.

## 1.5. أهمية السياق

إن أي خطاب في اللغة يتكون من مفردات ومُجمل، وللمفردات ضمن الجملة مراد معلوم، وهذا المراد يُعرف من خلال عدة أمورٍ منها السياق، فالسياق يفرض ذاته في النص، والخطاب لا يستعمل إلا في إطار سياق ومقام معين.

وهناك بعض النظريات الحديثة اعتمدت على السياق في فهم الخطاب، فالأفكار التي يولِّدها المفهوم العام للخطاب يدل على إيجاءات تُفهم من خلال السياق اللساني وفق المدلول النحوي واللغوي والبلاغي.

وتكمن أهمية السياق في أن له دوراً في فهم معنى الكلمة الدقيق في النص، إذ يصعب فهم المراد من اللفظة بدون فهم سياقها الذي وجدت فيه. والسياق أصل معتبر من أصول التفسير عند علماء التفسير والأصول ولا سيما في حل الخلاف والإشكالات والمتشابهات. ويحضرنا هنا قول الشاطبي (ت).

<sup>73</sup> القاسم: عبد الحكيم، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، ص 93.

1388/590) مبيّنًا أهمية السياق: "فلا محيص للمتفهم عن ردّ آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره" <sup>74</sup>.

كما أن للسياق دورًا في تحديد المقصود من الكلام والحزم بعدم احتمال غير المراد وله دور في تبيين ما أجمل من الكلام أو تخصيص ما كان عامًا أو تقييد ما ورد مطلقًا، وللسياق دور مهم في بيان الدلالات أو ترجيحها في الآية القرآنية فإذا كان الكلام له وجهان أو له أكثر من معنى فالقرينة التي هي ضمن سياق الكلام هي الفيصل في توجيه المعنى العام المراد وفق هذا المعنى أو ذلك.

هناك أحيانًا نجد لفظة قرآنية ولهذه اللفظة وفق القاموس معان كثيرة موجودة في المعجم اللغوي، ويأتي السياق ليوجهنا نحو المعنى المراد في الآية، وتأتي البلاغة لتحديد فيما إذا كانت هناك إبهامات مجازية أو صور بيانية أو معانٍ نفسية، من خلال السابق واللاحق لفهم القيمة التعبيرية للكلمات المتلاحقة التي تشكل الجملة القرآنية.

وللسياق أهمية خاصة لدى المفسرين فهو مرشد ومعين على فهم المعنى المراد من الكلمة بحسب مكانها الملائم مع موضوع النصّ أو المقطع فما لم يرد فيه نقل يؤثر عن السلف ممن يعتبر قوله وتفسيره نجد معظم المفسرين قد أعملوا فيه السياق والقرائن واستدلوا بهما في عملية التفسير كأحد المرجّحات والدلالات على حقيقة مقاصد الآيات ومعانيها. "فالنظر إلى سياق الآيات (السابق واللاحق) وتقييمها تقييمًا مناسبًا يلعب بدون شك الدور الأهم في عملية فهم القرآن وإهمال السياق تكون محاولة الفهم ناقصة وأقرب إلى الخطأ ثم من الطبيعي أن تكون كل التعليقات والتحليلات والتقييمات المستنتجة من النص خاطئة" <sup>75</sup>.

وتكمن أهمية السياق القرآني في النقاط التالية <sup>76</sup>:

**أولاً: تُعدُّ دلالة السياق جزءًا مهمًا في فهم الآيات القرآنية:**

فدلالة السياق تفيد في فهم المعنى وتزيل اللبس والإشكال في بعض الألفاظ. فلا يمكن لنا أن نفرس لفظة قرآنية معينة من معجم لغويّ ونُسقط معنى اللفظة على التفسير مع إهمال السياق التي جاءت فيه بل يجب علينا أن نقرأ اللفظة ضمن سياقها ثم نفرسها ونسترشد بالمعنى المعجمي لأن التفسير أعمق من

<sup>74</sup> الشاطبي: الموافقات، 266/4.

<sup>75</sup> Bknz: UZUN, Nihat, *BAĞLAM VE KUR'AN'IN ANLAŞILMASI ÜZERİNE*, Ankara Okulu Yayınları, Ankara, 2016, S. 16.

<sup>76</sup> استفدنا بعض هذه العناوين من كتاب (دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير - دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير-) للدكتور عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، وكذلك دراسة (دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام) للباحث فهد الشنوي.

المعنى اللغويّ السطحيّ فهناك دلالات أدقّ وأشمل يفهم مقصودها من خلال أساليب العرب والشعر العربيّ القديم والتطور الدلاليّ اللغويّ للألفاظ فيقارن استخدام لفظة معينة في الشعر أو النثر القديم في سياقه مع لفظة مشابهة في سياق مشابه من القرآن الكريم فيُفهم معنى النص ومدلول الآية وفق مقارنات سياقية.

و"السياق هو معيار مهم للفهم ولأصول منهج التفسير، وهو الضمان الذي يحفظ ويقوي عاملي الفهم والتفسير عند التعبير.. وإن مجانبة الصواب تغلب في أصول التفسير والفهم التي لا تراعي السياق"<sup>77</sup>.

وكذلك تعتبر دلالة السياق نوعاً من تفسير القرآن بالقرآن، ومن المعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن هو أول طريق للتفسير لمن اشتغل في هذا العلم، أو سلك هذا الطريق، والأمثلة على هذا النوع كثيرة منها: تفسير لفظة (يَعِدُّكُمْ) على لسان مؤمن بني إسرائيل للكفار في قوله تعالى في سورة غافر: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ﴾ [غافر: 28] بأنه "العذاب الأدنى المعجل في الدنيا"<sup>78</sup>، لقوله تعالى في آخر هذه السورة: ﴿فَمَا نُؤَيِّنْكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُّهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ [غافر: 77]، فكلمة (نَعِدُّهُمْ) هنا جاءت في سياق العذاب كما هو واضح من سياق الآية، ولكون هذه الآية وتلك الآية التي فيها (يَعِدُّكُمْ) وردتا في سورة واحدة فسرهما الذهبي بمعنى واحد استدلالاً منه بسياق الآية.

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قوله: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِأُذُنِي هَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أذنيه: "يُخْرِجُ اللَّهُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ"، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ فِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾، فَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّكُمْ تَجْعَلُونَ الْخَاصَّ عَامًّا هَذِهِ لِلْكَفَّارِ أَقْرَبُ مَا قَبْلَهَا ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ \* يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: 36 - 37] هذه للكفار"<sup>79</sup>، فاستدل جابر رضي الله عنه بسياق الآية نفسها أن مرتكب الكبيرة ليس مخلدًا في النار كما يؤمن بذلك الخوارج والمعتزلة.

<sup>77</sup> Bknz, ÜNVER, Mustafa, *TEFSİRİN TEMEL BİR İLKESİ OLARAK SİYAKA RİAYET ELMALILI TEFİRİ ÖRNEĞİ-*, Tefsir Araştırmaları Dergisi, Sayı: 1, 2017, 1/117.

<sup>78</sup> الذهبي: د. محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، 31/1.

<sup>79</sup> ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م، 527/16.

ثانيًا: تُعدُّ دلالة السياق مستندًا مهما في تفسير النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من بعده للقرآن.

مثال ذلك ما رواه الترمذي: "عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني، أنَّ عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60] قالت عائشة: أهُم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: "ألا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تُقبل منهم" ﴿أولئك يُسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ [المؤمنون: 61]<sup>80</sup> وهذا استدلال من النبي صلى الله عليه وسلم بسياق آية لاحقة لتفسير آية سابقة.

ومن أمثلة مراعاة الصحابة والتابعين للسياق في التفسير ما جاء في تفسير الطبري (ت. 923/310): "عن يسيع الحضرمي قال: كنت عند علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أرايت قول الله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141]، وهم يقاتلوننا فيظفرون ويقتلون؟ قال له علي: ادنه، ادنه! ثم قال: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾"، يوم القيامة.<sup>81</sup> فاستدل علي رضي الله عنه على تفسير الآية بسياق الآية نفسها أن المراد لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا يوم القيامة وليس في الدنيا كما فهم السائل.

ثالثًا: السياق مهم في بيان المتشابه اللفظي في القرآن وهذا هو مدار بحثنا في هذه الدراسة وسنرى أمثلة ذلك في الفصل الرابع إن شاء الله.

رابعًا: يعين السياق على تحديد معنى المشترك اللفظي:

ويقصد بالمشترك اللفظي: اللفظ الذي يدل على أكثر من معنى. ومن ألف في ذلك الدامغاني (ت. 1085/478) وابن الجوزي (ت. 1201/597). وكذلك أشار السيوطي (ت. 1505/911) إليه في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) وكان ممن أشار إلى أهمية السياق لتحديد معنى المشترك

<sup>80</sup> الترمذي: سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ - 1975م، أبواب تفسير القرآن (باب: ومن سورة المؤمنون)، رقم الحديث: 3175، 327/5.

<sup>81</sup> تفسير الطبري: 327/9.

اللفظي في القرآن الكريم المبرد (ت. 899/286) في كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) وابن الأنباري (ت. 940/328)<sup>82</sup>.

ومثال على ذلك لفظة (الصلاة): حيث لها عدة أوجه منها: الصلاة الشرعية، والمغفرة، والاستغفار، والدعاء، والقراءة، والدين، وموضع الصلاة، وصلاة الجمعة، وصلاة العصر وصلاة الجنازة..<sup>83</sup> وتحديد المعنى المراد للفظة (الصلاة) مكان ورودها في القرآن الكريم يكون بالنظر إلى السياق والحال التي وردت فيه. فمثال الصلاة الشرعية قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [المائدة: 55]، ومثال الدُّعَاءِ قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: 103]، ومثال القراءة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ [الإسراء: 110] ومثال موضع الصلاة قوله تعالى في الحج: ﴿هَدَّيْتُمْ صَوَامِعَ وَبِيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدَ﴾ [الحج: 40]. إذا فكلُّ تلك المعاني مُسْتَمَدَّةٌ ومفهومة من السياق القرآني بمختلف أنواعه.

#### خامساً: يعين السياق على تقدير المحذوف:

فالقرآن الكريم يذكر ما هو مناسب ذكره مما تقتضيه الفائدة والحكمة، ويحذف ما يدل السياق عليه وتتطلب الحكمة والفائدة إغفاله.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: 135] ففي الآية فعل مقدر محذوف تقديره بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً، بدلالة سياق الآية نفسها حيث أمر اليهود المسلمين باتباع ملتهم، وكذلك أمر النصارى باتباع ملتهم ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: 135] فكان التقدير مستتباً من سياق الآية بل (نتبع) ملة إبراهيم حنيفاً.

#### سادساً: يعين السياق على تحديد أو ترجيح سبب نزول الآيات وملاساتها وأحوالها:

فعلم أسباب نزول القرآن، هو أحد أهم أنواع مباحث علوم القرآن، فهو يعين على تفسير الآية وفهم المراد منها. وكثير من الآيات التي قد تشكل على قارئ القرآن لا يزول الإشكال إلا بمعرفة سبب نزولها، والسياق بدوره يساعد على تبيين أو ترجيح سبب نزول الآيات وأحوالها وظروفها.

<sup>82</sup> ينظر: عمر: أحمد مختار، علم الدلالة، ص 148 - 150.

<sup>83</sup> ينظر: ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م، ص 393 - 396.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65] فقد قال بعض المفسرين إنها نزلت في الزبير بن العوام وخصم له من الأنصار اختصما في شَرْحٍ مِنْ شَرَاخِ الْحَرَّةِ، لكن الطبري (ت. 923/310) رفض هذا القول لعدم احتمال السياق له ورجَّح أنها نزلت في الرجل المنافق الذي تخاصم مع يهودي فتحاكما إلى رجل يهودي قيل إنه كعب بن الأشرف وهؤلاء وَصَفَ اللهُ صَفَتَهُمَا بِالآيَةِ السَّتِينَ مِنْ نَفْسِ السُّورَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: 60]. وسبب ترجيح الإمام الطبري (ت. 923/310) لهذا الرأي أنه اعتبر سياق الآية الْمُخْتَلَفِ فِي سَبَبِ نُزُولِهَا هُوَ جُزْءٌ لَا يَنْفَصِلُ عَنِ سِيَاقِ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي وَصَفَتْ أَوْصَافَ الْمُنَافِقِ وَالْيَهُودِيِّ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: 60]<sup>84</sup> فاعتمد الطبري على سياق المقطع لترجيح سبب نزول على آخر.

ومثال آخر لذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: 69] اختلف المفسرون في المقصود بالمجادلين في هذه الآية فقال بعضهم: هم القدرية وقال بعضهم: بل هم أهل الشرك. وأغلب الظن أنهم أهل الشرك بدليل الآية التي بعدها ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ [غافر: 70] فهي لاحقة مبيِّنة وتزيل اللبس لمن يمكن أن يستفهم.

سابقاً: يساعد السياق في معرفة النسخ من عدمه:

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 184] اختلف المفسرون في هذه الآية بين النسخ والإحكام، ولكلا الفريقين أدلته، ورجح أبو جعفر النحاس (ت. 950/338) أنها منسوخة استدلالاً بالسياق فقال: "في هذه الآية أقوال أصحابها أنها منسوخة، سياق الآية يدل على ذلك والنظر والتوقيف من رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>85</sup>.

ثامناً: السياق مهم في بيان المناسبات على اختلاف أنواعها:

فعلم المناسبات علمٌ عظيمٌ يتجلى في ربط كلام الله تعالى ببعضه ببعض ويعين على فهم الآية وحسن تأويلها، ويوضح ترابط السياق بين الآيات واتساق المعاني. ومن أهم المفسرين الذين اعتنوا ببيان

<sup>84</sup> تفسير الطبري: 524/8.

<sup>85</sup> النَّحَّاسُ: النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ، ص 94.

المناسبات والروابط والصلوات بن السور والآيات الرازي (ت. 1210/606)، وأبو حيان (ت. 1344/745)، والبقاعي (ت. 1480/885)، وابن عاشور (ت. 1973/1393) وغيرهم. والمناسبات جزء من السياق وأحد مكوناته، ومن الأمثلة التي تبين دور السياق في فهم المناسبات بين الآيات قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]. هذه الآية تستوقف متدبر القرآن الكريم وتحتُّه على فهم مناسبتها مع ما قبلها وسرّ الأمر بها ومحيثها في هذا الموضوع خصوصاً، حيث إنها جاءت في سياق الحديث عن الخطبة والنكاح والطلاق والمشاكل العائليّة والأولاد والنفقات.. وما شابه ذلك، وعند تأمل السياق تتضح لنا وجوه المناسبة من عدة أمور منها:

أولاً: إن الله تعالى لما أطال الحديث عن النكاح والطلاق والأحكام التي تتعلق بالنساء بشكل خاص، ومثل هذه الأمور والأحداث هي مظنة لانصراف الإنسان وانشغاله عن الغاية الكبرى التي خلق لأجلها وهي عبادة الله وطاعته فجاء الأمر بالصلاة لينبّه الإنسان على عدم الانشغال بما قد يلهمي عن الصلاة وذكر الله، وفي هذا قال البيضاوي (ت. 1292/691): "لعل الأمر بها في تضاعيف أحكام الأولاد والأزواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها"<sup>86</sup>.

ثانياً: لما كان سياق الحديث في الآيات السابقة عن الطلاق وقبلها كان عن القتال وهذان الأمران كلاهما يعتبر أحد أكثر الأمور التي تسبب الخوف للنفس والقلق والاضطراب والغضب ذكر الصلاة وكأنها دواء تلك الأزمات النفسية وعلاج المشكلات الكبرى ولا شك أن في الصلاة راحة النفس وطمأنينتها وسكينتها.

ومن طريف ما يبين أهمية السياق في تناسب نهايات الآيات وبداياتها ما حصل مع الأصمعي (ت. 831/216) ذات يوم؛ حيث قال: قرأت يوماً هذه الآية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 38]، وإلى جنبي أعرابي فقلت: (والله عفّورٌ رحيمٌ) سهواً، فقال الأعرابي: كلامٌ من هذا؟ قلت: كلام الله قال: ليس هذا بكلام الله أعد، فأعدتُ وتنبّهتُ فقلت: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38] فقال: نعم هذا كلام الله. فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمتَ أني أخطأتُ؟ فقال يا هذا: عزّ فحكّم فقطع، ولو غفرَ ورحمَ لما قطع"<sup>87</sup>. فقهم

<sup>86</sup> البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 147/1.

<sup>87</sup> ينظر: ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ، 546/1.

الأعرابي للسياق بسليقة اللغة العربية عنده، لا يحفظه للقرآن، بيّن له خطأ قراءة الأصمعي وغلطه في الآية وهذا يؤكد لنا أهمية السياق وفائدة معرفته.

**تاسعاً: يُعين السياق على تحديد أسلوب الكلام حين يخالف ظاهره المقصود به:**

كأن يأتي التعبير بالماضي الذي حصل وانقضى ويكون المقصود الحاضر (المضارع) أو يكون المقصود المستقبل أو العكس وحين يكون الأسلوب ظاهره المدح وحقيقته الذم أو ظاهره الخبر والمقصود به الإنشاء .. وهكذا.

ومثال ذلك: قوله تعالى محدثاً عن يوم القيامة ومخبراً عن الحال التي سيؤول إليها فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ فالفعل الأول (يَقْدُمُ) في الحاضر وعطف عليه فعلا في الزمن الماضي (فَأَوْرَدَهُمُ) ولكن السياق يتحدث عن المستقبل بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيفهم من سياق الآية أن الحديث عن يوم القيامة في المستقبل. ومن أمثلة ذلك أيضاً: قوله تعالى: حكاية عن قصة سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: 38] وقوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُسِّرَ \* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ [القمر: 13-14] وقوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: 42]. فالأفعال المضارعة: (يَصْنَعُ)، (تَجْرِي) تدل على قصة حصلت في الزمن الماضي وهذا مفهوم من سياق الآيات، ولكنها استخدمت هنا بالزمن المضارع لاستحضار الصورة أمام القارئ أو السامع؛ حتى يتخيّلها كأنها أمامه تحصل الآن، وهذا من بلاغة القرآن وروعة بيانه، فالقرآن الكريم يستخدم الزمن موضع زمان آخر ليلفت الانتباه ويستحضر المشهد، ومثل ذلك استخدام القرآن الفعل الماضي في الحديث عن مجريات ما سيحصل يوم القيامة. كقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: 73] وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: 68].

**عاشراً: يساعد السياق في بيان سبب التقديم والتأخير أو الذكر والحذف:**

عند التدقيق في نظم القرآن نجد أنه قد يحذف في النظم القرآني حرف أو لفظ أو جملة وذلك حسبما يقتضيه السياق، ويكون ذلك لأغراض بلاغية وفنية تجعل القارئ يشاهد عظمة ذلك التعبير وروعته. ومثال هذا النوع قوله تعالى في سورة الكهف على لسان ذي القرنين ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: 96] فصنع ذو القرنين هذا السدّ من قطع الحديد وأفرغ عليه النحاس. ثم قال في الآية التالية: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾

وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿الكهف: 97﴾ فأخبر عن قوم يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا فوق هذا السدِّ لارتفاعه وانملاسه ولا قدروا على نقبه من أسفله لثخنه وصلابته ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه حذف التاء في (اسْتَطَاعُوا) الأولى وأثبتها في (اسْتَطَاعُوا) الثانية فقابل كلا بما يناسبه فقال: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾<sup>88</sup>.

ومثال التقديم والتأخير قوله تعالى في البقرة: ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِعِزِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: 173]، وقوله في المائدة والنحل: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِعِزِّ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: 3، النحل: 115] أجيب عن هذا الاختلاف بأن آية البقرة وردت في سياق المأكول وحلّه وهو قوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172] فكان تقديم ضمير المأكول، وتعلُّق الفعل به أهم. بينما آية المائدة وردت بعد تعظيم شعائر الله وأوامره والأمر بتقواه، وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ..﴾ [المائدة: 2]، وكذلك آية النحل جاءت بعد قوله: تعالى ﴿واشكروا نعمة الله﴾ [النحل: 114] فكان تقديم اسمه تعالى أهم وأليق بجلاله<sup>89</sup>.

#### حادي عشر: للسياق أهمية في تخصيص العام أو تعميم الخاص:

ذكرنا أن السياق يساعد على تخصيص ما ورد عامًا أو تعميم ما كان خاصًا أو تقييد ما كان مطلقًا.. وهذا يفيد المشتغلين بعلم الأصول وقواعد الترجيح.

طرح الإمام الزركشي (ت. 1392/794) في كتابه البحر المحيط في أصول الفقه سؤالاً مفاده: هل يترك العموم لأجل السياق؟ وذكر أمثلة منقولة عن الشافعي (ت. 820/204) وغيره تؤيد ذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف: 163] فإن السياق أرشد إلى أن المراد أهلها، وهو قوله: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ [الأعراف: 163]<sup>90</sup>.

#### ثاني عشر: للسياق دور في تفسير أسباب اختلاف تعقيب الآيات ذات الموضوع واحد:

<sup>88</sup> ينظر: تفسير ابن كثير، 197/5، وينظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، 293/3.

<sup>89</sup> ينظر: ابن جماعة: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1410هـ - 1990م، ص110. وينظر: الأنصاري: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1، 1403هـ - 1983م، 50/1.

<sup>90</sup> ينظر: الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بشار، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتي، ط1، 1414هـ - 1994م، 503/4. الشافعي: محمد بن إدريس، الرسالة، 61/1 - 62.

أحياناً تجيء آيتان أو أكثر فيكون موضوعهما يدور حول فكرة واحدة فتبدآن بتطابق الكلمات ثم تختلفان بالتعقيب إما اختلاف كلمة واحدة بكلمة أخرى أو جملة بجملة أخرى، وفي هذا الحال يطرح سؤال عن سبب اختلاف التعقيب بينهما مع اتحاد موضوعهما، فيكون السياق أحد أهم طرق التوجيه في فهم ذلك الاختلاف أو ذلك التشابه الحاصل.

ومثال على ذلك: قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: 37].

وقوله في سورة الزخرف: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: 65]. فهناك أسباب لاختلاف تعقيب هاتين الآيتين وفق ما جاء في سياقهما فكلمة (عَظِيمٍ) أقوى من كلمة (أَلِيمٍ) و(عَظِيمٍ) جاءت بعد (الَّذِينَ كَفَرُوا) والكُفْرُ أعظم من الظلم لذلك جاءت كلمة (عَظِيمٍ) للتناسب مع عِظَمِ لفظة الكفر ولفظة (أَلِيمٍ) التي هي أخف من (عَظِيمٍ) جاءت للتناسب مع لفظ (ظَلَمُوا) التي هي أخف من (كَفَرُوا).

ومثال آخر الآية في سورة يونس: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31]، ولو نظرنا إلى الاختلاف والتشابه بين هذه الآية والآية في سورة سبأ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: 24] لرأينا أن المشركين في سورة يونس أقرؤا بكونه تعالى قد فضل عليهم فرزقهم نعمه المال ونعمة السمع والبصر ونعمة الإيجاد من عدم والإحياء فلما كانوا مُعْتَرِفِينَ ومُتَقَرِّبِينَ بهذه النعم صار الاحتجاج به عليهم حسناً فقال تعالى بعده: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ وأما آية سبأ فلم توجد هذه الأسئلة وتفصيلات ذكر النعم فكان كلامه تعالى مختصراً موجزاً ناسبه أمره للرسول بأن يجيب عنهم.

ثالث عشر: للسياق دور في تفسير اختلاف أحوال بعض الألفاظ كالأفراد والجمع:

ومثاله: لفظة (الرِّيح) في القرآن ذُكِرَتْ جمعاً ومفردة وسبب ذلك يرجع إلى السياق غالباً ومثال على ذلك كلمة (الرِّيح) نجد أنها إذا ذُكِرَتْ في سياق الرحمة فإنها تجيء بصيغة الجمع كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: 48]، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: 22]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: 46]. وإذا ما جاءت في سياق العذاب والغضب فإنها تأتي مفردة

كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ [فصلت: 16]، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9]، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6].

## 1.6. التدرج في ظهور مصطلح السياق تاريخياً:

إن مفهوم السياق وُجد عند بعض علماء الفقه والأصول والعقيدة والتفسير... ولكن في إشارات وتلميحات هنا وهناك، ولم يكن بمفهومه الحالي، ومن تلك الإشارات ما ورد عن التابعي مسلم بن يسار (ت. 719/100) رضي الله عنه من تنبيه إلى ضرورة الاهتمام بسابق الكلام ولاحقه وهذا هو مفهوم السياق فقد روى عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه مسلم أنه قال: "إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"<sup>91</sup>. ومن تلك الإشارات ما ذكرناه أيضاً من إشارة الإمام الشافعي (ت. 820/204) في كتابه الرسالة إلى السياق في إطار حديثه عن كيفية البيان حيث عَنَّوَنَ لباب بقوله: "باب: الصَّنْفُ الذي يُبَيِّنُ سياقه معناه"<sup>92</sup>.

أما عند البلاغيين فلم يكن هذا المصطلح بهذا المفهوم أيضاً، وكذلك وجدت بعض الإشارات هنا وهناك إلى مفهوم السياق، وذلك في إطار دراسة الدلالة وتقسيماتها، ثم تطور هذا المصطلح شيئاً فشيئاً إلى أن أخذ معناه الحالي.

واشتهر عندهم مبدأ (لكل مقام مقال) ونقل هذا المبدأ في صحيفته بشر ابن المعتمر (ت. 825/210) إذ يقول: "المعنى ليس يشرف أن يكون من معاني الخاصة كذلك ليس يقبح أن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال"<sup>93</sup>.

وجاء الجاحظ (ت. 869/255)، فكتب في البيان والتبيين بحثاً عن السياق المقامي<sup>94</sup>.

<sup>91</sup> ابن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م، ص377.

<sup>92</sup> الشافعي: الرسالة، 62/1.

<sup>93</sup> الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، 1423هـ، 129/1.

<sup>94</sup> ينظر: المرجع السابق: 129/1.

وقد مر معنا من المفسرين قول الإمام الطبري (ت. 923/310) في تفسيره عندما علل اختياره في إحدى التأويلات بالسياق فقال: "فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى"<sup>95</sup>.

وقد أشار الخطابي (ت. 998/388) إلى السياق إشارة خاطفة دون تعمق حيث يقول: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة"<sup>96</sup>.

وتطرق أبو هلال العسكري (ت. 1005/395) إلى أهمية السياق في كتابه الفروق اللغوية "ويذهب إلى أن اختلاف العبارات يوجب اختلاف المعاني، وأن السياق هو الوسيلة التي تفرق بين قصدية معنى في مقام عن معنى آخر، فالمعاني تناسب ما تشير إليه"<sup>97</sup>، فقال: "الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فُعِرِفَ فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضح اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد"<sup>98</sup>.

ثم يأتي عبد القاهر الجرجاني (ت. 1078/471) بنظرية النظم التي تركز على فكرة السياق في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة). فيقول: "لا نَظَمَ في الكَلِمِ ولا ترتيب، حتى يُعَلَّقَ بعضها ببعض، ويُبَيَّنَ بعضها على بعض، وتُجَعَلَ هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس"<sup>99</sup>. ورأى أن ما أعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن هو: "مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر،... فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها،.. بل وجدوا اتساقا بھر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتثاما، وإتقاناً وإحكاماً"<sup>100</sup>.

<sup>95</sup> تفسير الطبري: 480/2. وينظر فقرة السياق عند المفسرين: ص 10 من هذا البحث.

<sup>96</sup> الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ص 24.

<sup>97</sup> عبد القادر: دايد، أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري (رسالة)، ص 43.

<sup>98</sup> العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت، 1/ 22.

<sup>99</sup> الجرجاني: عبد القاهر، دلائل الإعجاز، 1/ 55.

<sup>100</sup> الجرجاني: عبد القاهر، دلائل الإعجاز، 1/ 39.

ومن بعده يأتي السكاكي (ت. 1229/626) في كتابه (مفتاح العلوم) حيث تكلم عن تفاوت مقامات الكلام، وتناول مبدأ (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)<sup>101</sup>.

ثم جاء حازم القرطاجني (ت. 1285/684) فذكر أن الجمال يكمن في تلاؤم الكلام وائتلاف الحروف مع بعضها ورصد أشكال الانسجام في التأليف اللفظي، وهذا هو مفهوم السياق فيقول: "والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها، وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة"<sup>102</sup>.

وقد مر معنا كلام ابن دقيق العيد (ت. 1302/702) في إحكام الإحكام، وابن القيم (ت. 1350/751) في بدائع الفوائد، وابن جزري الكلبي (ت. 1340/741) في تفسيره، والشاطبي (ت. 1388/790) في الموافقات، فينظر إلى جميع ذلك في موضعه من هذه الدراسة<sup>103</sup> لنستغني عن تكراره هنا.

ومن بعد هؤلاء عرض برهان الدين البقاعي (ت. 1480/885) في كتابه: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) التناسب بين الآية والتي قبلها، وبين أوائل السور وأواخر ما قبلها، وعرض لتناسب السياق، "فالبقاعي (ت. 1480/885) ممن اهتم بإظهار تناسب المفردة وسياقها، وذلك رغم اهتمامه بالجمال أكثر من غيرها، إذ المفردة في تركيبها ليست بمعزولة عنده لأن أغلب المفسرين قد برعوا في ذلك، وعلى كل فقد بيّن في مقدمته اختلاف الألفاظ حسب أغراضها وتغير النظم أيضاً نتيجة لذلك، الأمر الذي دعاه إلى الاهتمام بالقيمة الجمالية التعبيرية للمفردة"<sup>104</sup>.

ثم جاء السيوطي (ت. 1505/911) فأشار في (الإتقان) إلى أهمية السياق وأفرد له فصلاً فيه أسماه: (ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى). فنراه يكثر من ذكر ملائمة الكلام للمعنى وهذا هو المفهوم الأدبي للسياق. فعرف ائتلاف اللفظ مع المعنى بأن "تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد؛

<sup>101</sup> ينظر: السكاكي: يوسف بن أبي بكر بن محمد، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ - 1987م، 1/168.

<sup>102</sup> القرطاجني: حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981م، ص222.

<sup>103</sup> ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، 4/9.

<sup>103</sup> ينظر: فقرة السياق في كتب أصول الفقه: ص9، وفقرة السياق عند المفسرين: ص10.

<sup>104</sup> مشاهرة: مشهور، التناسب القرآني عند الإمام البقاعي، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 1422هـ - 2001م، ص244.

فإن كان فحماً كانت ألفاظه فحمةً، أو جزلاً فجزلة، أو غريباً فغريبة، أو متداولاً فمتداولة، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك" <sup>105</sup>. ثم أتى بأمثلة عليه من القرآن الكريم وشرحها: فمنها أنه ذكر " قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: 113]، لما كان الركون إلى الظالم - وهو الميل إليه والاعتماد عليه - دون مشاركته في الظلم، وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم، فأتى بلفظ (المسّ) الذي هو دون الإحراق والاصطلاء، وقوله: ﴿لَمَّا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286] أتى بلفظ الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لثقلها <sup>106</sup>.

وفي العصر الحديث نرى كثيرا من الباحثين قد أشاروا إلى أهمية السياق نذكر منهم محمد رشيد رضا (ت. 1935/1354) حيث نجد في إطار حديثه عن مراتب التفسير العليا في مقدمة تفسيره إشارات إلى معنى السياق حيث يقول: "وإنَّ أفضلَ قرينةٍ تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سَبَق من القول، واتِّفَاقُه مع جملة المعنى، وائتلافُه مع القصد الذي جاء له الكتابُ بِجُمَلَتِهِ" <sup>107</sup>. وكذلك محمد عبد الله دراز (ت. 1958/1377) اهتم كثيرا بالسياق وقد أوردنا قوله <sup>108</sup> في هذه الدراسة فيما يغني هنا عن إعادته

ونجد أحمد مختار عمر (ت. 2003/1423) في كتابه علم الدلالة يفرد فصلا سماه نظرية السياق ويتكلم عن نشأة السياق ومدارس المنهج السياقي التي تزعمها فيرث Firth صاحب النظرية السياقية للمعنى، ثم يتكلم عن تقسيمات اللغويين والأدبيين والفلاسفة وعلماء النفس أيضا لمفهوم السياق وكيفية فهمهم إياه <sup>109</sup>.

وكذلك الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت. 2004/1424) أشار إلى السياق في كتابه قواعد التدبر الأمثل حيث يقول: "إنَّ السياق هادٍ إلى اختيار المعنى المراد من الكلمة بحسب موضعها الملائم لموضوع النص" <sup>110</sup>.

<sup>105</sup> السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974م، 299/3.

<sup>106</sup> السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، 300/3.

<sup>107</sup> رشيد رضا: تفسير المنار، 20/1.

<sup>108</sup> ينظر: فقرة: أنواع السياق القرآني، سياق السورة، ص 18.

<sup>109</sup> ينظر: عمر: أحمد مختار، علم الدلالة، ص 68 وما بعدها.

<sup>110</sup> حبنكة: عبد الرحمن بن حسن، قواعد التدبر الأمثل، ص 319.

وتجدر الإشارة بالذكر إلى أن الباحثين في الجامعات العربية والإسلامية قدموا عشرات الدراسات والأطروحات التي تكلمت عن السياق وبيَّنت أهميته.



## 2. الفصل الثاني: المتشابه اللفظي في القرآن

### 2.1. تعريف المتشابه اللفظي ومفهومه

#### 2.1.1. تعريف المتشابه اللفظي لغة:

جاء في كتاب العين: "شبه: الشَّبَّه: ضربٌ من النَّحاس يُلْقَى عليه دواءٌ فيصْفَرُ، وسُمِّيَ شَبَّهًا، لأنه شَبَّهَ بالذهب...، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]، أي: يُشبه بعضها بعضاً. والمُشَبَّهَاتُ من الأمور: المُشْكَلَاتُ، وشَبَّهَ فلانٌ عليّ، إذا خلط. واشتَبَّهَ الأمرُ، أي: اختلط... وكلُّ شيءٍ يكون سواً فإنَّها أشباه"<sup>111</sup>. وجاء في الصحاح: "الشَّبَّهَةُ: الالتباسُ. والمُشَبَّهَاتُ من الأمور: المُشْكَلَاتُ. والمُتَشَابِهَاتُ: المُتَمَائِلَاتُ.. والتَّشْبِيهُ: التَّمثِيلُ. وَأَشْبَهْتُ فلاناً وشابَهْتُهُ. واشتَبَّهَ عليّ الشيءَ"<sup>112</sup>. وفي مقاييس اللغة: "اشتَبَّهَ الأمرانِ، إذا أشكَلَا"<sup>113</sup>. وورد في لسان العرب: "أشَبَّهَ الشيءُ الشيءَ: ماثله... وشبهه عليه: خلط عليه الأمر حتى اشتبهه بغيره.. والمتشابه: ما لم يتلق معناه من لفظه،.. وشَبَّهَ إذا ساوى بينَ شيءٍ وشيٍ"<sup>114</sup>. وقال الراغب الأصفهاني (ت. 1108/502) في كتابه: المفردات في غريب القرآن: "شبه: الشَّبَّهُ والشَّبَّهُ والشَّبِيَّةُ: حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفيَّة، كاللون والطعم، وكالعدالة والظلم، والشَّبَّهَةُ: هو أن لا يتميَّز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه، عينا كان أو معي، قال: ﴿وَأُنْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: 25]، أي: يشبه بعضه بعضاً لونا لا طعماً وحقيقةً، وقيل: متماثلاً في الكمال والوجوده"<sup>115</sup>. إذن: يتبين لنا أن المتشابه في كتب اللغة والمعاجم يطلق على عدة معان منها: 1- المشاكلة و2- الالتباس و3- التماثل والاستواء و4- الاختلاط و5- المشاركة.

<sup>111</sup> الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: د مهدي المحزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، الثلاثي الصحيح/باب الهاء والشين والباء، 404/3.

<sup>112</sup> الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م، شبه، 2236/6.

<sup>113</sup> ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ - 1979م. شبه، 243/3.

<sup>114</sup> ابن منظور: لسان العرب، حرف الهاء/ فصل الشين المعجمة، شبه، 503/13.

<sup>115</sup> الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت، ط1، 1412هـ - 1991م، ص443 وما بعدها.

## 2.1.2. تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحًا:

من المعلوم أن الله عز وجل وصف القرآن في موضع بأن آياته كلها محكمة فقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1] وقال أيضًا: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: 1].

ووصف بموضع آخر بأن آياته كلها متشابهة فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 23].

وذكر بموضع ثالث وجود آيات محكمات وكذلك آيات متشابهات في القرآن الكريم وذلك في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7].

والناظر للوهلة الأولى يُحِيلُ إليه أن هناك تعارضًا بين الإفادات السابقة من الآيات، والحقيقة أنه لا إشكال ولا تعارض بين هذه الإفادات الثلاث، لأن معنى إحكامه كله: أنه مُتَقَنَّ مَتِينٌ غاية في الحسن والحقيّة والكمال ليس فيه خلل أو زلل أو شك أو اضطراب. ومعنى كونه كله متشابهًا أي أنه يشبه بعضه بعضًا في حسن البلاغة وقوة الفصاحة وروعة الإعجاز والهداية والإبداع ص ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82] فلا تعارض ولا تناقض بين هذه الآيات لاختلاف المراد بالإحكام والتشابه في مواضعها، بحسب ما تقتضيه الأحوال والمقامات.

أما وصف آيات القرآن في سورة آل عمران بأن منها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7] فهذه الآية كانت محط خلاف بين المفسرين والعلماء في فهم المقصود بالمتشابه في القرآن الكريم حتى وصل الأمر إلى عشرات الأقوال، فراح كل يُعرّف المتشابه حسب فهمه واجتهاده، واختلفوا في لفظة (الراسخون) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7] هل هي معطوفة على اسم (الله) وبالتالي إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه أم أن ذكرهم مستأنف والكلام بهم مبتدأ فيكون المعنى: (وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفردًا بعلمه، وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنة بالمتشابه والمحكم، وأن جميع ذلك من عند الله). فعُرِفَ هذا النوع من المتشابه بالمتشابه الذي يقابل المحكم وهو ليس موضوع بحثنا ونسوق بعضًا من التفسيرات والتأويلات التي فسرها العلماء للمقصود بالمحكم والمتشابه نوجزها عن التفاسير وكتب علوم القرآن على الشكل التالي:

1- قال بعضهم: المحكمات: آيات القرآن المعمول بهن (الناسخات أو المثبتات) والمتشابهات: المتروك العمل بهن، (المنسوخات).

2- وقيل: المحكمات ما أحكم الله فيه بيان حاله وحرامه. والمتشابه منها: ما أشبه بعضه بعضا في المعاني، وإن اختلفت ألفاظه.

3- وقيل: المحكمات من آي الكتاب: ما لم يحتل من التأويل غير وجه واحد. والمتشابه منها: ما احتل من التأويل أوجها.

4- وقيل المحكم: ما أحكم الله فيه من آي القرآن، وقصص الأمم ورسلمهم الذين أرسلوا إليهم، ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته. والمتشابه، هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، بقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.

5- وقيل المحكم من آي القرآن: ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره والمتشابه: ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل، مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناء الدنيا، وما أشبه ذلك، فإن ذلك لا يعلمه أحد.

6- وقيل المتشابه، الحروف المقطعة (حروف التهجي) التي في أوائل بعض سور القرآن، (الم) و(المص)، و(المر)، و(الر)، وما أشبه ذلك، لأنهن متشابهات في الألفاظ، وموافقات حروف حساب الجُمَّل<sup>116</sup>.

وهذا النوع من المتشابه الذي يقابل المحكم ليس مجال بحثنا وموضوعنا في هذه الدراسة. يمكننا القول إن للمتشابه أكثر من معنى وبالتالي فله أكثر من تعريف حيث يختلف تعريفه من خلال النظرة إليه، فلكل نظرة تعريف مختلف.

أولاً: فالتشابه العام للقرآن، بمعنى الشبه في الجمال البلاغي وقوة البيان، يمكن تعريفه بأنه: "تماثل القرآن في الكمال والإتقان والائتلاف، فلا يناقض بعضه بعضاً في الأحكام، ولا يكذب بعضه بعضاً في الأخبار"<sup>117</sup>.

ثانياً: والتشابه بمعنى اللبس الكلي (الشمولي) والخفاء، فإننا نستطيع تعريفه بأنه: "اشتراك ألفاظ ومعاني ما يذكر من المغيبات مع ما نعلمه من ألفاظ ومعاني أسماء تلك المسميات، مع اختلاف في الحقائق لا ندركه"<sup>118</sup>.

ثالثاً: وأما إذا نظرنا إلى التشابه بمعنى اللبس الجزئي (النسي) والخفاء، فإن تعريفه يختلف. لكننا قد علمنا أن المتشابه اللفظي الذي هو -موضوع البحث- هو أحد الأقوال التي قيلت في المراد بالمتشابه في آية آل عمران، فهو من المتشابه النسي الإضائي، وهو ما نحتاج إلى تعريفه<sup>119</sup>.

<sup>116</sup> ينظر: تفسير الطبري: 174/6 - 179. تفسير الثعلبي: 10/3-11. السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد، تفسير

القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط1، 1418هـ - 1997م، 1/293 -

294. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 2/69 - 70. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، 3/3-4-5.

<sup>117</sup> الشتوي: فهد، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى (رسالة)، ص95.

<sup>118</sup> المرجع السابق: ص95.

ورد في تاج العروس: "المتشابه: ما لم يَتَلَقَّ معناه من لفظه، وهو على ضربين: أحدهما إذا رُذِّ إلى المحكم عُرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته، فالمبتدع له مبتدع ومتبع للفتنة لأنه لا يكاد ينتهي إلى شيء تسكن نفسه إليه. وقال بعضهم: اللفظ إذا ظهر منه المراد فإن لم يحتمل النسخ فمحكم، وإلا فإن لم يحتمل التأويل فمفسر، وإلا فإن سيق الكلام لأجل ذلك المراد فنص وإلا فظاهر، وإذا خفي فإن خفي لعارض، أي لغير الصيغة، فخفي وإن خفي لنفسه، أي لنفس الصيغة، وأدرك عقلاً فمُشكِل، أو نقلاً فمُهمَل<sup>120</sup>، أو لم يدرك أصلاً فمتشابه...."<sup>121</sup>.

وقال الراغب (ت. 1108/502) في مفردات القرآن: "والمُتَشَابِه من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى، .. والمتشابه من جهة اللفظ ضربان: أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب:

ضرب لاختصار الكلام نحو: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: 3]. وضرب لبطء الكلام نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، لأنه لو قيل: ليس مثله شيء كان أظهر للسامع. وضرب لتنظيم الكلام نحو: ﴿أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾ [الكهف: 1-2]، تقديره: الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً"<sup>122</sup>.

### 2.1.3. تطور مفهوم المتشابه اللفظي في القرآن عند العلماء تاريخياً:

إن علماء التفسير وعلوم القرآن تناولوا هذا النوع من المتشابه، وعرّجوا عليه، إما بشكل صريح، أو أدرجوه تحت عناوين ومسميات مختلفة، تتضمن المعنى المقصود عند إطلاق مصطلح المتشابه اللفظي، وذلك في محاولة منهم لتقريب هذا العلم، وتفهمه للقارئ أو الباحث في هذا العلم. ومن أوائل من تطرق إلى تعريف المتشابه اللفظي الإمام الطبري (ت. 923/310) وذلك أثناء إيراد أقوالا عن المراد بالمحكم والمتشابه في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7] حيث ذكر تعريفاً للمتشابه صاغه بعد أن ذكر رواية مسندة إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني (ت. 798/182) فيقول: "والمتشابه، هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، بقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصة باختلاف

<sup>119</sup> المرجع السابق: ص 95.

<sup>120</sup> لعله قصد به (فمجمل).

<sup>121</sup> الزبيدي: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس، دار الهداية، د.ط، د.ت، 411/36.

<sup>122</sup> الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 443 - 444.

الألفاظ واتفاق المعاني<sup>123</sup> وهذا الذي ذكره الطبري (ت. 923/310) يعبر عن المتشابه اللفظي إلا أنه ليس تعريفاً جامعاً مانعاً، حيث إنه لم يذكر إلا نوعاً واحداً من أنواع التشابه وهو إبدال المفردات في القصة الواحدة.

وبالنظر في كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل) يمكننا استخلاص تعريف الخطيب الإسكافي (ت. 1029/420) لعلم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لا سيّما وأن الإسكافي (ت. 1029/420) من أوائل من صنف في هذا العلم فقد قال في مقدمة كتابه: "فاعلموا حملة الكتاب المبين ... أي مذ حصني الله تعالى بإكرامه وعنايته، وشرفني بإقراء كلامه ودراسته، تدعوني دواع قوية، يبعثها نظر وروية، في (الآيات المتكررة، بالكلمات المتفقة، والمختلفة، وحروفها المتشابهة المتعلقة، والمنحرفة تطلباً لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآياتها، دون أشكالها)"<sup>124</sup>.

ثم على خُطَى الإسكافي (ت. 1029/420) ومنهجه يأتي الكرمانى (ت. 1111/505) صاحب كتاب (البرهان في متشابه القرآن) حيث قال في مقدمة كتابه: "هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان وأبين ما السبب في تكرارها والفائدة في إعادتها وما الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا..."<sup>125</sup>. وبعد ذلك نجد ابن الزبير الغرناطي (ت. 1308/708) الذي سمي كتابه (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) وقد أوضح مفهومه لهذا العلم عندما قال في مقدمته: "وإن من مغفلات مصنفي أئمتنا رضي الله عنهم في خدمة علومه، وتدبر منظومه الجليل ومفهومه، توجيه ما تكرر من آياته لفظاً أو اختلفت بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير"<sup>126</sup>.

ويقول ابن جماعة (ت. 1333/733) في مقدمة كتابه (كشف المعاني) معبراً أيضاً عن سبب تأليفه للكتاب: "وربما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة غريبة، وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها

<sup>123</sup> تفسير الطبري: 178/6.

<sup>124</sup> الإسكافي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصهباني المعروف بالخطيب، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: د. محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ط1، 1422هـ - 2001م، 217/1.

<sup>125</sup> الكرمانى: أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر، أسرار التكرار في القرآن المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن): تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، ص63.

<sup>126</sup> ابن الزبير الغرناطي: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 7/1 - 8.

العجيبة، مما لم يذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة.. من اختلاف ألفاظ معان مكررة، وتنويع عبارات فنونه المحررة، ومن تقديم وتأخير، وزيادات ونقصان، وبديع وبيان، وبسط واختصار، وتعويض حروف بحروف أغير<sup>127</sup>.

وقال زكريا الأنصاري (ت. 1520/926) صاحب كتاب (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن): "فهذا مختصرٌ في ذكرِ (آياتِ القرآنِ المتشابهاتِ، المختلفةِ بزيادةٍ، أو تقديمٍ، أو إبدالِ حرفٍ بآخر، أو غيرِ ذلك) مع بيان سبب تكراره، وفي ذكر أممُودجٍ من أسئلة القرآن العزيز وأجوبتها، صريحاً أو إشارةً"<sup>128</sup>.

والزرکشي (ت. 1392/794) في (البرهان) ذكر في النوع الخامس لأنواع علوم القرآن فقال: "علم المتشابه... وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء"<sup>129</sup>. وكذلك عرّفه السيوطي (ت. 1505/911) فقال: فصل "في الآيات المشتهات ... والقصد به إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بل تأتي في موضع واحد مقداً وفي آخر مؤخرًا"<sup>130</sup>. وفي كتاب (الكليات) لأبي البقاء (ت. 1683/1094): "ومن المتشابه إيراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير والزيادة والتكثير والتعريف والتنكير والجمع والإفراد والإدغام والفك وتبديل حرف بحرف آخر"<sup>131</sup>.

وذكر المستشرق الهولندي رينهارت بيتر آن دوزي (ت. 1833/1300) في تكملة المعاجم العربية: "المتشابهات في القرآن هي العبارات التي يتشابه لفظها نحو وكان الله عزيزاً حكيماً، وكان الله عليمًا حليمًا ونحو ذلك"<sup>132</sup>.

وعرّف محقق كتاب (كشف المعاني) الأستاذ عبد الجواد خلف المتشابه اللفظي فقال: "هو أن يتكرر مجيء الآيات في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته في ألفاظ متشابهة وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي"<sup>133</sup>.

وعرّف الدكتور محمد مصطفى أيدين محقق كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل) المتشابه اللفظي بقوله: "هو أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة،

<sup>127</sup> ابن جماعة: كشف المعاني، ص 79 - 80.

<sup>128</sup> زكريا الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، 8/1.

<sup>129</sup> الزرکشي: البرهان في علوم القرآن، 112/1.

<sup>130</sup> السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، 390/3.

<sup>131</sup> أبو البقاء: الكليات، ص 845.

<sup>132</sup> دوزي: تكملة المعاجم العربية، 246/6.

<sup>133</sup> ابن جماعة: كشف المعاني، ص 45.

وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديمًا وتأخيرًا، وزيادة ونقصًا، وذكرًا وحذفًا، وتعريفًا وتنكيرًا، وإفرادًا وجمعًا، وإيجازًا وإطنابًا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان<sup>134</sup>.

#### 2.1.4. التعريف المختار:

مما سبق يمكننا أن نعرف المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بأنه: تشابه التراكيب والعبارات التي تتناول موضوعًا واحدًا أو حدثًا واحدًا في القرآن كسرد قصة أو نبأ، فتتفق المعاني وتتقارب الألفاظ، مع قليل من الاختلاف في سياق الأحداث أو الحوار؛ كاختلاف في حروف الجر، أو التقديم والتأخير، أو التعريف والتنكير، أو الإيجاز والإطناب، وفق سياق الآيات بما يوجهه الغرض البلاغي المناسب.

#### 2.2. نشأة علم المتشابه اللفظي:

ليس هناك خَبْرٌ بَيِّنٌ أو قول فصل يوضح متى نشأ هذا العلم، وقد ذكر الدكتور محمد مصطفى أيدين محقق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي (ت. 1029/420) معلومات قيِّمة عن نشأة علم المتشابه اللفظي نذكر منها باختصار مايلي:

أولاً: نشأ هذا العلم محدودًا يستعمله القراء، لتسهيل عملية حفظ ألفاظ القرآن المتشابهة، وصيانة لها من الغلط. ثم بدأ التأليف فيه لإرشاد الذين يحفظون كتاب الله، حيث يتحيرُّ الحافظ أحيانًا، أو ينتقل سهوًا من آية إلى آية، ومن سورة إلى أخرى.

وأقدم كتاب يحمل اسم (متشابه القرآن)، هو لعلي بن حمزة الكسائي (ت. 805/189) سابع الأئمة القراء السبعة<sup>135</sup>. وقد وضع الكسائي (ت. 805/189) كتابه هذا على أساس طريقة الجمع التي تقوم على عرض الآيات المتشابهة لفظًا.

ثانيًا: وهناك من توسع في هذا النوع أسئلةً أو تأليفًا، واستطردوا وتعمقوا حتى ذكروا أمورًا لا جدوى وراءها، ودقائق لا طائل تحتها، منهم أبو جعفر محمد بن إسحاق الكوفي المرواحي<sup>136</sup>.

<sup>134</sup> أيدين: محمد مصطفى، قسم الدراسة من تحقيق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي، 55/1 - 56.

<sup>135</sup> وذلك بحسب الإمام السيوطي ينظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، 390/3.

ثالثاً: وهناك طريقة في تصنيف الآيات المتشابهات، تعتمد على حصر المتشابهات على أساس كل سورة، حسب ترتيب المصحف الشريف، وقد أشار إلى ذلك ابن المنادي (ت. 947/336)، وجعل النصف الثاني من كتابه (متشابه القرآن)<sup>137</sup> لهذا النوع من التأليف، من مثل ما في سورة البقرة من ذكر القصص والحروف المتشابهة ذكر ما في سورة آل عمران وما يليها إلى آخر القرآن بذلك الوصف. وهكذا بدأت دراسة المتشابه متمثلة في تتبع الآيات التي تشابهت، وجمع نظائرها كما فعل أئمة القراءات.

رابعاً: ثم تطور التصنيف فيه، فاتجه بعض العلماء إلى توجيه هذا النوع من الآيات، وبيان الحكمة في اختصاص كل آية بما جاء فيها مختلفاً عن الآية المشابهة لها. من أولئك العلماء الإسكافي (ت. 1029/420) والكرماني (ت. 1111/505)، وابن الزبير الغرناطي (ت. 1308/708)، وابن جماعة (ت. 1333/733) وغيرهم.

ومن هنا انتقل هذا العلم إلى مرحلة جديدة، وهي مرحلة توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وبيان أسرار العلمية، وما فيه من وجوه الإعجاز<sup>138</sup>.

### 2.3. الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي وتوجيهه

تقسم المؤلفات في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم إلى قسمين:

أولاً: مؤلفات اقتصر أصحابها على جمع الآيات المتشابهات، وهدف أولئك كان غالباً لتسهيل عملية الحفظ على حفاظ القرآن الكريم.

وكان مؤلفو هذا النوع يقتصرون على ذكر الآية ونظيرها، ولا يذكرون وجوهها وعللها، ولا الفروق بين الآية وبين مُشَبِّهَاتِهَا.

ثانياً: مؤلفات لم يكتف أصحابها بجمع الآيات التي تكررت أو تشابهت ألفاظها سواءً بالتقديم أو التأخير، أو الإفراد أو الجمع، أو الزيادة أو النقصان، أو التعريف أو التنكير... أو غير ذلك من وجوه المتشابه. فعملوا على توجيهها، واجتهدوا ببيان حِكْمِ تشابهها، وأسرار اختلافها.

<sup>136</sup> وهو من شيوخ ابن المنادي (ت. 947/336)، وغالباً لم يصلنا كتابه. ينظر: ابن المنادي: أحمد بن جعفر بن محمد، متشابه القرآن العظيم، تحقيق: عبد الله بن محمد الغنيمان، ط1، 1408هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، ص159.

<sup>137</sup> وقد قام بتحقيقه الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد الغنيمان، ونشرته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1408هـ - 1987م.

<sup>138</sup> ينظر: آيدين: محمد مصطفى، قسم الدراسة من تحقيق كتاب: درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي، 1/ 64-68.

وهذا النوع من المؤلفين كانوا يختارون من الآيات المتشابهة ما يرون أنه بحاجة إلى توجيه وتفكير، وإعمال فكر وتدبر، وبذلك يتركون ما تشابه من الآيات التي هي بنظرهم لا تُشكِّلُ على القارئ فيما لو أعمل فكره ودقق نظره وتأمله. لذلك اختلف المتشابه بالنسبة للعلماء لاختلاف المعرفة والإدراك واختلاف وجهات النظر فيما بينهم، فما يتنبَّه ويهتدي إليه عالم قد يغفل عنه الآخر، وقد تكون الآية من وجهة نظر أحدهم متشابهة فيما لا تكون كذلك عند غيره.

أما المؤلفات التي جمعت الآيات المتشابهات لفظاً: فقد ذكر ابن النديم (ت. 1047/438) في

كتابه الفهرست تحت عنوان (الكتب المؤلفة في متشابه القرآن) أسماء عشرة مصنفين ألفوا في علم

المتشابه دون أن يذكر أسماء تلك المصنفات وهي:

"كتاب محمود بن الحسن، كتاب خلف بن هشام، كتاب القطيعي، كتاب نافع، كتاب حمزة، كتاب علي بن القاسم الرشدي، كتاب جعفر بن حرب المعتزلي، كتاب مقاتل بن سليمان، كتاب أبي علي الجبائي، كتاب أبي الهذيل العلاف"<sup>139</sup>.

وذكر الزركشي (ت. 1392/794) في كتابه البرهان في علوم القرآن أسماء من صنفوا في هذا الباب فقال: "صنف فيه جماعة ونظمه السخاوي"<sup>140</sup> وصنف في توجيهه الكرمانى كتاب البرهان، والرازي درة التأويل، وأبو جعفر بن الزبير وهو أبسطها"<sup>141</sup> وبهذا يكون الزركشي (ت. 1392/794) اختصر كثيراً من المؤلفين في هذا العلم.

لكن السيوطي (ت. 1505/911) أفاض في الإتيان فذكر في النوع الثالث والستون: الآيات المشتبهات فقال: "أفرده بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب الكسائي"<sup>142</sup> ونظمه السخاوي وألف في توجيهه الكرمانى كتابه "البرهان في متشابه القرآن" وأحسن منه "درة التنزيل وغرة التأويل" لأبي عبد الله الرازي وأحسن من هذا "ملاك التأويل" لأبي جعفر بن الزبير ولم أقف عليه وللقاضي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف "سماء كشف المعاني عن متشابه المثاني" وفي كتابي أسرار التنزيل المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار من ذلك الجم الغفير"<sup>143</sup>.

<sup>139</sup> ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2، 1417هـ - 1997م، ص 56. وخلف بن هشام هو: أحد القراء العشرة (ت. 844/229)، ونافع هو: نافع بن عبد الرحمن أحد القراء السبعة (ت. 785/169)، وحمزة هو: حمزة بن حبيب الزيات (ت. 775/158)، وجعفر بن حرب المعتزلي توفي: (850/236)، ومقاتل هو: مقاتل بن سليمان البلخي (ت. 767/150)، وأبو علي الجبائي توفي: (915/303).

<sup>140</sup> السخاوي هو محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المحدث المؤرخ (ت. 1497/902).

<sup>141</sup> الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/112.

<sup>142</sup> سابع القراء السبعة، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي (ت. 805/189).

<sup>143</sup> السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، 3/390.

كتاب متشابه القرآن العظيم، لأبي حسين أحمد بن جعفر بن أبي داود المنادي (ت. 947/336)، كان غرضه من تأليف الكتاب شيئان: "أحدهما: جمع النظائر من ألفاظ القرآن التي تشبه على القارئ، والثاني: إعانة من يريد أن يرد على الملحدّين الذين يطعنون في القرآن بأن فيه المكرر والمعاد، وقد بين المؤلف وجه ذلك في نهاية الكتاب"<sup>144</sup>.

وهناك مؤلفات وآثار أخرى منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع أنقل مختصرات عنها في الحاشية ذكرها محقق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل<sup>145</sup>.

### وأما الكتب المتخصصة في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً:

فإن توجيه الآيات المتشابهة يعتبر نوعاً مستقلاً بذاته في علم التفسير، حيث أفردت له مؤلفات خاصة كما أفردت مؤلفات مستقلة تتعلق بجوانب خاصة من تفسير القرآن الكريم، مثل تفسير مبهمات القرآن، وتفسير آيات الأحكام وتفسير غريب القرآن. فكان من تلك المؤلفات:

**1- درة التنزيل وغرة التأويل**<sup>146</sup> لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت. 1029/420). وهو أول كتاب وصل إلينا خالصاً لتوجيه وتفسير الآيات المتشابهة في القرآن الكريم،

<sup>144</sup> ابن المنادي: أحمد بن جعفر، متشابه القرآن العظيم، ص 17.

<sup>145</sup> منها: - هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في معرفة متشابهات كلام رب الأرباب، وهو عبارة عن منظومة شعرية مؤلفها شيخ القراء بالشام نور الدين علي بن عبد الله السخاوي الشافعي (ت. 1245/643).

- وكتاب مشابه القرآن على حروف المعجم، (مخطوط) لمحمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي القرطبي (ت. 1272/671).

- كتاب التبيين في متشابهات القرآن، (مخطوط) تأليف: الحافظ جلال الدين السيوطي (ت. 1505/911).

- وكتاب إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن (مخطوط) لعطية بن عطية الأجهوري الشافعي (ت. 1780/1194).

- ومنظومة في مشابهات القرآن، لمحمد الخضري الدمياطي (ت. 1870/1287).

- وكتاب كنز المتشابهات، تأليف: محمد محبوب.

- وكتاب تيسير الوهاب المنان على توضيح متشابه القرآن، تأليف محمد بن ابوجا التثيتي.

- وكتاب مثاني الآيات المتشابهات الكاملات، تأليف عبد الرزاق بن أحمد الشاحدي اليماني، جعله مؤلفه لحفاظ كتاب الله عز وجل، ورتبه على ترتيب السور.

- وكتاب التفسير في متشابه القرآن، وهو يبحث في المعاني المختلفة لكلمات مفردة مثل هدى وكفر.. الخ وذلك في مواضع مختلفة من القرآن.

- وسلسلة ضبط المتشابهات في القرآن الكريم، جمع وترتيب محمد بن عبد الله الصغير.

- وكتاب التوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القرآن، تأليف عبد الغفور عبد الكريم البنجابي. ينظر: الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، ص 72 - 78.

وقد أشار مؤلفه إلى أنه لم يجد أحداً من العلماء قبله، تناول هذا النوع من التأليف، وشهد له بذلك ابن الزبير **الغرناطي** (ت. 1308/708) في مقدمة كتابه ملاك التأويل، فذكر أن كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب (ت. 1029/420) هو أول كتاب عُرف من بين الكتب المؤلفة في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً، ولم يُعرف قبله كتاب آخر في موضوعه. وأهمية كتاب درة التنزيل ليست لسابقته عن غيره في هذا العلم، وإنما لما احتوى عليه من توجيهات علمية صائبة، وفوائد مشوّقة، تكشف عن كثير من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، وتُبرز عظمة القرآن في مبانيه ومعانيه، وما أودعه الله تعالى فيه من دقائق وأسرار<sup>147</sup>.

2- **البرهان في متشابه القرآن**<sup>148</sup> للإمام محمود بن حمزة **الكرماني** (ت. 1111/505)، ذكر في مقدمته تعريفاً بالكتاب وبيّن أنه يذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وكلماتها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأنه بدوره يبين السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى؟ وهل كان يصلح ما ورد في سورة مكان ما في سورة أخرى تشاكلها أم لا؟ ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالاتها، وتمتاز بها عن أشكالاتها من غير أن يشتغل هو بتفسيرها وتأويلها<sup>149</sup>.

3- **ملاك التأويل**<sup>150</sup> لأحمد بن إبراهيم بن الزبير **الغرناطي** (ت. 1308/708)، سماه مؤلفه: "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل". كان موضوعه توجيه الآيات التي تكررت واشتبهت في القرآن الكريم. ورأى مؤلفه أن المصنفين قد غفلوا قبله عن هذا العلم. فقال في مقدمته: "وإن من مغفلات مصنفي أئمتنا رضي الله عنهم في خدمة علومه، وتدبر منظومه ..، توجيه ما تكرر من آياته لفظاً أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير، فعرس إلا على الماهر حفظاً، وظن الغافل عن التدبر والمخلد إلى الراحة عن التفكير، أن تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرتها ليس لسبب تقتضيه وداع من المعنى يطلبه ويستدعيه، وأن ليس على

<sup>146</sup> الكتاب مُقسّم إلى ثلاثة أجزاء، قام بتحقيقه الدكتور محمد مصطفى آيدن في رسالة دكتوراة، بكلية الدعوة وأصول الدين، بمكة المكرمة، قسم الكتاب والسنة، عام 1418هـ - 1997م.

<sup>147</sup> ينظر: الإسكاني: درة التنزيل وغرة التأويل، ص 162. وينظر: الغرناطي: ملاك التأويل، 8/1.

<sup>148</sup> حققه عبد القادر أحمد عطا في جزء واحد، وطبعته دار الفضيلة.

<sup>149</sup> الكرماني: أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن)، ص 64.

<sup>150</sup> حققه سعيد الفلاح برسالة دكتوراة في جزئين، ونشرته دار الغرب الإسلامي أول مرة عام: 1403هـ - 1983م، وللكتاب تحقيق آخر للدكتور محمود كامل أحمد، نشرته دار النهضة العربية، 1405هـ - 1985م.

جميع الوارد من ذلك محرزات من المعاني عند ذوي الأفهام<sup>151</sup> وهو يعتبر أوسع وأشمل من الكتب المؤلفة في موضوعه.

4- كشف المعاني في المتشابه من المثنائي<sup>152</sup>، تأليف القاضي شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة (ت. 1333/733) قال في مقدمته مُبْدِيًا سبب تأليف للكتاب: "ربما لَهَجَ بعض الحاضرين بمسائل حسنة غريبة، وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها العجيبة، مما لم يذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة، ولا أملت به أسفارها المسطورة، من اختلاف ألفاظ معانٍ مكررة، وتنويع عبارات فنونه المحررة، ومن تقديم وتأخير، وزيادات ونقصان، وبديع وبيان، وبسط واختصار... فتحل تلك الأسولة بما يفتح الله تعالى به"<sup>153</sup>. إذًا فمدار كتابه حول الآيات المتشابهة في سور القرآن الكريم، حيث وضع كل متشابه على هيئة مسائل مفترضة ثم قام بالجواب عنها.

5- قطف الأزهار في كشف الأسرار<sup>154</sup> للإمام جلال الدين السيوطي (ت. 1505/911). قال مؤلفه بعد أن تحدث عن مؤلفاته السابقة ووصل إلى الحديث عن هذا الكتاب: "وهذا كتاب شفعت به تلك، ونظمته معها في سلك، في أسرار التقديم والتأخير، والتأكيد، والحذف، والإيجاز والإطناب، والنكت البيانية: من التشبيه، والاستعارة، والكناية والتعريض، والأنواع البديعية... إلى غير ذلك وسر ما اختلفت فيه الآيات المتشابهة من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقص، أو إبدال كلمة بأخرى. وما بين الكلمات التي يظن ترادفها من فرق، ولم وقع في هذا الموضوع كذا وفي هذا الموضوع رديفه، ولم تُخْتِمَت هذه الآية بـ (يؤمنون)، وهذه بـ (يعلمون)، وهذه بـ (يعقلون)، وهذه بـ (يذكرون)، إلى غير ذلك..."<sup>155</sup> إذًا فكتاب السيوطي (ت. 1505/911) هذا يهتم بالآيات المتشابهة وتوجيهها وأسرار اختلافها كما صرح بذلك. إلى جانب اهتمامه أيضًا بالنواحي البلاغية والمناسبات بين السور والآيات والقراءات.. والسيوطي لم يكمل كتابه وإنما وصل إلى الآية الثانية والتسعين من سورة التوبة.

<sup>151</sup> الغرناطي: ملاك التأويل، 7/1.

<sup>152</sup> حققه الدكتور عبد الجواد خلف ونشرته جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي - باكستان، وطبعته دار الوفاء في مدينة المنصورة بمصر أول مرة عام: 1410هـ - 1990م.

<sup>153</sup> ابن جماعة: كشف المعاني، ص 79-80.

<sup>154</sup> حققه الدكتور أحمد بن محمد الحمادي برسالة دكتوراة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1412هـ - 1991م.

<sup>155</sup> السيوطي: جلال الدين، قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، إدارة الشؤون الإسلامية - الدوحة، ط1، 1414هـ - 1994م. 95/1 وما بعدها.

- 6 - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن تأليف شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري (ت. 1520/926) قال في مقدمته: "فهذا مختصر من ذكر آيات القرآن المتشابهات، المختلفة بزيادة، أو تقديم، أو إبدال حرف بآخر، أو غير ذلك مع بيان سبب تكراره.." <sup>156</sup>.
- 7- أضواء على متشابهات القرآن ويحتوي هذا الكتاب على 1651 سؤال وجواب، وهو من تأليف الشيخ خليل ياسين.

## 2.4. أنواع المتشابه اللفظي في القرآن

إن تصنيف المتشابه اللفظي وفق أقسام وأنواع هو تصنيف اجتهادي حاول فيه العلماء تسهيل بيانه لطلبة العلم. ثم توالى التقسيمات عبر العصور فصارت أكثر وضوحًا وأكثر ترتيبًا والتقسيمات هي للتسهيل والتوضيح وإن تداخل أحيانًا بعضها ببعض، وكل من اشتغل في علوم القرآن قدّم تقسيمات خاصة به كالإمام ابن الجوزي (ت. 1201/597) في كتابه (فنون الألفان)، والزرکشي (ت. 1392/794) في (البرهان)، والسيوطي (ت. 1505/911) في (الإتقان) وغيرهم. ومن هذه الأقسام نذكر ما يلي:

### 1- متشابه الإبدال <sup>157</sup>:

ويدخل فيه إبدال حرف عطف بحرف آخر، أو حرف جر بحرف آخر، أو إبدال جملة بجملة أو كلمة بكلمة...

مثال إبدال حرف بحرف: قوله تعالى في البقرة: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾ [البقرة: 35] بالواو، وفي الأعراف: ﴿فَكُلَا﴾ بالفاء.

ومثال إبدال حرف جر بحرف آخر: قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: 2]، وفي لقمان: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: 29].

ومثال إبدال حرف عطف بآخر قوله تعالى في الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: 57]، وفي السجدة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: 22].

<sup>156</sup> الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، 8/1.

<sup>157</sup> ينظر: ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، فنون الألفان في عيون علوم القرآن، دار البشائر، بيروت - لبنان، ط1، 1408هـ - 1987م، ص420.

ومثال: إبدال كلمة بكلمة: قوله تعالى في البقرة: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: 60]،  
وفي الأعراف: ﴿فَأَنْبَجَسْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: 160].

وقوله تعالى في آل عمران: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَتَى بِكَ الْيَكُونُ لِي وَلَدًا﴾ [آل عمران: 47]، وفي مريم: ﴿قَالَتْ  
أَتَى بِكَ الْيَكُونُ لِي غُلَامًا﴾ [مريم: 20].

وقوله تعالى في البقرة: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 48]، وفي الأنبياء: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾  
[الأنبياء: 40].

وقوله تعالى في الكهف: ﴿وَلَمَّا رُذِّدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ [الكهف: 36]، وفي فصلت: ﴿وَلَمَّا رُجِعْتُ  
إِلَى رَبِّي﴾ [فصلت: 50].

وقوله تعالى في الأنعام: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: 95]، وقوله  
في الروم: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجِ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم: 19].

ومثال إبدال جملة بجملة أخرى: قوله تعالى في البقرة: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا  
عَدْلٌ﴾ [البقرة: 48]، وقوله في نفس السورة: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة:  
123].

## 2- متشابه بالزيادة والنقصان<sup>158</sup>:

كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه: 132]، وقوله: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ﴾ [البقرة: 38].  
وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 165]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ  
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: 167]. ومنه أيضاً: قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا  
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: 22]، مع قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا  
فِيهَا﴾ [السجدة: 20].

## 3- متشابه بالتقديم والتأخير<sup>159</sup>:

ويدخل ضمنه تقديم كلمة وتأخيرها أو تقديم جملة وتأخيرها أو تقديم ضمير وتأخيرها.  
مثال: قوله تعالى في البقرة: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة:  
129]، مؤخر وفي آل عمران والجمعة: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:  
164، الجمعة: 2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ [البقرة: 58] وقوله في الأعراف: ﴿وَقُولُوا  
حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: 161].

<sup>158</sup> ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/115.

<sup>159</sup> ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/120. السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، 3/390.

ومنه تقديم اللعب على اللهو في سورة الأنعام وكذلك في سورة محمد والحديد وتقديم اللهو على اللعب في سورة العنكبوت:

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ﴾ [الأنعام: 32]، ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوٌ﴾ [محمد: 36]، ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوٌ﴾ [الحديد: 20]، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: 64].

#### 4- متشابه بالتعريف والتكبير<sup>160</sup>:

كقوله في البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: 61]، وفي آل عمران: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: 21].

وقوله في البقرة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: 126]، وقوله في سورة إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: 35].

وقوله في آل عمران: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126]، وفي الأنفال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 10].

وقوله في فصلت: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 36]، وفي الأعراف: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200].

#### 5- متشابه بالجمع والإفراد<sup>161</sup>:

كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: 80]، وقوله: ﴿قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: 24].

ومنه أيضًا قوله تعالى في ثلاثة مواضع: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: 78-91]، [العنكبوت: 37]، وقوله في موضعين: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: 67-94].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي﴾ [الأعراف: 79] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي﴾ [الأعراف: 93].

#### 6- متشابه بالتذكير والتأنيث<sup>162</sup>:

ومثاله تذكير لفظة (السماء) في المزمّل: ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ﴾ [المزمّل: 18]، وتأنيثها في الانفطار: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: 1].

<sup>160</sup> ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/127. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: 3/391.

<sup>161</sup> ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/128.

<sup>162</sup> ينظر: الشتوي: فهد، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى (رسالة)، ص120.

كذلك تأتي لفظة (الضلالة) في النحل: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: 36]، وتذكرها في الأعراف: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: 30].

#### 7- متشابه بالإجمال والتفصيل<sup>163</sup>:

ومثاله قوله تعالى: سورة الأعراف: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: 85]، وفي سورة هود: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: 84]، وفي الشعراء: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ \* وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ \* وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: 181-182-183].

#### 8- متشابه بالإظهار والإضمار<sup>164</sup>:

ومثاله إظهار الفاعل في سورة الأعراف فقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: 123]، وإضماره في سورة طه والشعراء فقال: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: 71، الشعراء: 49]. وكذلك قوله تعالى في يونس: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: 60]، وقوله في البقرة وغافر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 343، غافر: 61].

### 2.5. أهمية علم المتشابه اللفظي

إن البحث في المتشابه اللفظي يبين الفروقات في التراكيب والجمل للموضوع الواحد أو القصة الواحدة، ويقف عندها لجلاء وبيان الحكمة في تغيير النظم القرآني من سياق إلى سياق آخر، واختصاره أو الإطناب فيه وفق تسلسل الآيات في سورتين مختلفتين.

فحين يكون هناك تكثيف في المعاني وتسارع في الإيقاع؛ نلاحظ اختصارا في سرد الموضوع، بينما في مواطن أخرى يكون فيه الإيقاع بطيئا فنجد إطالة وإطنابا في السرد، وتفصيلا أكثر، وهذا ما تفرضه طبيعة السورة القرآنية.

إن فهم وتحليل المتشابه اللفظي من آيات القرآن أمر يحتاج إلى تأمل وتدبر كبيرين ويحتاج إلى معرفة بالبلاغة ومعرفة في النحو وأساليب كلام العرب لذلك فهو بالصعوبة بمكان لأن الناظر يجب أن ينظر نظرة تحليلية مقارنة وتأملية تدبرية حتى يحصل الفروقات بين دلالات الألفاظ وأسبابها.

<sup>163</sup> ينظر: الشتوي: فهد، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى (رسالة)، ص128.

<sup>164</sup> ينظر: المرجع السابق: ص121.

ومهمة الباحث في المتشابه أن يربط هذا التعرُّر بسياقه ويُعلِّله بناءً على كتب التفاسير أولاً، وبعض الكتب التي تناولت علم المتشابه ووجهته ثانيًا، ثم تحليلٌ ودراسةٌ نحويةٌ وصرفيةٌ، وتدوُّقٌ أدبيٌّ ذاتيٌّ وفق معاني حروف الجر مثلاً، ووفق علوم البلاغة وتوجيهاتها من قصر وتوكيد وإفادة المبالغة، وغير ذلك من الفوائد البلاغية المستنبطة ثالثاً. وينبغي الإشارة هنا إلى أن الكلمات المترادفة في اللغة العربية لكل منها معنى يختلف وإن بشكل بسيط وجزئي، والفروقات اللغوية لها تصانيفها، ونسقط هذا الأمر في دراسة المتشابهات، فليس هناك ترادفٌ على الحقيقة بل هناك فروقات دقيقة يفرضها السياق، والقرآن المكي والمدني، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.. وغيرها من علوم القرآن العميقة.

ومن فوائد هذا العلم تمييز الفروقات الدلالية في الآيات المتشابهة وأسباب تلك الاختلافات وتحديد سبب اختيار هذه اللفظة هنا واختيار تلك اللفظة هناك

إذا فهذا العلم يميز الفروق وفق الأمثلة المتاحة ووفق الرؤية البلاغية، والنحوية، والذوقية، لمتدوِّق بليغ عارف.

ومن فوائد هذا العلم أيضاً أنه يرد على من يقلل من أهمية التكرار في القرآن من الملحدِّين من خلال بيان أسباب هذا التكرار الذي هو في الحقيقة ليس تكراراً بل هو إضاءات جديدة على موضوع واحد أو قصة جديدة أو حدث معين، وتفسير هذا التشابه مما يجعل هذا المتأمل والمتدبر لهذه الآيات المتشابهة التي نضعها بجانب بعضها البعض ونقارنها لنحللها، أكثر إيماناً وأكثر يقيناً بعظمة القرآن الكريم<sup>165</sup>.

وهذا العلم يفضي أخيراً إلى إظهار كمال النظم القرآني وعظمته وبلاغته السامية، ليؤكد إعجاز القرآن وبيانه الراقي الذي لا يشبهه بيان، وكلما ازداد الإنسان علماً وتعمقاً في البلاغة ومعرفة في البيان وقراءة للتفاسير ازداد إيمانه بعظمة القرآن وإعجازه.

<sup>165</sup> ينظر: ابن المنادي: أحمد بن جعفر، متشابه القرآن العظيم، ص 17. وينظر: باحويرث: تهاي، أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني (رسالة)، ص 34.

### 3. الفصل الثالث: القصص في القرآن:

#### 3.1. تعريف القصص لغة واصطلاحًا

##### 3.1.1. القصة لغة:

جاء في كتاب جمهرة اللغة: "قَصَّ الشَّيْءُ بالمقْصِنِ يقْصُه قِصًا. وقص الحديث يقْصُه قِصًا وكذلك اقتفاء الأثر قِصَصٌ أَيْضًا. قَالَ اللهُ عزَّ وَجَل: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: 64]... والقصة من الْقِصَصِ: مَعْرُوفَةٌ. والقصة: الجِص.. وفي الحديث: بِيَضَاءٍ مِثْلَ الْقِصَّةِ<sup>166</sup>.

وجاء في كتاب الصحاح: "قَصَّ أثره، أي تَبَّعَه... والقِصَّةُ: الأمرُ والحديث. وقد اقْتَصَصْتُ الحديث: رويته على وجهه. وقد قَصَّ عليه الخبرَ قِصَصًا"<sup>167</sup>.

وفي لسان العرب: "نَقَصَّ كَلَامَهُ: حَفِظَهُ.. ويُقَالُ: قَصَصْتُ الرَّؤْيَا عَلَى فُلَانٍ إِذَا أَحْبَبْتَهُ بِهَا، أَقْصَاهَا قِصًّا. والقِصُّ: البَيَانُ،.. والقاصُّ: الَّذِي يَأْتِي بِالْقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا كَأَنَّهُ يَتَّبِعُ مَعَانِيهَا وَأَلْفَظَهَا."<sup>168</sup>.

##### 3.1.2. القصة اصطلاحًا:

في اللغة العربية هناك أنواع كثيرة للقصة فهناك الرواية الطويلة والتي لها أنواع منها الروايات البوليسية ومنها العاطفية ومنها الروايات الاجتماعية، ويكون طول الرواية أكثر من مئة صفحة. وهناك القصة الطويلة والتي هي دون الرواية ويكون طولها ما بين الثلاثة صفحات إلى عشرة. وهناك القصة القصيرة وتكون بين الصفحة إلى ثلاثة صفحات. وهناك الـ (ق ق ج) أي القصة القصيرة جدًا وهناك القصة الومضة... والقصص إذاً هي سرد الأحداث والوقائع والإخبار عنها بأسلوب أدبي مشوق. والقصة لها أركان وعناصر من ضمنها التشويق والشخصيات والأحداث والزمن والمكان.. هذه كلها يجب أن توضع في القصة.

والقصة تعني "1 - رواية الخبر ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: 3].

2 - خبر مقصوص ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176].

والقِصَصُ: فنٌّ من فنون الأدب، هدفه الترويح عن النفس بما يتضمّن من لهُو، وما يحتويه من تثقيف للعقل"<sup>169</sup>.

<sup>166</sup> ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، 142/1.

<sup>167</sup> الجوهري: الصحاح، 1051/3.

<sup>168</sup> ابن منظور: لسان العرب، 74/7.

<sup>169</sup> عمر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1824-1823/3.

والقصص القرآني هي قصص حصلت في أزمان غابرة عن الأقوام الماضية وفيها قصص الأنبياء وغير الأنبياء من القصص التي فيها عبرة وعظة وقد أوردتها القرآن للتأمل والتدبر والتفكير. وهناك فرق بين القصة والخبر فالخبر هو إخبار عن واقعة حصلت في مكان لم يتم حضورها ثم تم الإخبار عنها وذكورها، لذا فالخبر يتم تناقله أما القصة فتُسرَد سرِّدًا وربما يكون الناس قد شهدوا بعضًا من أحداثها.

### 3.2. خصائص القصة القرآنية وأساليبها:

تفضل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يُوسُف: 3] فَعَلِمَ من قوله (أَحْسَنَ)، أن القِصَصَ القرآنية لم تسق للاستئناس أو التسلية؛ وإنما سيقَّت لأغراضٍ دقيقة، وفوائد عميقة، وعِبَرٍ عظيمة، وحِكَمٍ جلييلة. هذا وتتميز القصة القرآنية بسمو البيان، والرقي في العرض، وقوة الحكمة القصصية، وجمال السرد، والصدق التاريخي، والارتقاء في البلاغة لدرجة الإعجاز، كما تميزت بتكرارها ولكن بتغيير بعض أساليب العرض، وذلك لأغراض فنية بلاغية إعجازية سنقف عليها. كما أن القرآن يعرض القصة فيصورها تصويرًا مبدعًا يتناول به جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها، حتى تغدو وكأنها واقعة تقع أو مشهدًا يجري في الزمن الحاضر، لا قصة تروى ولا حادثًا قد مضى وانقضى. وخصائص القصة القرآنية هي كما يلي<sup>170</sup>:

#### 3.2.1. الإيجاز:

إن من مميزات القصص القرآني، الاقتصار في لوحاته على ذكر موضع العبرة والشاهد، في القصة المحكية بإيجاز بديع، وطَيِّ ما يقتضيه الكلام الوارد، والقصص القرآني تسرد بإيجاز الوقائع التي فيها العبر والآمال والآلام التي تحرك المشاعر وتثير جانب الخير في الإنسان وتبعث الدفء في القلوب وتمكن ثقة الإنسان بالقدر وبالله عز وجل، ومن أمثلة الإيجاز قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز:

<sup>170</sup> أخذنا بعض عناوين هذه الخصائص من كتب أدبية متفرقة اختصت بدراسة القصة منها: كتاب (التصوير الفني) لسيد قطب، وكتاب (الجانب الفني في قصص القرآن) لمحمد خلف الله، وكتاب (القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه) لعبد الكريم الخطيب، وكتاب (سيكولوجية القصة في القرآن) للتهامي نقرة، وكتاب (الصورة الأدبية في القرآن الكريم) لصلاح الدين عبد التواب، وكتاب (قصص القرآن الكريم) لفضل عباس. وكتاب (اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني) لسليمان الدقور. كما أضفنا عناوين أخرى وجدناها مناسبة أثناء دراسة واستقراء القصص القرآنية.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ [يوسف: 25] فاستباق سيدنا يوسف عليه السلام هروب من المعصية وخوف من الله عز وجل وكره الخيانة ومحاولة الامتناع عن فعلها، أما استباق امرأة العزيز فمحاولة يائسة وبائسة من أجل إقناع سيدنا يوسف عليه السلام بفعل المنكر والفحشاء لتحقيق مآربها وغايات نفسها الأمانة بالسوء، فالاستباقان متضادان وإن كان الفعل واحدًا هو يستبق الباب لينجو من المعصية وهي تستبق الباب لتمنعه من الخروج وتطلبه ليرجع وينقذ لها مآربها.

ومن أمثلة الإيجاز قوله تعالى في تصوير حال الكفار ساعة وفاتهم: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ﴾ [محمد: 27] ففي هذه الكلمات الثلاث ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ﴾ إيجاز كبير، وتصوير بليغ، لاشتراك الملائكة في غزوة بدر، وقتلهم الكفار في حالي الإقبال والإدبار، فهم إن أقبلوا ضربوا وجوههم وأعناقهم، وإن أدبروا قتلوهم أيضًا، فحسارتهم أكيدة ومحتومة. ومن الإيجاز أيضًا: تصوير القتل الذي حصل في معركة بدر، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12] فهناك ملائكة اشتركت معهم في القتال مهمتهم ضرب الأعناق، وضرب الأطراف، والملائكة الذين يضربون وجوههم وأذبارهم هؤلاء ملائكة الموت الذين ينزعون الروح، يضربونها لأن الروح ترفض الخروج بعد إدراكها حتمية العذاب في الزمن الآتي والدليل قوله: ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ففي حالة الوفاة والنزع يحصل الضرب.

ومثال آخر عن الإيجاز قوله تعالى في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: 1] فقوله: ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا﴾ تلخص وتوجز أحداثًا كثيرة منها أن الجن تجمعوا بعدما نادوا فيما بينهم، بعدما سمعوا عن بعثة نبي فاجتمعوا لاستماع القرآن.

ومن خصائص القصة القرآنية قَصْرُ الواقعة على ما يلزم وما يفرضه السياق وما تقتضيه الحكمة ويحتاجه موضع الشاهد وتستلزمه العبرة وربما يسرد القرآن جزءًا من الآية وفي سورة ثانية يسرد جزءًا آخر أو يضيف عليه. ومثال ذلك كقصة أصحاب الكهف إذ تبدأ القصة بلفت النظر إلى أولئك الفتية الذين تميزوا عن أقرانهم في ذلك الزمان ولم يتصفوا بصفات أولئك الناس الذين عايشوا تلك الفترة فآمنوا بالله ونبذوا الشرك قال تعالى: ﴿لَخُنُ نَقِصٌ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13] فلم يذكر القرآن تفاصيل عنهم كأسمائهم أو صفاتهم أو مكان إقامتهم أو موقع بلادهم، لأن العبرة ليست بأسمائهم أو شخصهم، بل العبرة أن لا يرضى الإنسان بالكفرة، ولا ينجح للظلم ولا يرضخ للباطل وأن يصاحب الأخيار.. وهذا الأسلوب القرآني للقصة من باب الإيجاز الذي لا

يُجِلُّ بِجَمَالِ الْقِصَّةِ وَلَا يَذْهَبُهُ بَلْ عَلَى الْعَكْسِ، فَالْقُرْآنُ كِتَابٌ دِينِي لَيْسَ غَرَضُهُ الْقِصَصُ مِنْ أَجْلِ الْقِصَصِ وَالسَّرْدُ بَلْ مِنْ أَجْلِ الْعِبْرَةِ وَالْفَائِدَةِ وَالْحِكْمَةِ.

### 3.2.2. وحدة الغاية:

الغاية القرآنية المنشودة في القصص القرآني هي غاية دينية مضمونها الدعوة إلى عبادة الله وحده وتوحيده والإيمان بقدرته وحكمته في القَدَرِ والخلق، وكثيراً ما تخلص القصة القرآنية إلى غايات سامية منها نصرة الأنبياء والمستضعفين ممن آمنوا، واستخلافهم في الأرض وإهلاك الظالمين المجرمين مع تنوع أسلوب الإهلاك.

ومن خصائص القصة القرآنية تحقيق الغاية السامية المتمثلة في عمارة الكون ونشر الفضيلة ومحاربة الفساد والظلم وإتمام مكارم الأخلاق ونشر الخير ونبذ الشر وإرساء القيم والمبادئ والمثل العليا وتمكين الدين وتحقيق مقاصد الشريعة السمحة.

وكذلك من أهم سمات القصة القرآنية تهذيب النفس والتذكير بيوم الحساب من خلال معرفة مآل الكفار عبر العصور الغابرة وعبر نهاية الظالمين الوخيمة. فحين نسمع عن نهايات الكفرة وعقوبتهم ومآلم الشنيع نتعظ ونعتبر ونغير من سلوكياتنا وأفعلنا إلى ما هو أفضل وخير. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: 111].

### 3.2.3. تنوع طريقة العرض<sup>171</sup>:

تختلف أساليب عرض القصة القرآنية من قصة إلى أخرى وتنوع وفق السياق، ففي القرآن المدني تكون القصة أكثر تفصيلاً، وتكون مختصرة في القرآن المكي، بالإضافة إلى أن تنوع طريقة العرض يفيد التشويق وإبعاد الملل عن القارئ، حتى وكأنه يسمع القصة من جديد في كل مرة، إذ في كل مرة جديدة يسلط القرآن الكريم الضوء على جانب جديد من القصة، و من أهم السمات الفنية للقصة القرآنية تنوع طريقة العرض وهذا ما يضيف على القصة تشويقاً فيبعد الملل عن السامع وحتى حين يكرر القصة الواحدة في مواضع مختلفة تراه ينوع طريقة العرض وهكذا تتفتح الأذهان وتشوق الألباب وتلهف النفوس لسماع مزيد من الأحداث المتسارعة التي تجذب القارئ.

<sup>171</sup> ينظر: الدقور: سليمان محمد علي، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد - الأردن، 1426هـ - 2005م، ص 70.

وتنوع طريقة العرض يكون من جهات عدة: من جهة السرد، ومن جهة الحوار، ومن جهة اللغة، ومن جهة البيان، لذلك تنوعت طرق عرض القرآن للقصة من زوايا متعددة سواء في إيراد القصة الواحدة وتكرارها أو عدمه، أم في الابتداء بالقصة أو الانتهاء منها، أم في عرض التوجيهات المراد توصيلها والتأكيد عليها.

فبعض الأحداث تظهر في القصة القرآنية بشكل مباشر مثل قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء البيت الحرام وبعض الأحداث فيها تقدم وتأخير والخطف خلطاً.

وأحياناً ومن وجهة نظر أخرى فإن القصص القرآنية تبدأ بالخاتمة والنتيجة ثم بأسلوب الخطف خلطاً (إلى الوراء)؛ لذكر بداية القصة وتسلسلها. ومرة تعرض جزءاً من القصة؛ وذلك للتوكيد والاستشهاد بفكرة معينة، وأحياناً تستطرد في القصة في سورة ما، وتختصر في سورة أخرى؛ وذلك وفقاً للسياق وما يفرضه، وأحياناً تسرد القصة عن طريق الحوار، وأحياناً تسردها عن طريق الإخبار، وأحياناً تكثر من الوصف من أجل قوة الاستحضار، حتى لكأن القارئ يرى القصة عياناً أمامه، فالأساليب مختلفة وكثيرة ومتنوعة وذلك من أجل التشويق وإبعاد الملل. فالتنوع في الأساليب القصصية من أساليب القرآن المعجزة.

وهناك في القصص القرآنية طرق متباينة لعرض القصة: فأحياناً يذكر الحكمة والقصة والنهاية ثم يذكر البداية كقصة موسى في سورة القصص ومرة يذكر ملخصاً للقصة، ثم يذكر التفاصيل؛ كقصة أهل الكهف حيث إنها تبدأ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا \* إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا \* فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا \* ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: 9 - 12] ذلك ملخص القصة، ثم تتبعه التفاصيل المشوقة، وأحياناً يسرد حدثاً واحداً من القصة في سورة ويذكر تفاصيل أخرى في سورة أخرى.

### 3.2.4. براعة الاستهلال:

هناك من بحث ودرس براعة الاستهلال في بداية سور القرآن، ولكننا هنا نقصد براعة الاستهلال في القصة حين يذكرها القرآن ضمن السورة، والاستهلال البارع هو الاستهلال الذي يأسر المتلقي، ويُبيِّن بأسلوب أدبي راقٍ الغرض البلاغي في القصة القرآنية.

تعريف براعة الاستهلال: "هي أن يبدأ الشاعر قصيدته بما يوضح غرضه منها"<sup>172</sup> كقول الخنساء (ت).  
646/24) في أخيها:

"فما بلغتُ كَفُّ امرئٍ مُتناوِلٍ من المجدِ إلا حيث ما نلتُ أطولُ"<sup>173</sup>.

ولبراعة الاستهلال في القصة القرآنية أمثلة كثيرة وأساليب ولا سيما في القرآن المكي فأحياناً ما يبدأ بحدث ملفت ومدهش وأحياناً يبدأ بالخاتمة وأحياناً يبدأ بالعبرة والعظة من القصة كل ذلك من خلال أسلوب فني يثير الانتباه ويلفت النظر من خلال الربط المحكم مع الآيات السابقة فتأتي القصة كشاهد أو كمؤكد على ما سبق ثم يسرد من القصة ما يناسب الشاهد، وقد يقتصر على جزء من القصة أو قد يلجأ إلى التفصيل بحسب ما يقتضيه السياق.

وتبتدئ القصة في القرآن في أغلب الأوقات بمشهد ملفت للقارئ مثير للانتباه يُسلط عليه الضوء من أجل إظهار حكمة أو تدعيم فكرة، ثم تسرد بقية الأحداث وفق سياقها، وقد لا تورّد الأحداث جميعها بل يذكر ما يناسب تسلسل السياق.

ففي قصة موسى في سورة طه حين أنس النار كان ذلك المشهد هو المشهد الذي يلفت النظر ويثير الانتباه فبدأ به للتشويق ثم يستعرض بقية القصة، ولتسلسل الأحداث في القصة القرآنية أسلوبه الفني المميز وهناك ربط بين ما يسبق القصة من مناسبة وما يتبعها من تمة أو إرشاد وإضفاء حكمة وعبرة. وأحياناً تُقدّم خلاصة للقصة في بدايتها، وهذا أسلوب فريد خاص في القرآن الكريم يستهل به بعض قصصه، وأحياناً يأتي بمشهد فيه عبرة وعظة فتكون مقدمة للقصة فتحسن بها القصة مثل قصة الخصمين الذين تسورا المحراب فبدأ بتسور المحراب على سيدنا داود عليه السلام وكان ذلك لحكمة أراد إيصالها الله عز وجل لنبيه ثم يعرض القصة والحوار والخصومة وينتهي باستغفار سيدنا داود وبسجوده وبإنابته.

وأحياناً يكون الاستهلال بذكر الأسباب والنتائج وذلك وفق ما يقتضيه سياق القصة القرآنية ليصل مباشرة إلى مغزى القصة وحكمة أحداثها، وأحياناً تبدأ القصة بحدث مهم فيه مغزى ولطيفة من مثل قصة يوسف عليه السلام التي بدأت برؤيا يوسف عليه السلام وقصها على أبيه عليه السلام، وما كان من تأويل الأب وتنبهه بأن ابنه يوسف عليهما السلام سيكون له شأن عظيم: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ \* قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَفْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُؤْيَاكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَنُبِّئُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

<sup>172</sup> وهبة: مجدي، المهندس: كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 77.

<sup>173</sup> الخنساء: تناصر بنت عمرو، ديوان الخنساء، دار الأرقم، بيروت، د.ط، د.ت، ص 90.

إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿يوسف: 4 - 6﴾ ثم تسيّر القصة بعد ذلك وكأنما هي تأويل للرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام، ولما أولها له أبوه يعقوب عليهما السلام، ثم تنتهي بالتذكير بالحدث الأولي المهم الذي هو الرؤيا ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 100].  
وأحيانا تُذكر القصة مباشرة دون تمهيد أو مقدمات، وإنما يقتصر على ما تحمله بمضمونها من مفاجآت ومُشوّقات وأحداث خاصة جرت بتلك القصة، كقصة مريم عند ولادتها عيسى عليهما السلام، وقصة سليمان مع الملكة بلقيس.. وغير ذلك.

### 3.2.5. التصوير الفني في القصة القرآنية<sup>174</sup>:

الصورة الأدبية هي: "الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر"<sup>175</sup> والتصوير من أهم أساليب التعبير البيانية التي اعتمدها القرآن في بيان ما يريد بيانه وللتصوير الأثر الكبير في فهم القرآن والتأثير في المتلقي.

والقرآن الكريم عموماً امتاز بالبيان الراقى والتلوين الحسى وتمازج الحواس وتراسلها، وتحريك الذهن، وتحريك العقل والعاطفة معاً، وإضفاء روح الحياة والحركة، على المشاهد القرآنية عامة والمشاهد القصصية خاصة.

والتصوير يكثر في القرآن الكريم ولكنه ليس كأى تصوير أدبي إنه يجمع البلاغة من أطرافها فيعبر بألفاظ موجزة وبصورة بليغة عن مشهد متكامل فيقرب إلى الأذهان الفكرة بدقة عالية مع مراعاة الحالة النفسية وكذلك يأتي القرآن بالتصوير في القصة القرآنية وفي الترغيب والترهيب وفي آيات التفكير والتدبر القرآني فيضفي بلاغة راقية للنص ويملاً النص جمالاً وروعة بيان.

والقارئ للقصص القرآنية الواقف عندها المتأمل المتدبر يرى جمال التصوير وبديعه، حتى إن القارئ ليتخيل نفسه واحداً من شخوص القصة يعاينها، ويتأثر بها ويحسها وكأنه يعيشها. فمثلاً نرى القرآن الكريم يصور جلسة أهل الكهف ونومهم وتقلبهم، وجلسة الكلب حتى إن فرائصك لترتعد من هذا المشهد المهيّب. ومثالاً آخر تصوير جنة أصحاب الجنة وجمالها ثم تصوير هلاكها وإحراقها وكيف باتت أثراً بعد عين. وفي قصة سيدنا نوح كيف يصور إعراض الكفار من خلال رفضهم السماع وأنهم يضعون

<sup>174</sup> ينظر: قطب: سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط16، 1423هـ - 2002م، ص36.

<sup>175</sup> عبد التواب: صلاح الدين، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان - القاهرة، ط1، 1995م. ص9 - 10.

أصابهم في آذانهم وهذا يوحي بعظيم استكبارهم وشديد سفاهتهم وضلالهم وشقاوتهم، وهذه الصورة توحي بالران الذي على قلوبهم والغشاوة التي على أبصارهم فيخيل للقارئ بأنه يشاهدهم عياناً.

والتصوير الفني في القرآن هو "تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالإنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل"<sup>176</sup>.

ويجتمع مع التصوير الإيقاع الداخلي والخارجي وتأتي الفواصل القرآنية لتكمل الصورة البيانية والإيقاع جمالاً وتكاملاً فحين تسمع أذن القارئ السورة القرآنية فتمر على التصوير تطرب الأذن وتخلق الروح ذلك أن التصوير ليس كالتصوير والجمال ليس كالجمال إنه تصوير رب الأرباب وبيان خالق البيان. يمتزج الحوار بعدوية الكلمات ونغم الجمل فيتحرك الخيال ويتنبه الفكر والوجدان لعظمة السياق القرآني وجمال البيان الرباني، فالتصوير القرآني هو رسم مشرق بألوان تملأ الروح طمأنينة فتشرق الروح وتسعد القرآن الكريم "عندما يأتي بالقصة لا يخبر بها إخباراً مجرداً، بل يعرضها بأسلوب تصويري، يتناول جميع المشاهد والمناظر المعروضة"<sup>177</sup> وفي تصوير الشخصيات القرآنية تظهر قوة في تحريك العواطف والنفوس، فيستحضر ما يهمه من الشخصية وما يهمه من المشهد فيلقي الضوء على جانب معين دون غيره كي يسلط الأنظار على ما فيه العبرة لذلك، فالمتدبر في آيات القرآن الكريم ولا سيما في القصة القرآنية يرى الكثير من العبر والعظات المتواجدة خلف الكلمات المنتقاة وخلف الأحداث المختارة التي سلط الضوء عليها ولماذا اختار هذا الفعل دون غيره أو اختار هذه البداية للقصة دون غيرها من البدايات الأخرى.

وفي القصة القرآنية تصوير للانفعالات الإنسانية وتصوير للعواطف الوجدانية ومن أمثلة ذلك بكاء السيدة مريم عندما ولدت عيسى عليه السلام ولا سيما حينما قالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ [مريم: 23].

فالقرآن الكريم لا يذكر القصة بأسلوب جاف جامد ولا بأسلوب المخبر إخباراً فحسب بل يحرك السياق بالعواطف ويضفي عليه الإحساس الوجداني العميق ويفصّل في بعض الانفعالات المهمة التي تخدم الغرض القصصي.

<sup>176</sup> سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 37.

<sup>177</sup> البغا: مصطفى، مستو: محي الدين، الواضح في علوم القرآن، ص 190 - 191.

وهناك أيضاً بلاغة في تصوير الشخصيات القرآنية ولكننا نشير إليها في مكانها فالتصوير يشمل جميع أركان القصة القرآنية، بالإضافة إلى أن التصوير يبين ويكشف الجانب النفسي للشخصية القرآنية. و"للصورة دور في نقل الحالات النفسية وتجسيمها، والحديث هنا مرتبط بالتصوير القصصي الذي يشمل الحوادث، والشخصيات، والعواطف والانفعالات، وقصة يوسف غنيّة بأحداثها وأشخاصها، وانفعالاتها، وعواطفها"<sup>178</sup>. وفي القصص القرآني كلها مراعاة فهم القارئ سواء كان مثقفاً واعياً أو بسيطاً غير متعلم فيأتي الحديث عن الجانب النفسي بأسلوب بسيط وبإشارة صغيرة بحيث يتلقفها المثقف فيفهم من خلالها أشياء كثيرة وفي الوقت نفسه يفهمها الإنسان العادي فهماً دقيقاً يلائم ملكاته وقدراته.

### 3.2.6. تنوع وسائل ربط المشاهد<sup>179</sup>:

فالسردُ يختلف من قصة إلى أخرى فأحياناً يكون موجزاً وأحياناً مستطرداً وأحياناً هناك فجوات وأحياناً تغيب الفجوات، فالمشاهد تربط بأساليب مختلفة وفق ما قبل القصة وما بعدها، وبحسب الشاهد الذي وردت لأجله القصة، "ففي القصة الواحدة تجد بعض المشاهد متتابعة، وبعضها فيه فجوة تترك لخيال القارئ ليملاها"<sup>180</sup> ففي قصة يوسف عليه السلام كان هناك فجوات كثيرة في القصة ولم تذكر هذه الفجوات لأسباب كثيرة منها أنها تفهم من السياق ومنها أنها تترك للمتلقى التخيل الذهني والفكري ولكن مع وجود هذه الفجوات فربط المشاهد موجود والسامع لقصة يوسف يرى وكأنها ليس فيها أي فجوة مثال ذلك هو الفجوة بين قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 29] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: 30] فهناك أحداث لم تذكرها القصة القرآنية هنا وهي أن خبر امرأة العزيز انتشر في القصر أولاً ثم انتشر خارج القصر حتى وصل إلى كل بيت وسمع به القاصي والداني ثم يأتي قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: 30] فالقارئ لا يلحظ تلك الفجوة بسبب قوة الربط بين المشهدين حتى لتكاد تختفي الفجوة في سياق السرد القصصي.

<sup>178</sup> الراغب: عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط1، 1422هـ - 2001م، ص294.

<sup>179</sup> الدقور: سليمان محمد علي، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني (رسالة دكتوراه)، ص79.

<sup>180</sup> عباس: فضل حسن، قصص القرآن الكريم، دار النفائس، عمان - الأردن، ط3، 1430هـ - 2010م، ص49.

### 3.2.7. التكرار<sup>181</sup>:

إن القارئ للقرآن الكريم يتبين له تكرار القصص القرآنية، ولا سيّما قصص بني إسرائيل لما لها من عظيم الفائدة وكبير الأثر في ترقيق أفئدة المؤمنين، وأخذ العبر، وذلك حين يرون نهاية الظالمين كإغراق فرعون، والخسف بقارون، ومسح أصحاب السبت قردة وخنازير... ويرون استخلاف المؤمنين في الأرض وإكرامهم، ويلحظ القارئ أن التكرار فيه بعض الاختلاف وبعض التشابه.

وتكرار القصص القرآني هو أحد أسرار بلاغة القرآن الكريم، وطيف من أطياف إعجازه، فالقرآن الكريم حينما يكرر ربما كان يخاطب في المرة الأولى في مكان ما أرباب البلاغة والفصاحة وفي مكان آخر يخاطب البسطاء العاديين فتكون القصة الأولى أكثر تفصيلاً من الثانية المختصرة فعندما يفصل يحاول إفهام الناس البسطاء أو الذين يفتشون عن دقائق الأمور، فيأتي التكرار مختلفاً في الصياغة وفي الأسلوب وإن كان في ظاهره تكراراً، وأحياناً يحمل الكلام فنوناً بلاغياً عالية وأحياناً يكون الكلام في بعض الجمل من دون تصوير، فالتكرار هو إعادة صياغة لبعض جمل القصة وبعض أحداثها وأحياناً تكرر بعض الألفاظ أيضاً دون بعض وذلك لأهمية تلك اللفظة المكررة التي تخدم الغرض القصصي في كلاً الموضوعين.

وبما أن القصة هي نوع أدبي وفن من فنون الأدب، فهي تؤدي وتخدم غرضاً في القرآن الكريم وهو التشويق، والتنوع، والتأثير النفسي، للقارئ و"تكرار القصة في القرآن وثيق الصلة بمنهجه القصصي. إذ هو يخدم غرضين في آن واحد: غرضاً فنياً يتمثل في تجدد أسلوبها إيراداً وتصويراً، والتفنن في عرضها إيجازاً وإطناباً، والتنوع في أدائها لفظاً ومعنى. وغرضاً نفسياً بما له من تأثير في النفوس"<sup>182</sup>. فالكلام المكرر يكون أكثر تأثيراً في النفس حينما يتكرر ويصبح أكثر لصوقاً في الذهن وثباتاً في الفهم.

فلكل قصة في القرآن أسلوبها وغايتها وإن كانت القصة عينها، وإن تكررت لكنها تُكرر لأغراض بلاغية، منها ما عُرف، ومنها ما لم يُعرف، فقصة موسى وفرعون تكررت كثيراً وهي أكثر قصة مكررة في القرآن الكريم وقصة آدم وإبليس أيضاً تكررت كثيراً وكذلك قصة إبراهيم وقصة مريم عليها السلام وقصة نوح عليه السلام ولكن في كل مرة تأتي القصة من جانب يُظهر جانباً نفسياً ويخدم غرضاً دينياً ويؤدي

<sup>181</sup> ينظر: نقرة: التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1974م، ص111. وينظر:

الخطيب: عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ - 1975م، ص230.

<sup>182</sup> نقرة: التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1974م، ص115-116.

فكرة جديدة فيكون التصوير مختلفًا والبلاغة متفاوتة والأسلوب متغيرًا وفق ما يقتضيه السياق ويخدم الشاهد الذي سيقم لأجله القصة، ونسمع القصة المكررة في مكان آخر فنحسب أننا نسمعها لأول مرة في حين أننا كنا قد قرأناها قبل ذلك في مكان آخر في سورة أخرى وهذا مما يدل على روعة بيان هذا القرآن وإعجازه.

وللقصة القرآنية غاية وحكمة وعبرة وعظمة، لذلك فالتكرار يختلف باختلاف الموضوع الذي تتناوله القصة بما يخدم العبرة منها، فربما يذكر القصة ليفيد عبرة معينة، ثم يكررها ليعطينا عبرة أخرى، فليس التكرار عشوائيًا وليس للتأكيد و"ليس تكرارًا للحدث، ولا إعادة للواقعة بصورتها التي عرضت بها أولاً، بل إن أكثر القصص القرآني تتكرر فيه الشخصية، ولا تتكرر فيه الحادثة. وإنما الذي دعا إلى القول بالتكرار في القصص القرآني، هو ظهور الشخصية في مواقف متعددة"<sup>183</sup>.

إن الأحداث في القصة حين تتكرر فالغاية من التكرار ليس تكرار ذكر الحدث وليس تكرار ذكر الشخصيات وإنما الغاية والهدف هو تسليط الضوء على جانب معين جديد من الحدث من زاوية أخرى فربما كانت الزاوية الأولى التي سلط عليها الضوء في السورة الأولى اجتماعية وفي موضع ثان كانت أخلاقية تربوية وفي موضع ثالث نفسية وهنا مهمة الباحث والدارس والمتأمل والمتذوق لكتاب الله أن يفيدنا في هذا الجانب المكرر وغايته والعبرة والحكمة المرجوة.

وهنا نشير إلى أهمية السياق في أسلوب صياغة التكرار وتوجيهه بحيث ينحو منحى خاصًا في كل مرة، فالسياق أحيانًا يكون من أجل تمكين جانب أخلاقي وتربوي وأحيانًا يفرض السياق تمكين جانب التوحيد والإيمان فيأتي بألفاظ تدعم العقيدة وتعزز الثقة بالله، فيكرر الحدث ولكن بتغيير الفعل الذي يناسب المنحى المراد، ولا يأتي التكرار في القصة في نمط معين أو أسلوب متكرر بل باختلاف العبارة والصياغة واختلاف الأفعال وحروف الجر والتقديم والتأخير بما يضيف تشويقًا وتنويعًا ناهيك عن الجوانب الأخرى التي يخدمها التكرار، وأهم تلك الجوانب ترسيخ الجانب الإيماني العقدي وتمكين الجانب الخُلقي وتهذيب النفس وإضفاء العبر وإلقاء الحكمة وأحيانًا يكون ذلك مفيدًا في جانب الإعجاز القرآني

<sup>183</sup> الخطيب: عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ - 1975م، ص42-43.

البلاغي حيث يبين قوة بلاغة القرآن الذي يسرد أحداثاً واحدة فيكررها بأساليب مختلفة وكل أسلوب معجز بطريقة فنية مختلفة غاية في البيان.

وهذا البحث يأتي لدراسة المتشابه اللفظي في القصص القرآني ليعين معاني الفروقات اللغوية واللفظية في القصة الواحدة في سياقات مختلفة وذلك في الجانب التطبيقي من هذا البحث.

### 3.3. أهداف القصص القرآنية

القرآن في عمومهِ هو المعجزة الكبرى للنبي عليه الصلاة والسلام، وتأتي القصة القرآنية كونها جزءاً من القرآن لإثبات الإعجاز من خلال أمور عديدة، منها سرد وقائع حقيقية جرت في القرون المنصرمة قد لا يعرفها الناس في مناطق الجزيرة العربية، وتَحَرَّفَ كثير من أخبارها وتبدَّل، وتبقى القصة القرآنية صادقة معجزة تُبَيِّنُ الخلل في القصص النبوية المحرَّفة في الإسرائيليات وفي التوراة والإنجيل الحاليين. وتتلخص أهداف القصة القرآنية وفق ما يلي:

#### 3.3.1. تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية نفوس صحبه:

ما يزال القرآن الكريم من خلال آياته التي نزلت تباعاً وبشكل مفرق وتدرجي وتفصيلي يثبت فؤاد النبي عليه الصلاة والسلام في كل أخباره وبشاراته ووعوده التي تسلي عن رسول الله ومن خلال قصصه أيضاً، فقصص الأنبياء السابقين حين تُسرد وتنتهي بنصرة المرسلين وإهلاك الكافرين تؤكد أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم مآله كمال من سبقه من المرسلين بالنصرة ومآل مشركي عصره كمال المشركين الذين كذبوا المرسلين الذين أرسلوا قبله وهو الإهلاك والموت والعذاب الشديد، ففي القصة القرآنية نلمح "بيان نصر المؤمنين وخذلان الكافرين وإحقاق الحق وإزهاق الباطل ويتكرر رفع راية العدل وسحق قوة الظلم من خلال القصص التي يذكرها القرآن" <sup>184</sup>.

ناهيك عن العبرة والحكمة والعظة لكل من قرأ وسمع هذه القصص ممن عاصر النبي من المسلمين والمؤمنين ومن الكافرين والفاستقين والمنافقين وممن جاء بعدهم إذ تكون القصة القرآنية غرضاً وهدفاً للدرس التاريخي الذي يستفيد منه دارسو التاريخ الذين يدرسون قصص الأقسام السابقة فيقارنون بين التوراة والإنجيل والقرآن والإسرائيليات وغير ذلك من كتب حوت تلك القصص فالقصة القرآنية إذن

<sup>184</sup> عتر: د. نور الدين، القرآن الكريم والدراسات الأدبية، ص222.

مصدر مهم لتقوية نفوس الصحابة والمؤمنين وكل طالب للحق وكل معتبر ومتعظ لأن الخواتيم واحدة وإن اختلف أسلوب العذاب للكافرين عبر التاريخ.

### 3.3.2. نشر القيم الخلقية والدينية بين المؤمنين:

لقد بُعثَ النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق ولْيُرْسَخَ أُسُسَ الدين القويم، وتأتي القصة القرآنية في هذا المنحى لتفيد في نشر الأخلاق والقيم والفضائل التي تظهر في طيات تلك القصص القرآنية العظيمة ولا سيَّما في الجدل والحوار بين أهل الإيمان من مرسلين أو مؤمنين أو متقين، وأهل الكفر من مكذابين أو منافقين أو مشركين ومستهزئين، فهذه الحوارات تقدم نموذجًا للصراع بين الخير والشر، بين الحق والباطل عبر العصور، فالصراع هو صراع دائم منذ بدء الخليقة حتى نهايتها، فمثلاً حين يظهر الظالم نقول ويقول أهل العرفان كان فرعون أقوى من هذا الظالم وعاش أكثر منه فيضرب المثل بفرعون الذي حكم قرابة ثلاثمائة سنة<sup>185</sup>، وكذلك يضرب المثل للبخيل الذي لا ينفق ماله في سبيل الله ويحرم الفقراء بقارون الذي بلعته الأرض وكذلك يضرب المثل لكل وزير ضالٍ منحرف مع حاكم ظالم جائر بمامان، وبهذه الأمثال المضروبة نوجد شيئاً من التوازن والتثبيت لنفوس بعض ضعاف النفوس عبر العصور الذين يرون الظلم منتشرًا في بلادهم أو في بعض بلاد المسلمين ويقولون كيف يرضى الله بذلك فالله أهلك من هم أشد منهم قوة وبذلك تُثَبِّتُ نفوس المؤمنين وتطمئن قلوبهم بعد أن يدركوا أن هناك حكمة في ما يجري في الكون وبأن الحياة لم تبدأ بعد فالحياة هي الحياة الحقيقية في الآخرة، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64].

والقصة القرآنية تعلم مكارم الأخلاق "عن طريق القدرة العملية الماثلة في قصص القرآن والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، وحماية الإنسان من الوقوع في الآثام، والحض على التوبة للمسيء"<sup>186</sup>.

<sup>185</sup> تنقل بعض مصادر التفسير أن فرعون عاش زهاء أربعمائة سنة لم ير مكروهًا في ثلاثمائة وعشرين سنة. وقالوا: لو أصابه في تلك المدة جوع أو حمى لما ادعى الربوبية، ودعا موسى عليه السلام ثمانين سنة. ينظر: السمرقندي: بحر العلوم، 128/2، الرخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، 144/2. ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ، 1535/5.

<sup>186</sup> عباس: فضل، قصص القرآن الكريم، ص44.

وتمثل لذلك بقصة أصحاب القرية وقصة أصحاب الجنة وقصة يوسف عليه السلام وصبر أيوب عليه السلام ...

ومن خلال النماذج الحيرة والشريرة التي تتحدث عنها القصص القرآنية يأخذ المستمعون والمتفكرون لها الكثير من الدروس والعبر فتتجلى لديهم العقيدة الصحيحة، والأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة، وتستقيم عواطفهم وأفكارهم وسلوكياتهم<sup>187</sup>

وكذلك فإن النماذج القرآنية يمكن تطبيقها على هذا العصر وعلى كل العصور فالمبتلى يتذكر سيدنا أيوب عليه السلام، والمسجون يتأسى بسيدنا يوسف عليه السلام، والبخيل الذي يتمنع عن الزكاة إذا قرأ في سورة القلم قصة أصحاب الجنة سيذكر أنه بمنعه الزكاة سيخسر أمواله ونعمه التي لم يؤد حقها.

### 3.3.3. الترغيب والترهيب:

وهو أسلوب من الأساليب القرآنية التي تؤثر في المتلقي وذلك من خلال عرض القصة وما تحمله من حوارات تحمل أساليب البلاغة كالأمر والنهي والزجر والموعظ الدينية. فالقصص القرآني هو بجد ذاته دروسٌ قيّمة ورسائل مؤثرة يستفيد منها المستمع ويتعلم الشيء الكثير من إيجابياتها ويصبح لديه رغبة بإرساء القيم الحسنة وحب للعمل الصالح ودافع لإصلاح النفس وتهذيب الخلق، وتصبح لديه همة لأن يصبح إنساناً خيراً صابراً كأصحاب الخير والصالحين من شخصيات القصة.

وكذلك يخاف ويحذر ويتعظ عندما يرى عاقبة الأشرار ومآلهم وما حل بهم، فيرتدع عن ارتكاب ما ارتكبه من أفعال شنيعة ويتعد عن سلوك الطريق التي سلكوها.

فحين يقرأ الإنسان مثلاً قصة الأنصاري وزوجته الذين استضافوا ضيفَ رسول الله ولم يأكلوا وأهلوا أولادهم حتى يناموا بدون طعام وعمدوا إلى السراج فأطفؤوه حتى يأكل الضيف وباتوا جوعاً فعجب الله عز وجل لصنيعهما والحديث في الصحيحين ثم نزل قوله تعالى فيهما حامداً لهما شاكراً فعَلَمَها: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9] فهذه القصة وإن لم يذكرها القرآن ولكن القرآن ذكر أهمية الإيثار وشكر لهما فهذه القصة تحض على الإيثار والكرم والجود.

<sup>187</sup> Bknz: ŞENGÜL, İdris. *Kıssa*. Diyanet İslam Ansiklopedisi içinde, Ankara: TDV Yayınları, S.499.

وحين يقرأ الحاكم قصة ذي القرنين وكيف مدحه الله بالعدل والقوة فهو إن كان يحمل في قلبه إيماناً سيتأثر حتى يصبح مثل من مدحه القرآن. والعاق لوالديه حين يقرأ قصة الشاب الذي ﴿قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفْ لَكُمْمَا أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْغِيَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: 17] ويعرف غضب الله على هذا العاق وذلك في نهاية الآية التي بعدها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [الأحقاف: 18] فيدرك أنه غدا من الخاسرين حينها قد يتأثر وربما امتنع عن عقوفه.

فالقصاص القرآني إذن ترغب من خلال ذكر نماذج إيجابية مع فوزهم ورضا الله عنهم، وترهب من خلال ذكر نماذج سلبية وخسارتهم وغضب الله عليهم.

### 3.3.4. التأثير النفسي:

للأدب عموماً سواء منه الشعر أو القصة تأثير بالغ على النفس الإنسانية فالنفس تعشق أصناف الأدب، والقصة لما لها من حبكة وتشويق، وسرد وحوار، تؤثر في القارئ لأنها تلجج النفس الإنسانية وتسير أغوارها من خلال المحاكاة بين القصة القرآنية والواقع المعاش الذي يحياه الإنسان الآن في عصرنا الحالي لذا فللقصص القرآني تأثير بالغ على النفس الإنسانية حيث تحرك العواطف والمشاعر حين يسمع المتلقي نهاية مأساوية مثلاً أو حين يسمع نهاية مفرحة فيعيش أجواء القصة بخيالاته وذهنه وتفكيره وعقله وكأنه عاصرها فتعترك عنده لواعج النفس وخلجات الروح فيفرح ويحزن ويضحك ويبكي أحياناً ولا سيما أن أسلوب القصة القرآنية أسلوب بليغ فيه التشويق والتأثير والترغيب والترهيب والاستفهام وغيرها من الأساليب الإنشائية البلاغية العالية التي ترقق القلوب وتلين النفوس وتهذبها من خلال العبر والعظات المستنبطة من القصة.

ولنأخذ على ذلك مثلاً بداية قصة يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4] فالسامع لهذا الكلام يتلهف شوقاً ويتوق إلى معرفة نتيجة تلك الرؤيا وما إذا كانت قد تحققت أم لا، فهذه البداية للقصة وبرغم كونها جملة واحدة لكنها تؤثر على نفسية المتلقي وتحرك فيه العواطف والأحاسيس فتزيد من حماسه وشعوره وتحفز

لسماع المزيد من تلك القصة ويتشوق لمعرفة أحداثها ووقائعها وما حصل فيها. وكذلك عندما دخل يوسف السجن وكان معه صاحبان وعبرَ لهما الرؤى ثم تحققت رؤاه وصدق تأويله ثم ما حصل من رؤيا الملك وطلب من يوسف وهو في السجن تأويل تلك الرؤيا بعد أن تذكره صاحبه الذي كان معه في السجن ونجا: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: 46] فهذه القصة تشد القارئ وتدغدغ عواطفه وتأسر مشاعره لغرابة أحداثها وروعة تصويرها وبلاغة سردها وجمال أسلوبها وكثرة العبر والفوائد المستنبطة منها.

### 3.3.5. التوجيه وترسيخ العقيدة

إن القصص القرآني يهدف إلى بلورة الإيمان والعقيدة وذلك بأسلوب ممتع شيق وهذا الأسلوب هو عن طريق القصة. والقصة بطبيعتها تألفها النفوس لأنها مشوقة تجذب الأسماع والأبصار والأفئدة ولنهاياتها وخواتيمها حكيم عظيمة ومنافع كبيرة لأولي الأبصار، لأن قصص الشعوب وحوادثهم وقضاياهم تتكرر ولكن بأساليب مختلفة. فمثلاً الظالم نهايته وخيمة والمظلوم سينصره الله ولو بعد حين، ودائمًا يستخلف الله المؤمنين في الأرض ويكرّمهم بالحياة الرغيدة، والكافر والظالم يشقون في حياتهم وإن تمتعوا برهة من الزمن وفرحوا حينًا من الوقت. وسرّد مثل هذه القصص يعطي توجيهًا وترسيخًا في آن واحد وإن القرآن الكريم اصطفى من الأحداث التاريخية الهامة في حياة المخلوقات ما يخدم الدعوة الإسلامية ويرسخ عقيدتها ويوجه المسلم توجيهًا صحيحًا<sup>188</sup>. فالتأمل للقصة القرآنية، القارئ لها قراءة متمعنة، يسير في الطريق السليم ويطيع رب الأرباب بتأثير حكمة القصة ونهايتها فتتمكّن عقيدته وفكره ويقينه بالله عز وجل وبنصرة المسلمين وإهلاك الكافرين فيقوى إيمانه ويعظم.

### 3.3.6. وحدة رسالات الأنبياء:

إن جميع قصص القرآن الكريم تدور في فلك واحد وهو فلك التوحيد وعبادة الله وحده وطاعته فيما أمر والانتهاة عما نهى عنه والأنبياء جميعًا لهم رسالة واحدة وغاية واحدة سامية هي الدعوة إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وتقرير عبادة الله وحده ونبد عبادة الأصنام والابتعاد عن الفحشاء والمنكر وإرساء القيم الحسنة.<sup>189</sup>

<sup>188</sup> الخطيب: عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص73.

<sup>189</sup> Bknz: ŞENGÜL, İdris, KISSA, S.499.

والقارئ لقصص الأنبياء التي ورد ذكرهم في القرآن الكريم يلحظ اتحاد رسالاتهم ووحدة غايتهم وتقارب كلامهم فهذا نبي الله نوح يخبرنا القرآن عنه فيقول: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: 106 - 110] ومن بعده يأت هود عليه السلام فنجد في دعوته ما وجدنا في دعوة نوح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 124 - 127] إلى آخر تلك الآيات وكذلك صالح ولوط وشعيب عليهم السلام والأنبياء جميعاً كانت رسالتهم متحدة الهدف والغاية والمنهج ونلمس هذه المعطيات واضحة من خلال قراءتنا للقصة القرآنية وتأملها وفهمها.

### 3.4. عناصر البنية الفنية للقصة القرآنية

عناصر القصة هي المكونات الأساسية لأي قصة، وهذه العناصر هي على الشكل التالي:

#### 3.4.1. الأحداث:

وتتلخص في (المشاهد والمواقف)

**تعريف المشهد لغويًا:** جاء في كتاب الصحاح: "المشاهدة: المعاينة.. وقومٌ شهودٌ، أي حضورٌ والمشهدُ: مَحْضَرُ النَّاسِ"<sup>190</sup>.

جاء في لسان العرب: "مَشَاهِدٌ مَكَّةُ: المَوَاطِنُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ بِهَا"<sup>191</sup>.

إذن المشهد في اللغة: حضور الناس واجتماعهم، قال تعالى حكاية عن يوم القيامة الذي يحضر فيه الناس ويجتمعون: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مریم: 37]. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ جَمُوعٍ لِهَذَا يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ [هود: 103].

**تعريف المشهد أدبيًا:** هو: "كل ما يعرض ليسترعي النظر وخاصة إذا كان مثيراً غير عادي. ويشير المصطلح في الأدب عادة إلى عرض ضخم. وقد تعتبر الفقرات التي تصف مشهداً في رواية أو شعر قصصي قطعة ترصيع قائمة بذاتها فهي فقرات بعيدة إلى هذه الدرجة أو تلك عن الحكمة وتدخل إلى

<sup>190</sup> الجوهري: الصحاح، شهد، 494/2.

<sup>191</sup> ابن منظور: لسان العرب، 239/3، 241.

النص لتقدم لونا أو خلفية أو إيجازاً<sup>192</sup>، **والمشهد** في المسرحية: "ما يشهده الناس عامة على خشبة المسرح من مناظر وتمثيل أو رقص وإيماء"<sup>193</sup>.

والقصة تمتاز بكثرة مشاهدتها وفصولها وحواراتها وأحداثها، طالت أو قصرت... تطول بما يتوافق مع السياق ومع الحكمة من سرد القصة في هذا الموضوع أو ذاك. وربما يأتي القرآن الكريم في قصة ما بمشهد واحد فقط ليستشهد بفكرة معينة تخدم السياق. ومن أمثلة ذلك قصة الرجل<sup>194</sup> الذي مرَّ على قرية فارغة من سكانها متهدمة فتساءل متعجباً مستبعداً إمكانية إعادة إحيائها: ﴿أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: 259] الآية... فاستحضر الأسلوب القرآني في سرد القصة مشهد الإحياء الذي فيه العبرة فسلط الضوء عليه، وأهمل تفاصيل أخرى كاسم المار واسم القرية وما إلى ذلك من تفاصيل ليست مقصودة لذاتها بذكر القصة.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78] فالقصة هنا اقتضت على مشهد واحد فحسب، إذ جاء القرآن بمشهد الرجل الكافر<sup>195</sup> الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم ويده عظم بال، ففتته وذره ونثره في الهواء مستهزئاً ومتحدياً إمكانية إحيائه وإعادته، منكرًا قدرة الله على إعادة الخلق فجاءت الآية التي بعدها ترد عليه: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 79]، ولم يذكر في القصة أحداثاً ولا أي تفاصيل أخرى سوى هذا المشهد؛ وذلك للاكتفاء بعرض مشهد والرد عليه لبيان العبرة والعظة.

**والمواقف** جمع موقف وهو: "طريقة الكاتب في تنظيم مواد العمل الأدبي وخاصة حينما تعكس فهمه وتفسيره لتلك المواد.. لا موقفه الفكري خارج العمل الأدبي.. أو هو نسق يعاود الوقوع من الأحداث أو المواقف في السرد القصصي أو الدراما"<sup>196</sup>.

<sup>192</sup> فتحي: إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، ص330.

<sup>193</sup> وهبة: مجدي، المهندس: كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص367.

<sup>194</sup> قيل أنه عَزَّيْرٌ وقيل أنه أورميا بن حلقيا وقيل أنه الحَضِر. ينظر: تفسير الطبري: 440/5.

<sup>195</sup> قيل أنه أُبي بن خَلْف، وقيل هو العاص بن وائل السَّهْمِي، وقيل بل هو عبد الله بن أبي. ينظر: تفسير الطبري: 553/20.

— 554.

<sup>196</sup> فتحي: إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، ص359.

"والموقف اصطلاح في يطلق في عالم الفن القصصي.. يطلقه بعض النقاد على المرحلة الأولى من الحدث، فكثير من النقاد يشترطون في الحدث: أن يكون مكوناً من بداية ووسط ونهاية، والبداية أو الموقف هي المرحلة الأولى التي يتعرف فيها القارئ على الحدث وعلى الشخصيات"<sup>197</sup>.

وأما الأحداث فهي جمع حدث وهو "سرد قصصي موجز أو قصير، يتناول موقفاً واحداً، وحينما تنتظم الأحداث معاً، ويجمعها خيط واحد بطريقة مترابطة تصبح سلسلة أحداث في الحكمة"<sup>198</sup>، والحدث في القصص القرآني يذكر أحياناً بعيداً عن الزمان والمكان وأحياناً يذكر المكان دون الزمان لأن الزمان معروف فمثلاً حينما يقول: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس: 20] هو يحدد لنا المكان (أقصى المدينة) وحدده هنا لأهميته لأنه عندما يأتي من أقصى المدينة وهو يسعى فهذا الرجل وإن كان بعيداً عن تلك المحلة التي حصلت فيها القصة لكنه رجل مهم معطاء يقدم جهداً كبيراً ويبدل ما بوسعه في سبيل الدفاع عن الحق ونصرة الرسل، وتحديد المكان هنا أعطى التصوير هنا بُعداً جمالياً أكبر وأبلغ. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: 16]، فذكر فيها زمن حدوث مجريات وتبعات جريمتهم وهو وقت العشاء وسبب التصريح بالوقت هنا ليُعَلِّمَنَا أن إخوة يوسف قد حرصوا على فعل جريمتهم وتدبيرها في ظلمات الليل وخفائه وستره حيث إنه ادعى في الستر وأوجب في التصديق.

إذن فالأحداث في القصة تتعلق في الزمان والمكان عموماً أما في القرآن الكريم فلكونه كتاباً محكماً والقصة فيه ليس غرضها القصة بحد ذاتها بل غرضها العبرة والعظة فيكون ذكر الزمان أو المكان أو باقي أركان القصة وفق ما يرمي إليه الهدف الديني للقصة القرآنية.

والأحداث في القصة القرآنية تختلف وتتنوع ما بين أحداث موجزة سريعة وما بين أحداث مفصلة فيها سرد لبعض حيثيات القصة والذي يحدد طبيعة سرد أحداث القصة سواءً بصورة موجزة مكثفة أو بصورة مفصلة عدة عوامل منها: السياق والمكي والمدني والهدف الديني والغاية من سرد القصة كل ذلك يقتضي تحديد وتيرة سرد الأحداث في القصة القرآنية.

فحين يكون للحدث أهمية في التنبيه إلى التوحيد أو إلى الإرشاد إلى أشياء مهمة في صلب العقيدة فنجد القرآن يقف عند الحدث وذلك كتفصيل بعض الجزئيات في تصرف قوم نوح عليه السلام عندما دعاهم إلى الإيمان بالله وطاعته فقال تعالى على لسان نوح حكاية عن فعل قومه: ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَعْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْسَفُوا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: 7] فوصف أدق

<sup>197</sup> ينظر: دبور: محمد، أسس بناء القصة من القرآن الكريم (رسالة دكتوراة):، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية، قسم الأدب والنقد، 1417هـ - 1996م، ص 105.

<sup>198</sup> فتحي: إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، ص 137.

التفاصيل في ذكر هذا الحدث ليبيّن مدى جهالتهم وعنادهم وكفرهم وتعنتهم عن قبول الرسالة وقبول التصديق.

فالأحداث عنصر مهم في القصة لا تتم إلا بها، وتختلف طريقة تصوير الأحداث من قصة لأخرى، وفق ما تتطلبه الغاية المستشهد لأجلها القصة أو المشهد و"قد ينصرف الاهتمام في القصة القرآنية إلى الأحداث دون الشخصيات فيختار القرآن منها أو من عناصر الحادثة ما يخدم الفكرة الرئيسية، ويخلق الجو النفسي الملائم من إجلال أو رهبة أو خوف، ونفور أو رغبة"<sup>199</sup>.

والأحداث أو الحوادث في القرآن تعرض بأسلوب مبسط وواضح، ويظهر القرآن الجانب الانفعالي والعاطفي في الحدث وفي الشخصية، ويضفي على الحدث الألوان والحركة والتصوير الفني الصادق الجميل وذلك من خلال الوصف الرائع والدقيق والتجسيم والتشخيص والصور البيانية والبلاغية السامية حتى يصبح الحدث لمن يسمعه كأنه يراه أمام عينيه فيحس به ويتفاعل معه ويتأثر به ويعتبر ويتعظ.. ناهيك عن الحكمة والعظة المستخلصة من القصة التي نستنتجها ونستشرفها من طيات الأحداث والحوارات بين الشخصيات.

### 3.4.2. الشخصيات:

الشخصيات في القصة من أهم أركان القصة، وهناك شخصيات رئيسية، وشخصيات ثانوية، وهناك شخصية البطل التي تكون في محور القصة، إذ تدور الأحداث حوله والقاص يهتم بوصف الشخصيات الأساسية أكثر من الثانوية وربما يذكر صفاته الجسدية والنفسية وأفعاله كأنما يرسمها رسمًا. ولكل شخصية دورها الاجتماعي الذي يحدده منحى القصة ولكل شخصية دورها وفقًا للأحداث ووفقًا للمشهد في القصة.

كما أن خطة القصة تفرض وتحدد زمن ظهور الشخصية وتحدد مكان تواجدها وتحركاتها والشخصيات ترتبط بكل أركان القصة ولا سيّما بعنصري المكان والزمان.

ولنأخذ مثالاً من القصص القرآني قصة أصحاب الجنة حيث كان البطل فيها هو الأخ الأوسط، الذي رفض في البداية فكرة إخوته القائمة على طرد الفقراء، وهذا المشهد المحذوف الذي عرفناه فيما بعد من خلال قول الأخ الأوسط بعد حرق جنتهم: ﴿أَمْ أَقُلُّ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28]، فكان هذا الشخص هو الأفضل، وهو موضع العبرة؛ وهي أن الإنسان إذا أراد أن يحافظ على نعمته فعليه بالإنفاق

<sup>199</sup> نقرة: التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، ص 349 - 350.

والتسبيح. فالشخصية الرئيسية هنا هي الأهم، فهو هنا وإن ظهر ضعيفًا مغلوبًا على أمره لكنه خسر؛ لأنه رضي بمنع الفقراء من الخيرات، ولم يصطدم بأخوته فسايرهم.

والقرآن الكريم عندما يتحدث عن شخصية ما في القصص، فإنه يتحدث عن تلك الشخصية بدقة تامة، فيصور أوصافها بحرفية عالية لا مثيل لها، وينقل أقوالها بأمانة كاملة وصدق تام، ويعبر عن مشاعرها بقوة، وما جال في خواطرها من إحساسات نفسية عميقة بصورة صحيحة.

كما يلاحظ ائتلاف عناصر القصة في القرآن وتوحيدها وانسجامها فيما بينها، فالشخصيات في القصص القرآني ترتبط ارتباطًا متناسبًا ولطيفًا مع تسلسل الأحداث الذي بدوره يكون متناسبًا ومتسلسلاً مع الزمان الذي يكون بدوره متسقًا مع المكان الذي حصلت فيه القصة. ويكون حوار الشخصية في القصص القرآني متوافقًا و متناسبًا مع الشخصية نفسها فلكل شخصية أسلوبها وطريقتها في الحوار، فالقرآن يرسم الشخصية بدقة ويصورها بصدق ويعبر عن حالتها النفسية وانعكاساتها ومشاعرها. والمتأمل للشخصيات في القصص القرآني يرصد أحيانًا ذكر أسماء الشخصيات في تلك القصص، فيما يلحظ أحيانًا طي تلك الأسماء، وعدم الكشف عنها، فنرى أن القرآن الكريم لا يهتم بذكر أسماء الشخصيات في العموم بسبب اهتمامه وتركيزه على العبرة والعظة المستنبطة من القصة كالدلالة على قدرة الله أو تقرير التوحيد أو التنبيه على الأخلاق .. ولكنه يذكر من الأسماء من كان شأنه عظيمًا الأنبياء والرسل، أو من عظم شره واستوحش في طغيانه كقارون وهامان وفرعون .. فالقرآن يهتم بالموقف أكثر من ذكر اسم الشخصية كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 20] فهو يهتم بذكر فعل الشخصية والتركيز على أقوالها وليس اسمها وذلك لأن العبرة وموضع الشاهد يكونان في ما قامت به تلك الشخصية من موقف معين سواء إيجابًا أو سلبيًا، خيرًا أو شرًا، أما تحديد اسم الشخصية فهذا حين يتطلب الأمر ذلك وتقتضيه الحكمة.

إن القرآن الكريم يقدم شخوص القصة القرآنية لتصبح نماذج تتوافق وتتناسب لكل زمان، فيمكن إسقاطها على الشخصيات التي تشبهها في زماننا هذا مثلًا، فكل من يكنز المال ولا ينفقه في سبيل الله وأوجه الخير نسقط عليه شخصية قارون مثلًا، وكل طاغية جبار يشابه شخصية فرعون فإنه سينتهي كما انتهى فرعون، وكل مرتد نسقط عليه شخصية عقبة بن أبي معيط الذي يعرض على أصحابه يوم القيامة<sup>200</sup>.

<sup>200</sup> روي أن عقبة بن أبي معيط وكان صديقًا لأبي بن خلف صنع وليمة فدعا إليها قريشًا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد أبي رسول الله ففعل، فأكل رسول الله من طعامه، فلما بلغ أبي بن خلف ذلك قال لصديقه عقبة: صبات. قال: لا، ولكن دخل علي رجل عظيم فأبى أن يأكل

والشخص في القصة ترتبط بالمكان والزمان في أغلب الأحيان وهذا من أجل تقريب القصة إلى الفهم حيث تكون القصة أكثر تقبلاً وقبولاً لدى المسلم وغير المسلم، فالباحثون من المسلمين وغير المسلمين يقرؤون القرآن الكريم ولا سيما القصص القديمة للمقارنة بينها وبين الإنجيل والتوراة لذلك يحدد القرآن الكريم الزمان أو المكان في كثير من القصص كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضَحَىٰ﴾ [طه: 59] فحدد هنا موعد الضحى زيادة في التوثيق وهذا مظهر من مظاهر إعجاز القرآن حيث يخبر عن الغيبات القديمة التي طالها الأمد.

### 3.4.3. الحوار:

الحوار في اصطلاح الأدباء هو: "تبادل الحديث بين الشخصيات في قصة أو مسرحية"<sup>201</sup>، والحوار "نمط تواصل حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص، على الإرسال والتلقي"<sup>202</sup> والحوار جزء أساسي من القصة ولا يمكن أن تكتمل أركان القصة وسرد أحداثها إلا بالحوار فالحوار هو الذي ينقلنا إلى المشهد، ويصور لنا التفاصيل تسجيلاً تاماً كما حصل بين الأطراف المتحاورين.

والحوار في القصة القرآنية يأتي لهدف نبيل وينقل المفيد من الأحداث فلا يوجد في القرآن حوار مجرد الحوار، فكل كلمة تأتي لحكمة ومعنى. والجمل في الحوار القرآني تتصل بالدعوة إلى الله والعقيدة وتتصل بالإيمان من خلال مخاطبة العقل والفكر وتحريكه فيستنبط الذهن أشياء مفيدة في تحريك الخيال حتى يصل إلى معرفة الله عز وجل وتوحيده ويرتقي بأخلاقه وتهذب نفسه، كما تتصف مفردات الحوار بالبساطة والسهولة مع تأثيرها النفسي على المتكلم والمتلقي.

ومن يقرأ القرآن ويتوقف عنده يجد أنه اعتمد اعتماداً كبيراً على الحوار لنقل المشهد وتصويره تصويراً حياً ليتضح الموقف ويجلو بشكل كبير هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالحوار يحرك العقل والوجدان ويقدم الحجة ويؤثر في المتلقي.

ويرى ابن عاشور (ت. 1973/1393) أن القرآن الكريم قد أتى بمبتكرات تميّز بها نظمه عن بقية كلام العرب وعدّ من تلك المبتكرات "الأسلوب القصصي في حكاية أحوال النعيم والعذاب في الآخرة،

---

طعامي حتى أشهد له بالرسالة. فقال له أبي: وجهي من وجهك حرام إن رأيت محمداً حتى تبرزق في وجهه، وتطأ على عنقه، وتقول كيت وكيت، ففعل عدو الله ما أمره به خليله فأنزل الله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: 27]. الصابوني: محمد علي، صفوة التفسير دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1417هـ - 1997م، 329/2.

<sup>201</sup> وهبة: مجدي، المهندس: كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص154.

<sup>202</sup> علوش: سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص78.

وفي تمثيل الأحوال، وقد كان لذلك تأثير عظيم على نفوس العرب إذ كان فن القصص مفقودًا من أدب العربية إلا نادرًا<sup>203</sup>.

هذا وإن القرآن الكريم عند ذكره للمحاورات التي جرت في طيات القصص الغابرة، فإنه يعيد صياغة ذلك الحوار بما يتناسب مع لغة العرب، وبأسلوب قرآني ينبئ عن إعجاز غير مسبوق، خاصة وأن بعض تلك المحاورات لم يكن لسان أصحابها عربيًا. وفي هذا يقول ابن عاشور (ت. 1973/1393): "القرآن يتصرف في حكاية أقوال المحكي عنهم، فيصوغها على ما يقتضيه أسلوب إعجازه، لا على الصيغة التي صدرت فيها.. ومن هذا القبيل حكاية الأسماء الواقعة في القصص فإن القرآن يغيرها إلى ما يناسب حسن مواقعها في الكلام من الفصاحة مثل تغيير شاول إلى طالوت، وتغيير اسم تارح أبي إبراهيم إلى آزر"<sup>204</sup>.

فأسلوب الحوار في القرآن الكريم يتفق مع البلاغة العربية فرمما يُبَسِّطُ القول أو تقترب العبارة من السهولة حتى يفهم القارئ العادي ذلك الأسلوب فقد يكون الحوار جرى في قصص الأنبياء القديمة ولكنها صيغت بأسلوب صياغة العرب وبلاغتهم حيث يتفق وإعجاز القرآن.

#### 3.4.4. التشويق:

تعريف التشويق لغة: "الشَوْقُ والاشْتِيَاقُ: نزاع النفس إلى الشيء. يقال: شاقني الشيء يشوقني، وشوقني فتشوقْتُ، إذا هيجَ شوقك"<sup>205</sup>.

وفي علم النفس: "التشويق والتعزيز ظاهرتان تتعاونان في تحقيق السلوك الإنساني أو تكراره. فالفرد يتشوق إلى أمر ما، بعد شعوره بالحاجة إليه"<sup>206</sup>.

وفي الأدب يوجد ما يسمى عناصر التشويق في القصة منها أن يكون لها بداية ووسط وخاتمة، وأن يوجد بها عقدة ومشكلة، ووجود البطل والشخصيات، واستخدام أسلوب الإثارة، وأن تكون قريبة من القارئ، والقرآن الكريم يمتلك عناصر تشويقية كثيرة ومتعددة، استخدمها في القصة القرآنية، لعل أهمها تحريك المشاعر وإثارة العواطف والخاتمة ذات العبرة. فالقرآن الكريم كتاب وعظ وإرشاد، وكتاب دعوة إلى التوحيد، ولكنه استخدم التشويق في الأسلوب القصصي في القصص التاريخي ولا سيَّما قصص الأنبياء،

<sup>203</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، 120/1.

<sup>204</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، 120/1-121.

<sup>205</sup> الجوهري: الصحاح، مادة شوق. 1504/4.

<sup>206</sup> جلو: الحسين، أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة - بيروت، دار العلوم الإنسانية - دمشق، ط1، 1414هـ - 1994م، ص24.

فرى أحياناً أسلوب المفاجأة كما في قصة قارون؛ حيث خسفت الأرض به وكانت المفاجأة الكبيرة والعبرة بعدها: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ \* وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَفِّرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَفِّرُ لَكُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: 81 - 82]، فبعد المفاجأة جاءت العبارة، واتعظ الناس واعتبروا. فالتشويق هنا كان في مفاجأة الخسف. وأحياناً يكون التشويق بأسلوب الخاتمة التي فيها عظة؛ كما في قصة أصحاب الجنة، حيث احترقت جنتهم بعد أن تعاهدوا أن لا يعطوا الفقراء منها. وأحياناً يكون التشويق من خلال الرد المفحم في الحوار؛ كما في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود، حيث كان رد إبراهيم عليه السلام مُفحماً؛ عندما طلب ممن ادعى الألوهية أن يأتي بالشمس من المغرب، وهذا الحوار كان فيه إفحام وإدهاش وهذا أحد أساليب التشويق.

### 3.5. جماليات السياق الأدبي في القصة القرآنية

إن النص الأدبي عامة والنص القرآني خاصة هو عبارة عن كلمات نقرأها، ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، ضمن سلسلة من الجمل المتلاحقة والمتتابعة، وفق النحو العربي وقواعده. من هنا فإن النص هو عبارة عن وحدة متكاملة يرتبط فيما بينه بعلاقات لغوية، والسياق الأدبي هو الذي يُجمل ارتباط هذه الجمل وعلاقتها ببعضها، ويوظف المعاني اللغوية وفق البلاغة، والمجاز، بما يخدم الجمال الأدبي في النص القرآني وفي القصة القرآنية خصوصاً.

ولذلك فإن السياق الأدبي عبارة عن مجموعة من الأشياء التي تجعل النص متماسكاً، من خلال الوسائل اللغوية التي ترتبط بالعناصر الداخلية والخارجية، فالسياق الأدبي في الجملة يجعلنا نفهم معنى الكلمة التي يمكن أن يكون لها أكثر من معنى في جمل مختلفة؛ فسياق الآيات في القصة الواحدة مثلاً، قد يختلف من نص إلى آخر وفق ما يفرضه المعنى العام للسورة أو الجو الكلي للمقطع.

فالسبب الأدبي هو الإطار العام الذي ينظم الترابط الجُملي في القصة أو في النص الأدبي عموماً، وهو الذي من خلاله تتلاءم الجمل مع الواقع الخارجي للغة وللنص عموماً. وهناك أكثر من مستوى في تقديم النص؛ كالمستوى اللغوي، والمستوى المقامي.

والمستوى المقامي؛ هو الذي يحدد طريقة استخدام الجملة. بينما السياق الأدبي هو نتاج عمليات نحوية ولغوية وبلاغية، ترتبط فيما بينها بمقام يفرضه المعنى العام للنص، وله أبعاد دلالية وتداولية تكوّن النص، وتحدد بناءه وفق العلاقات النحوية، والتي تحملها البلاغة، ويجملها حسن رصف الكلمات أو فيما يسمى في البلاغة حسن السبك.

فالسباق الأدبي يرتبط بالسباق البلاغي الذي هو بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا يعطي فيه التراكيب حقها، ويستخدم فيه أنواع التشبيه والمجاز والكناية على أحسن وأتم وجوهها. وعرف في أقصى العبارة مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ وهي عبارة عن ارتباط ثلاثة علوم بعضها ببعض وهي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، ومن هنا جاء سياق المقام.

وإذا أُحْسِنَ استخدام السياق البلاغي ارتقى النص إلى أعلى مستوى، لذلك نرى البلاغيين اعتنوا بالأسلوب. والأسلوب هو أصلا السياق أو النظم، والأسلوب هو عامل أساسي في طريقة النظم، وانسجامه، وهو ما تحدث عنه عبد القاهر الجرجاني (ت. 1078/471).

فالسباق الأدبي أيضًا يُدْرَسُ وفق منحيين؛ منحى خبري، ومنحى إنشائي، ولكل أسلوب فائدته؛ ففائدة الخبر تختلف عن فائدة الإنشاء، وهذا معلوم عند أهل الأدب. ويرتبط أيضًا السياق بالفصاحة في استخدام اللغة على المنحى اللغوي، فاللغة يجب استخدامها بشكل يتوافق مع ما وضعه أهل اللغة والمعاجم، وفق استخدام الأصيل والأصلي للغة العربية.

فالسباق الأدبي بالنسبة لفظ أو اللفظ ضمن السياق؛ هو توضع اللفظ في النص وفق قواعد بلاغية ونحوية، أو هو النظم الكلمي في الجملة وموقعها في ذلك النظم ومدى حسن موقع الكلمة في النص، وهذه هي فحوى نظرية النظم، ويسمى بجودة التماسك وحسن الصياغة، أي يمكن أن يتم إيصال الكلمة إلى المتلقي بأقرب وسيلة وأجمل سبك، وهناك على مستوى السياق اللغوي ينظر إلى الكلمة على أنها جزء من وحدة أكبر هي الجملة أو العبارة، فالحكم بفصاحة الكلمة يجب أن يكون من خلال قوة ارتباطها بما قبلها، وما بعدها، وحسن التأليف، وبحيث تكون أكثر تلاؤمًا وانسجامًا في السياق.

مثال على ما تقدم، ما ذكره بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ الذُّبُّ﴾ [يوسف: 17] من الحكمة في استخدام لفظ (الأكل) بدلًا من لفظ (الافتراس) الذي هو أولى بالاستخدام في حق الذب ففي هذا يقول الخطابي (ت. 998/388)، في كتابه بيان إعجاز القرآن: "فأما قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ الذُّبُّ﴾ [يوسف: 17]، فإن الافتراس معناه في فعل السَّبْعِ القتلُ فحسب.. وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياه بأثرٍ باقٍ منه يشهد بصحة ما ذكروه، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة.. على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذب وغيره من السباع"<sup>207</sup>.

<sup>207</sup> الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ص41.

## 4. الفصل الرابع: الدراسة العملية

### 4.1. قصة آدم عليه السلام<sup>208</sup>

#### 4.1.1 المسألة الأولى: خلق آدم عليه السلام

1- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ \* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 30 - 34].

2- وقال في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11].

3- وقال في سورة الحجر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 28-31].

4- وقال في سورة ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 71 - 74].

5- وقال في سورة الإسراء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61].

<sup>208</sup> ملاحظة: هذه القصة فيها خمس مسائل وكل مسألة هي عبارة عن وحدة تحتوي عدة نصوص، يتفرع عنها مواضع تتشابه فيها الألفاظ والجمل، ثم أقوم - مستعينًا بالله - بتبيين تلك المواضع وأحاول توجيهها وفق السياق.

6- وقال في سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50].

7- وقال في سورة طه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه: 116].

مواضع المتشابه:

الموضع الأول:

جاء بدء الحديث عن أمر رب العالمين الملائكة بالسجود معطوفاً بالواو في (البقرة، والحجر، وطه، والإسراء، والكهف)، بينما جاء في (ص) مستأنفاً، وفي الأعراف معطوفاً بـ (ثم).

نوع المتشابه: متشابه باختلاف حرف العطف، ومتشابه بالحذف والإثبات؛ حذف العطف وإثباته..

أثر السياق في توجيه المتشابه:

في سورة البقرة:

السياق فيها سياق تكريم وتفضيل لآدم عليه السلام وذريته؛ فقد جاء في مقام تعداد النعم على بني آدم وتكريمه لأبيهم، وتعليمه أسماء المسميات، وتفضيله على الملائكة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: 31] ثم أكمل ذلك التكريم والتفضيل بالحديث عن إسجاد الملائكة له؛ فبدأ الحديث بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: 34] فكان قوله هنا عطفاً على قوله في بداية قصة آدم عندما أخبر عن إرادته تعالى باستخلاف خليفته في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]. فناسبه إثبات حرف العطف لأنه من باب عطف القصة على القصة كما ذكر أبو السعود<sup>209</sup>.

إذاً في سورة البقرة جاء الأمر للملائكة بالسجود لآدم معطوفاً عطف القصة على القصة؛ وذلك حيث أنها سُبِّتْ بقصة إخبار الله ملائكته بإرادته استخلاف خليفته في الأرض، وعطف القصة هذا ناسبه استعمال حرف العطف (الواو).

أما في الحجر:

<sup>209</sup> ينظر: أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 87/1.

فهو أيضاً كسابقه عطف قِصَّةٍ على قِصَّةٍ فلما ذكر الله خلق الإنسان فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26]، وأتبعه بذكر ما خلق من قبل من الجن فقال: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: 27] ألحقه بذكر السجود الذي فيه تكريم لآدم على غيره فناسب عطف القصة ب (الواو).

#### وأما في سورة الإسراء:

فقد جاء قبل ذكر قصة آدم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 60]، ومعنى ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ "أي واذكر يا محمد لما قلنا إلى آخر الآية... فعطف قصة آدم على قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60] من باب عطف الكلام على الكلام ناسبه استخدام الواو. أو أنه لما وصف المشركين بالطغيان فقال: ﴿وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 60] بعد التخويف أراد أن يذكر سبب الطغيان وهو قول إبليس: ﴿لَأَحْتَكِرَنَّ ذُرِّيَّتَهُ...﴾ [الإسراء: 62] فعطف بالواو قصة آدم على قصة طغيان القوم من باب ذكر السبب وعطفه على النتيجة.

#### وأما ما جاء في سورة الكهف:

فإنه لما ذكر قبلها أهوال الحشر، وخوف المشركين مما رأوه في كتابهم الذي أخذوه بشمالهم ووجدوا سيئات أعمالهم فقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: 49] وكان إبليس قد أضلَّ العصاة وأغراهم على معاصيهم ووسوس لهم فحملهم على اتِّخَاذِ شُرَكَاءٍ مَعَ اللَّهِ ناسبه قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الكهف: 50] فعطف بالواو؛ لأن الشيطان هو سبب الضلال والخسارة الكبيرة يوم القيامة.

ويمكن أيضاً أن يكون العطف هنا مناسباً لقوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46]، فكان الحديث هنا عن الطاعة والثواب، فوافق ذلك فكرة السجود في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الكهف: 50].

#### وأما الوارد في سورة الأعراف:

فهو أيضاً ظاهر التوجيه وهو من قبيل عطف الجملة على الجملة بقصد الترتيب (سواءً الترتيب الزمني، أو الترتيبي، أو الترتيب في الأخبار). حيث إنه استخدم للعطف بين مسألة خلق الإنسان وتصويره -

سواء كان المقصود بالخطاب آدم أو ذريته، على خلاف المفسرين - ومسألة أمر الملائكة بالسجود لآدم أداة العطف (تَمُّ) فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11].

و(تَمُّ) أفادت إما الترتيب الزمني بين الخلق والتصوير وبين مسألة السجود - وذلك باعتبار من قال من المفسرين وهم الأكثرية ورجحه الرازي (ت. 1210/606): أن الخطاب في الآية ظاهره خطاب لني آدم والمقصود فيه آدم<sup>210</sup> - ، وإما أنها دلت على تقييد التراخي الرُّبِّيِّ، وإما الترتيب في الأخبار.

### وأما في سورة ص:

فقد وقعت القصة موقع البدل ولم تكن في موقع عطف، فكان من المناسب الشروع فيها بدون حرف عطف. ففيها نَقَى عن نبيه العلم نبأ اختصام الملائع الأعلى، حين اختصموا في شأن خلق آدم عليه السلام فقال: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: 69]، وقصر اختصاص النبي عليه الصلاة والسلام في التذارة لقومه فقال: ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص: 70]، فشرع كما يقول الألوسي (ت. 1854/1270) في "تفصيل ما أجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التناول، فهو بدل من (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) بدل كل من كل"<sup>211</sup>.

مما سبق نستنتج أن الاختلافات الزمنية في القصص ناسبه اختلافات في الأدوات العاطفة لأن كل أداة لها معنى مختلف في سياقها المناسب.

### الموضع الثاني:

اختلاف في تصريح لفظ الجلالة وإضماره حيث صرَّح بذكره في سورتي الحجر، وص فقال: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾، [الحجر: 28، ص: 71].

وفي سورة البقرة، والأعراف، والإسراء، والكهف، وطه قال: ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾. [البقرة: 34، الأعراف: 11، الإسراء: 61، الكهف: 50، طه: 116].

### دلالة السياق:

### في سورة الحجر:

<sup>210</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 206/14.

<sup>211</sup> الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، 212/12.

جاءت القصة في سياق تَسْلِيَةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم بعد استهزاء المشركين ومكابرتهم وعنادهم وعدم إيمانهم فقد قال في مقدمتها: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ \* رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ \* ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ﴾ [الحجر: 1-3] وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: 10]، وقال قبل الشروع في قصة آدم: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَخْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر: 24-25]. فكثرت خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة تثبيتها له وتشريفًا. فنقول في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ اقترن لفظ (رَبِّ) بضمير الكاف العائد على النبي صلى الله عليه وسلم لما في ذلك من تشريف وتكريم للنبي عليه الصلاة والسلام.

### وأما في سورة ص:

فإن السياق مشابه لما جاء في سورة الحجر، فلو نظرنا إلى بداية السورة نرى أن السياق سياق اتهام الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم بالسحر والكذب: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: 4]، وكذلك نرى تعجبهم من نزول الوحي عليه من بينهم: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ [ص: 8]، وفي الآيات اللاحقة ذكر إعراض الكفار ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ \* أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: 67 - 68]، فالسياق إذاً تَوْبِيخِ الْمُشْرِكِينَ بعد تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتكبرهم عن قبول ما أرسل به، وتهديدهم بأن يحل بهم مثل ما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم ثم جاء بعد هذا التوبيخ تسليةً للرسول صلى الله عليه وسلم، وأمر له بأن يقتدي بالرسول من قبله، كما أمره بأن يبين لهؤلاء المشركين أنه رسول من رب العالمين، يندرهم ويخوفهم من عذابه إن لم يؤمنوا، وأنه ليس لهم رب ومعبود سواه، فبسبب ما ذكرناه، جاء بعد هذا تسليةً للرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [ص: 71] من خلال ضمير المخاطب للنبي في: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ وفي ذلك تشريف وتكريم. قال أبو السعود (ت. 982/898) في تفسيره: "والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه، والإيدان بأن وحي هذا النبأ إليه، تربيةً وتأيداً له عليه الصلاة والسلام"<sup>212</sup>.

<sup>212</sup> أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 235/7.

**الموضع الثالث:** اختلاف اسم الفاعل (خالق) و(جاعل) اللتين لهما معنى قريب حيث قال في سورتي

الحجر وص: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا﴾ [الحجر: 28، ص: 71]، وقال في سورة البقرة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] وهو متشابه بالإبدال (إبدال لفظ بلفظ آخر).

قبل أن نخوض في دلالة السياق لفهم المتشابه الحاصل بين الآيات السابقة يجب أن نبين أولاً معنى كل من الكلمتين في معاجم اللغة العربية:

فكلمة (خالق) في معاجم اللغة تعني "الصانع"<sup>213</sup> و"الخالق: التقدير"<sup>214</sup> الخلق مختص بالله عز وجل لأن من صفاته الخالق والخالق ولا يجوز إطلاق هاتين الصفتين على غير الله تعالى فالخالق "هو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة.. والخلق في كلام العرب: ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه"<sup>215</sup>.

الخلاصة في معنى (خالق) لغة: تكون مرة بمعنى أوجد الشيء وابتدأه بعد أن لم يكن موجوداً، على غير مثال سبقه. وأحياناً تكون (خالق) بمعنى (قدر) وذلك بحسب السياق.

أما كلمة جاعل في معاجم اللغة: فقد جاء في تهذيب اللغة: "جعل: صير. وجعل: أقبل. وجعل: خلق. وجعل: قال، ومنه قوله المبين: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ [الزخرف: 3]. أي قلناه.."<sup>216</sup>. و"جعل الله نبياً، أي

صيره. وجعلوا الملائكة إناثاً، أي سمّوهم"<sup>217</sup>، و"جعل الشيء: وضعه وجعله صنعه، وجعله صيره. وجعل: عمل وهياً. وجعل: خلق. وجعل: قال، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾

[الزخرف: 3]؛ معناه إنا بيناه قرآناً عربياً؛ .. وقيل قلناه، وقيل صيرناه؛ ومن هذا قوله: ﴿وَجَعَلْنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: 30]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، أي خلقنا"<sup>218</sup>.

الخلاصة في المعنى اللغوي لكلمة (جعل): أنها تطلق على عدة معان منها:

- 1- صنع، 2- صير، 3- خلق، 4- وضع، 5- قال، 6- بين، 7- سمى.

<sup>213</sup> الفراهيدي: كتاب العين، باب: خ ل ق، 4/151.

<sup>214</sup> الجوهري: الصحاح، خلق، 4/1470.

<sup>215</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة: خلق، 10/85.

<sup>216</sup> الأزهرى: تهذيب اللغة، (باب العين والجيم مع اللام)، 1/240.

<sup>217</sup> الجوهري: الصحاح، جعل، 4/1656.

<sup>218</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة: جعل، 11/110 - 111.

ومعنى لفظ (جاعل) في قوله تعالى: ﴿جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي: خالق في الأرض خليفة أو مصير في الأرض خليفة كما ذكر القرطبي (ت. 1273/671) عند تفسيره الآية يقول: "(جاعل) هُنَا بِمَعْنَى خَالِقٍ"<sup>219</sup>. والزنجشيري (ت. 1144/538) يقول: "جاعل" .. معناه مُصِيرٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"<sup>220</sup>.

وإذ أردنا توجيه السياق نقول:

أصل قصة آدم أن الله تعالى خلقه وأوجده من العدم، لكنه عدل عن استخدام فعل (خَلَقَ) إلى فعل (جَعَلَ) في سورة البقرة، حيث جاءت (جَاعِلٌ) بمعنى (خَالِقٌ)، وهو موجد الشيء ومبتدئه مع فارق أن (جَاعِلٌ) إذا استخدمت في معنى (خَالِقٌ) فإنها تستعمل في الشيء الذي يتجدد ويتكرر لأن الفعل (جَعَلَ) "إِذَا كَانَ بِمَعْنَى (خَلَقَ) يَسْتَعْمَلُ فِي الشَّيْءِ يَتَجَدَّدُ وَيَتَكَرَّرُ"<sup>221</sup> وبما أنه قد ذكر في البقرة (الخليفة) ومن المعلوم أن مفهوم الخليفة والاستخلاف فيه تجدد وتكرار، فقد ناسب ذلك الإتيان بلفظ جاعل في البقرة. أما كلمة (خالق) في الحجر و(ص) فقد جاء بعدهما لفظ (البشر)، وهو اسم الجنس الثابت المعروف وليس فيه ما يدل على التغير أو التجدد فناسب ذلك الإتيان بلفظ خالق قبله. والله تعالى أعلم.

#### الموضع الرابع: مادة خلق آدم عليه السلام.

ذكر القرآن الكريم في سورة آل عمران أن آدم مخلوق من تراب، وذكر في سورة (ص) أنه مخلوق من طين، وفي سورة (الحجر) من صلصال من حمأ مسنون، أما في سورة البقرة فلم يذكر مادة تكوين ذلك الخليفة واكتفى بذكر إرادته جعل خليفة في الأرض. وهو متشابه بالإبدال (إبدال لفظ بلفظ آخر).

دلالة السياق:

#### أما في سورة البقرة:

فإن سياق الحديث فيها كان عن نشأة فكرة الاستخلاف؛ حينما أخبر الرب سبحانه ملائكته بإرادته استخلاف خليفة في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، ثم ما تلاه من استعلام الملائكة عن الحكمة في خلق ذلك الخليفة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

<sup>219</sup> تفسير القرطبي: 263/1.

<sup>220</sup> الزنجشيري: الكشاف، 124/1.

<sup>221</sup> الكرمانلي: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 155.

وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَحُخُّ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴿البقرة: 30﴾، ثم كان جواب الله عز وجل لهم بأنه يعلم ما لا يعلمون.

إذن فالسياق تحدث عن بداية مسألة الاستخلاف ونشأتها، وما رافقها من تفاصيل لم تذكر في موضع آخر، لأجل ذلك فإنه سبحانه ذكر في البقرة إرادته استخلاف خليفة في الأرض، ولم يتطرق إلى ماهية تكوين ذلك الخليفة أو مادة صنعه. والله أعلم.

#### وأما في سورة آل عمران:

فلا بد أن نشير هنا أولاً أن الآية نزلت لدحض شُبُههِ وفِدِ نجران، الذين وَفَدُوا على الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، "وكان من جملة شُبُههِم أن قالوا: يا محمد، لَمَّا سَلَّمْتَ أنه لا أب له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله تعالى، فقال: إن آدم ما كان له أبٌ ولا أمٌ ولم يلزم أن يكونَ ابناً لله تعالى، كذا القول في عيسى عليه السلام"<sup>222</sup>، فعندما ضرب الله مثل خلق عيسى بخلق آدم، كان المقصود هو إظهار قدرة الله لعباده بطريق الأولى، فعبر في آل عمران عن خلق آدم بالتراب دون الماء والطين والحما وغيره كما في غير هذا الموضع، لأن السياق سياق تبيان عَظْمَةِ الله في خلقه وإظهار قدرته العجيبة.

#### وأما في سورة الحجر:

فقد ذكر مسألة خلق الإنسان، وَفَصَّلَ بيان المادة القريبة التي خلق منها فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26]، ثم أتبعه بذكر خلقه للجن وفصل أيضاً المادة القريبة التي خلقوا منها؛ فقال: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: 27]. فنستنتج مما سبق أن: السياق في الحجر دَكَّرَ مقارنةً دقيقةً بين جنسين مُعَرَّفَيْنِ باللام وهما (الإنسان) و(الجان) وذكر في تلك المقارنة المادة القريبة التي خلق كلاً منهما، وعندما تحدث عن إخباره للملائكة بإرادته خلق بشر، ذكر المادة القريبة التي يخلق منها هذا البشر وهي الصلصال فوافق بذلك ما جاء في سياق الآيات قبلها. والله تعالى أعلم.

#### وأما في سورة (ص):

فذكر لفظة (الطين) ليناسب بها جواب إبليس في الآية اللاحقة وهي: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 76]، فوافق بداية الكلام آخره. وتوجيه آخر فيه وجه مقبول وهو أنه عبر بـ (الطين) رعاية للفواصل في سورة (ص) التي تنتهي فيها الآيات بحرف (النون) ولقائل أن يقول إن من فواصل سورة (ص) الباء ومن الكلمات التي استخدمت في خلق آدم (التراب) فلماذا لم يذكر فيها

<sup>222</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 242/8.

(التراب)؟! وهذا الاعتراض صحيح وهو في محله ولكن يجب أن ننظر في سياق المقطع أيضاً وعندما نظرنا إلى المقطع الذي تحدث الله فيه عن مسألة خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له وجدنا أن الفاصلة في هذا المقطع هي (النون) فناسب فيها ذكر (الطين) ليتناسب مع فاصلة المقطع. والله تعالى أعلم.

#### 4.1.2 المسألة الثانية: أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام

ورد أمر السجود في سورة البقرة، والإسراء، والكهف، وطه: ﴿اسْجُدُوا﴾، بينما في سورتي الحجر وص: ﴿فَقْعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

نوع المتشابه: متشابه باختلاف الفعل.

ولتوجيه السياق في هذا المتشابه يجب أولاً أن نفرق بين المعنيين فنقول:

إن فعل الأمر (اسْجُدُوا) جاء عاماً، وهو مشتق من (سَجَدَ) وكلمة (سَجَدَ) باللغة العربية تطلق على عدة معان؛ ففي لسان العرب: "سجد: السَّاجِدُ: الْمُتَّصِبُ فِي لُغَةِ طَبِئٍ .. سَجَدَ وَضَعَ جَبْهَتَهُ بِالْأَرْضِ .. وَسَجَدَ إِذَا نَحَى" <sup>223</sup>.

أما فعل الوقوع فقد جاء مقروناً بالفاء (فَقْعُوا) التي تفيد التعقيب "وذلك يمنع التراخي" <sup>224</sup>، كما يقول الرازي (ت. 1210/606)، والوقوع هو السقوط جاء في لسان العرب: "وَقَعَ عَلَى الشَّيْءِ وَقَعاً وَوُقُوعاً: سَقَطَ" <sup>225</sup>.

نستنتج مما سبق أن: (اسْجُدُوا) قد يفهم منه الانحناء فقط، أما: (فَقْعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) فُهِمَ أَنَّهُ سَجُودٌ كَسَجُودِنَا فِيهِ هَبُوطٌ أَوْ سَقُوطٌ، وليس مجرد انحناء أو طأطأة رأس، ويؤكد هذا الألوسي (ت. 1854/1270) فيقول: "وفي أمرهم بالوقوع أي السقوط دليل على أنه ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل بل السجود بالمعنى المتبادر" <sup>226</sup>.

ويقول صاحب التحرير والتنوير: "ومعنى (فَقْعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) اسقطوا له ساجدين، وهذه الحال لإفادة نوع الوقوع، وهو الوقوع لقصد التعظيم" <sup>227</sup>.

<sup>223</sup> ابن منظور: لسان العرب، 204/3.

<sup>224</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 140/19.

<sup>225</sup> ابن منظور: لسان العرب، 402/8.

<sup>226</sup> الألوسي: روح المعاني، 289/7.

<sup>227</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، 45/14.

والمتشابه في هذه الآيات أكد فكرة أن التشابه اللفظي يُبيِّنُ المعنى المراد بِدِقَّةٍ، ويُزيل اللبس الذي قد يحصل أحياناً، كموضوع هيئة السجود الذي اختلف فيه المفسرون فجاء التبيين في لفظة (فَعُوا) ليزيل اللبس، وهذا يندرج ضمن أهمية التشابه وحكمة وجوده وأسراره.

ومما سبق نخلص إلى أنه: في سورتي الحجر و(ص) أن مسألة الخلق ذكرت في السورتين فقال في (ص): ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 71]، وقال في الحجر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: 28] ثم أتبعها في السورتين بذكر التسوية والنفخ فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: 29، ص: 72] فالسياق بيِّن أن أهمية المخلوق ليس كونه مخلوقاً من طين أو صلصال أو تراب أو غير ذلك؛ لكن الله قد أضفى عليه من روحه، فأحياه بعد أن كان طِينَةً لا حياةَ فيها؛ وذلك تشريعاً له وتكريماً، ثم ذكر ﴿فَفَعُّوا﴾ فكان الأمر بالوقوع في سياق إظهار مزيد من التشريف والتكريم لذلك المخلوق وحين لم يذكر أنه نفخ فيه من روحه اقتصر على قوله (اسْجُدُوا). والله تعالى أعلم.

### 4.1.3 المسألة الثالثة: امتناع إبليس عن السجود

- 1- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34].
- 2- وقال في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11].
- 3- وقال في سورة الحجر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 28-31].
- 4- وقال في سورة ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 71-74].
- 5- وقال في سورة الإسراء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61].

6- وقال في سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50].

7- وقال في سورة طه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه: 116].  
ونوع المتشابه في الآيات السابقة: اختلاف تعقيب الآيات ما بعد (إلا).

مواضع المتشابه:

### الموضع الأول:

في سورة البقرة: جمع لإبليس ثلاثة أوصاف لم يجمعها في موضع آخر وهي الإباء والاستكبار وكونه من الكافرين. وذلك لأن السياق سياق تكريم لآدم عليه السلام وتكريم آدم عليه السلام يقتضي تقبيح إبليس أشد التقبيح من خلال وصفه بصفاته الشنيعة الكثيرة. ويظهر ذلك التكريم لآدم عليه السلام واضحاً في أن الله استخلفه على الأرض وجعله خليفة فيها وعلمه أسماء المسميات كلها في حين عجزت الملائكة عن ذلك: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: 32]، واختصه بسجود الملائكة وهو سجود تحية وتعظيم وتكريم بإجماع المفسرين.  
كما يظهر تكريم الله عز وجل لآدم أيضاً من خلال استكبار إبليس المخالف للملائكة، فأجباء الله سجوداً وعدوه امتنع، فبالبذل لآدم غاية التكريم.

وإذا علمنا هذا فنقول في قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ جمع الإباء، والاستكبار، والكفر، في وصف معصية إبليس ليؤكد على عظم قبح ذنبه، في عصيانه أمر ربه في السجود لآدم الذي كرمه وأظهر فضله ومكانته. فذكر الأوجه العديدة في تكريم آدم ومكانته عليه السلام، قابله ذكر صفات عديدة مهينة وشنيعة في حق اللعين، لم تجتمع في موضع آخر، حيث لم يذكر تكريم لآدم في غير هذه السورة كالقدر الذي ذكر فيها، فجاءت الألفاظ متوافقة مع سياق الآيات في أبداع صورة وأكمل صياغة.

### وأما الصيغة الواردة في سورة الأعراف:

ففي قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11] جاء التعبير عن امتناع إبليس عن السجود باستخدام صيغة النفي والجزم (لَمْ) التي تفيد نفي الفعل المضارع وتقلب زمانه إلى الماضي لأن (لم) حرف نفي وجزم وقلب. فكان المعنى أنه لم يصدر منه السجود أبداً، وفي هذا يقول أبو السعود (ت).

982/898): "فإن عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يقع السجود وبه علم أنه لم يقع قط"<sup>228</sup>. إذن: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ هو نفي محض يؤكد به عدم حصول السجود من قبل اللعين مطلقاً لآدم لأنه ربما وقع منه سجود لله عز وجل. والله تعالى أعلم.

والتأمل لسياق سورة الأعراف يخلص إلى أن القصة قد بُنيت على تأكيد نفي السجود عن إبليس وذلك لأن المؤكّدات في سورة الأعراف أكثر، ويدل على ذلك ابتداء القصة في الأعراف بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11]، وفي (لقد) مؤكّدان؛ هما اللام وقد.

و اختصاص ذكر امتناع السجود (نفي وقوعه) من اللعين دون غيره من المواضيع كالإباء والاستكبار.. لأن موضوع السجود - أو أحد اشتقاقاته - قد تكرر ذكره فيها أكثر من مرة<sup>229</sup>، فقد وردت كلمة السجود في قصة آدم وحدها أربع مرات: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ \* قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: 11-12] وقال في الآية التاسعة والعشرين منها: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 29]، "أي توجهوا بكليتكم إليه عند كل سجود"<sup>230</sup>، وقال حكاية عن سحرة فرعون: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 120]، وقال أيضاً حكاية عن قوم موسى بعد خروجهم من التيه: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: 161]، ثم ختمت السورة بسجدة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206].

ثم بنفيه تعالى عن إبليس السجود بقوله: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11]، وإثبات التكبر له بقوله: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: 13]، وافق ذلك خاتمة السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206]، فنفي عن الملائكة الاستكبار وأثبت لهم السجود، فوافق ما ورد في قصة آدم، فكان توافقاً عجيباً بين السياقات التي وردت في السورة، فيما يؤكد ذلك على عظمة هذا الكتاب، وإعجازه، وروعة بيانه.

وأما الذي في سورة الحجر: ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 31] فجمع الإباء وترك السجود في موضع واحد.

قبل أن نخوض في سياق سورة الحجر لابد لنا أن نبين معنى الفعل (أبى):

<sup>228</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 216/3.

<sup>229</sup> ينظر: السامرائي: فاضل، التعبير القرآني، ص 299.

<sup>230</sup> الصابوني: صفوة التفاسير، 409/1.

قال الراغب الأصفهاني: "الإباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباءاً"<sup>231</sup>.

إذن: معنى (أبي) في اللغة العربية: كره وامتنع أشد الامتناع واستعصى.

أما (مع) فهي هنا ظرف مكان للمصاحبة. وعليه فيكون المعنى أن إبليس كره وامتنع أشد الامتناع أن يصاحب الساجدين في سجودهم.

ولعلَّ سائلاً أن يسأل: ما الفرق بين المعنى الذي جاء في الأعراف: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11]، وبين المعنى الذي جاء هنا: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 31]؟ والجواب: أن الغرض في الأعراف تأكيد نفي حصول السجود من اللعين لآدم مطلقاً، أما ما ورد هنا فقد عبّر عن: بُغْض اللعين لآدم وللسجود له وامتناعه أشد الامتناع في أن يصاحب الساجدين في سجودهم، وقد بيّنا أن كل قصة قد بنيت على ما جاء في سياقها في أجمل كلام، وأجمل تعبير، وذكرنا دلالة السياق في توجيه ما ورد في الأعراف، وسنبينه هنا إن شاء الله.

مما سبق نخلص بعد التأمل والتدبر إلى أن: جوّ سورة الحجر هو الإباء. فمنه ما كان لفظياً - كما هو الحال مع إبليس-، ومنه ما كان معنوياً، وكذلك موضوع السجود حاضرٌ في سورة الحجر لكنه أقل مما هو عليه في الأعراف.

ففي سورة الحجر وردت آيات كثيرة تدل على الإباء والرفض ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ \* لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: 14-15]. فبيّن أن بعض الكفار والمشركين يرفضون الهداية ولو جيئوا بكل أسبأها.

ومنها قوله حكاية عن قوم لوط عندما حذرهم من التعرض لضيوفه، وطلب منهم الامتناع عن التعرض لهم؛ فقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون \* وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون﴾ [الحجر: 68 - 69]، فرفضوا عرض لوط عليه السلام لهم، وأجابوه قائلين: ﴿أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: 70].

وذكر فيها أن أصحاب الحجر رفضوا المعجزات التي جاء بها نبيهم صالح عليه السلام وأعرضوا عنها، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُم آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: 81].

وأما الأمر الثاني وهو موضوع السجود فيدل عليه ما يلي:

وردت مشتقات لفظة السجود في قصة آدم وحدها خمس مرات: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ \* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ \* قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: 29-33]،

<sup>231</sup> الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 58.

ثم جاء في أواخر السورة قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 98].  
 مما سبق يمكننا القول أن: القصة بنيت في سورة الحجر على الإباء؛ نظرا لشيوع جو الإباء والرفض والامتناع فيها، وبنيت على السجود أيضاً؛ لشيوع موضوع السجود واشتقاقاته فيها، والله تعالى أعلم وعلمه أتم وأحكم.

**وأما الوارد في سورة الإسراء:** وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61].  
 ففي هذا الموضوع من السورة نجد أن القصة تذكر لنا شيئاً جديداً، وهو أن إبليس لم يَأْبَ ويتكبر فحسب؛ بل إن هذا اللعين أبا افتخاراً بمباهيته (بعنصره) واحتقاراً لآدم واستهزاءً به واستخفافاً بتكوينه. فقد جاء التعبير عن امتناع إبليس من السجود لآدم بصيغة الاستفهام الإنكاري كما يقول الرازي (ت. 1210/606): "أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا، وهذا استفهام بمعنى الإنكار، معناه أن أصلي أشرف من أصله، فوجب أن أكون أنا أشرف منه، والأشرف يُفْبِحُ في العقول أمرُهُ بخدمة الأذنى" <sup>232</sup>. وقد ناب عن إبليس في هذا بشار بن برد (ت. 784/168) حيث قال مفتخرًا:

إبليس خيرٌ من أبيكم آدمٍ فتنبهاوا يا معشر الفجار

إبليس من نار و آدم طينةٌ والأرض لا تسمو سمو النار <sup>233</sup>

ثم بعد ذلك لم يكتفِ اللعين بامتناعه بل أتبعه باستفهام آخر بصيغة الإنكار أيضا:  
 ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: 62] فاستخدم (أَرَأَيْتَكَ) ومعناها أخبرني، واستخدم اسم الإشارة (هَذَا) وأراد به الاستحقار. وفي هذا يقول ابن عاشور (ت. 1973/1393):  
 "و(أَرَأَيْتَكَ) تركيبٌ يُفْتَتَحُ بها الكلام الذي يُرَادُ تَحْقِيقُهُ والاهتمامُ به. ومعناه: أخبرني عَمَّا رَأَيْتَ، وهو مُرَكَّبٌ من همزة استفهام، و (رَأَى) التي بمعنى علم، وتاء المخاطب المفرد المرفوع، ثُمَّ يُرَادُ على ضمير الخطابِ كَأَنَّ حِطَابِ تَشْبِيهِ ضَمِيرِ الْخِطَابِ الْمَنْصُوبِ... وَأَسْمُ الْإِشَارَةِ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّحْقِيرِ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: 36]. والمعنى أخبرني عن نَيْتِكَ أَهَذَا الَّذِي كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ بلا وَجْهِ" <sup>234</sup>.

وبعد أن ظهر من اللعين الإباء والاستكبار والاحتقار لآدم ومعارضته للإرادة الإلهية واعتداده بعنصره، قال جراءة على الرب وكفراً به وتحدياً له: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَسِبَنَّ دُرَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾

<sup>232</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 366/21.

<sup>233</sup> ابن برد: بشار، الديوان، جمعه وشرحه وعلق عليه: محمد الطاهر ابن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،

78/4.

<sup>234</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، 150/15.

[الإسراء: 62]، فأقسم عدو الله فقال: لئن أخرجت إهلاكي إلى يوم القيامة لأستأصلنهم، ولأستميلنهم، وأضلنهم، فأظهر التحدي مع الله عز وجل.

وهنا أشير إلى أن الفرق في التعبير عن طلب إبليس بالتأخير بين ما ورد هنا في سورة الإسراء، وبين الذي في سورة الأعراف والحجر، أن الذي ورد في سورة الإسراء جاء بصيغة الشرط للتحدي ﴿لَئِن أُخْرِتَنِي...﴾ إلى آخر الآيات، بينما في موضعي سورة الأعراف والحجر ورد على سبيل الطلب ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ [الأعراف: 14]، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ [الحجر: 36].

ونخلص إلى أن سياق القصة في سورة الإسراء هو سياق احتقار المخلوق وتحذد للخالق، وإظهار القدرة مع الفعل على قلة الأدب والصفافة مع الذات العلية، والتحدّي قد يسبقه احتقار للخصم وإظهار رفعة عنه وعلو مكانة منه، وذلك عند من لا خلاق له، وبهذا تكون الصيغة قد أتت على أجل وأكمل وجه في مكانها المتلائم مع سياقها. والله تعالى أعلم.

**وأما ما جاء في سورة الكهف** وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: 50].

فقرر في هذه السورة شيئاً مختلفاً؛ وهو أن إبليس كان من الجن ففسق أي "فخرج من طاعة ربه إلى معصيته في ترك السجود"<sup>235</sup>، والمفسرون قد اختلفوا<sup>236</sup> في معنى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ وبرغم هذا الاختلاف وأياً ما كان المعنى، فالثابت أن الله تعالى أراد أن يذكر عباده بأن الذي أوصل إبليس إلى ما وصل إليه هو فسقه، أي خروجه عن طاعة ربه، وعدم امتثاله لما أمر به.

وبعد أن قرر هذه الحقيقة أتبعها في الآية نفسها بتذكير بني آدم وتحذيرهم من اتخاذ إبليس وذريته من الجن أولياء من دون الله. فقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: 50]. فالسياق سياق تحذير وتوبيخ وإنكار وتعجب من متبعي الشيطان وذريته ناسبه أن يبين لهم أصل كونه من الجن - أي من الملائكة كما هو برأي الكثير من المفسرين - ولكن بفسقه وخروجه عن أمر ربه أصبح عدواً لله وعباده فأنت الصيغة في أتم وجه لتلائم السياق الذي بعدها والله تعالى أعلم.

<sup>235</sup> الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ - 1994م، 152/3.

<sup>236</sup> قال بعضهم: كان إبليس من الجن وهو جنس من الملائكة يقال لهم: الجن، وقال آخرون: كان أصله من الجن فلحق بالملائكة وجعل يتعبد معهم، وقيل أن اسمه كان عزازيل، وقيل: الحارث، وكان من سكان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، فذلك هو الذي دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمى جنّاً، وقيل: كان خازناً من خزان الجنة. وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير الطبري: 39/18 وما بعدها. وينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 472/21، السمعاني: تفسير القرآن، 67/1، و السمرقندي: بحر العلوم، 350/2. البغوي: معالم التنزيل، 104/1.

وأما في سورة طه: فجاء الحديث عن امتناع إبليس عن السجود مقتضياً وبكلمة واحدة هي فعل الإباء ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه: 116].

ولتبيين دلالة السياق:

نشير أولاً إلى أن القصة في سورة طه تتناول الحديث عن آدم أكثر من تناولها لإبليس، بدليل أنه قد ذكر اسم آدم صراحة خمس مرات في القصة:

فتبدأ القصة حينما أمر الله تعالى آدمَ أمراً ووصاه فخالف إلى ما نهي عنه: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: 115]، ثم بعد ذلك ذكر قصة أمر الملائكة بالسجود لآدم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه: 116]، ثم أتبعها بتحذير آدم من عداوة الشيطان وأسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: 117]، ثم ذكر بعض النعم التي ضمنها له في الجنة فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى \* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: 118-119]، ثم ذكر مسألة إغواء الشيطان لآدم: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: 120]، ثم ذكر أمر عصيان آدم لأمر ربه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَحَا بِخِصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ زَرْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: 121]. ثم ذكر توبة الله عليه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: 122].

مما سبق نستنتج أن:

أولاً: مقام الإيجاز في الحديث عن إبليس في هذه السورة، ناسبه الإتيان بفعل الإباء منفرداً ليتلاءم مع فواصل هذه السورة.

ثانياً: الإتيان بفعل الإباء منفرداً هو أبلغ في هذا المقام لبيان دراية إبليس فيما يفعل من معصية الله عز وجل حيث أبي السجود.

ثالثاً: ذكر الفعل (أبى) مع إبليس والفعل (عصى) مع آدم تمييزاً بين المعصيتين، فمعصية إبليس كانت عن كبر وغرور وعناد في حين أن معصية آدم عن غفلة ونسيان.

رابعاً: رعاية الفواصل في السورة ناسبه الاكتفاء بذكر الإباء دون غيره. والله تعالى أعلم.

وأما في سورة (ص): فجمع الاستكبار والكفر في موضع واحد فقال: ﴿اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 74]، وهو مشابه لما ورد في البقرة ولكن بحذف فعل الإباء هنا.

قبل أن نخوض في سياق سورة (ص) نقول إن الاستكبار في اللغة العربية هو "طلب الكبر من غير استحقاق"<sup>237</sup>. و(اسْتَكْبَرَ) يقال لمن استعظم الأمر فامتنع عنه معاندةً وتكبراً. هذا وإن التأمل لسياق سورة (ص) يرى أن جوهر العام يكثر فيه ذكر المخاصمات والمشاحنات والاستكبار، فقد جاء في بداية السورة قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: 2] والمراد بالعزة هنا "الاستكبار عن الحق"<sup>238</sup> كما يقول البيضاوي (ت. 1292/691)، وعدم الخضوع له والاعتراف به. ولهذا نظيره في القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: 206]، ووردت فيها قصة الخصومة التي فصل فيها نبي الله داود، وخصومة أيوب عليه السلام مع زوجته، حتى حلف لِيَضْرِبَنَّهَا مائة جلدة، وذكر الطغاة وعقابهم فقال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ لَشَرَّ مَا بٍ \* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسْسَنُ الْمِهَادِ﴾ [ص: 55-56]. والطاغية: هو شديد الظلم المتكبر المتجاوز للحدود، وذكر المستهزئين الذين اتخذوا غيرهم سخرية فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ \* أَخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ [ص: 62-63]، والذي يهزأ بالناس ويسخر بهم، فهو مستكبر عليهم، يرى نفسه فوقهم ويراهم دونه.

وكذلك ذكرت خصومة أهل النار وما يحدث من تبادل للشتم فيما بينهم: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ \* قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسْسَنُ الْقُرَارُ﴾ [ص: 59-60]، ثم ختمت هذه الخصومة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: 64]. وقصة آدم وإبليس وردت في السورة بعد ذكر الخصومة في الملائة الأعلى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِ الْأَعْلَى إِذْ يُخْتَصِمُونَ﴾ [ص: 69].

والإمام البقاعي (ت. 1480/885) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 74] يقول: "لما عُرفَ - أي إبليس - بالاستثناء أنه لم يسجد، وكان مبنى السورة على استكبار الكفرة؛ بكونهم في عزة وشقاق، بيّن أن المانع له من السجود الكبر؛ تنفيراً عنه مقتصرأ في شرح الاختصاص عليه وعلى ما يتصل به فقال: ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ أي طلب أن يكون أكبر من أن يؤمر بالسجود له، وأوجد الكبر على أمر الله، وكان من المستكبرين"<sup>239</sup>.

وأما دِكْرُ كُفْرِ إبليس في القصة ﴿اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ فزيادة في التحقير والمهانة، فوصف الاستكبار الذي وصفه القرآن لإبليس ناسبه ذكر الكفر لينبّه الناس إلى أمر مهم وهو أن الاستكبار هو

<sup>237</sup> العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي،

قم - إيران، ط1، 1412هـ، ص49.

<sup>238</sup> البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 23/5.

<sup>239</sup> البقاعي: نظم الدرر، 421/16.

من صفات الكافرين فيحذرنا القرآن بذلك من الاستكبار لأن التكبر صفة لا تليق إلا بالله العلي الكبير. ومن أراد الاستكبار فهو بعيد كل البعد عن الإيمان وفهمه وحقيقته.

وخلاصة القول: أتى في هذه السورة الاستكبارُ مقرونًا بالكفر في قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 74]، وهذا تأكيد على التلبس بالأصل والوصف، فالاستكبار وَصِفٌ في إبليس، جاء بصيغة الفعل ﴿اسْتَكْبَرَ﴾، والكفر أَصْلٌ فيه جاء بصيغة الوصف ﴿الْكَافِرِينَ﴾، ولذلك أكد الله سؤاله ﴿اسْتَكْبَرْتَ﴾ حتى يَقَرَّ هو - أي إبليس - بلوازم الاستكبار ومقتضياته؛ فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [ص: 76] فهذه الخيرية أَفْضَتْ إلى الوصف الذي هو (الاستكبار)، الذي ارتدَّ به إبليس إلى الكفر المتأصل فيه.

ولفظ (كان) في اللغة العربية لها معنيان الأول بمعنى كان من الأزل والثاني بمعنى (صار)، وأغلب المفسرين قالوا بأنها هنا بمعنى (صار) ولكن يمكن للمعنى الثاني أن يكون مقبولاً أيضاً وهو أن (كان) بمعنى (قُدِّرَ له وكتب من القديم بأنه من الكافرين) وهذا المعنى صحيح أيضاً إذ أن الله بعلمه القديم يعرف بأنه سيكفر وبأنه صائر إلى الكفر وإلى النار. والله تعالى أعلم.

#### 4.1.4 المسألة الرابعة: مرحلة ما بعد امتناع إبليس عن السجود

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ \* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ \* قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ \* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ \* قَالَ فَبِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 12 - 16].

وقال في سورة الحجر: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ \* قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ \* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ \* وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ \* قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ \* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: 31 - 38].

وقال في سورة (ص): ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ \* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ \* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ \* وَإِنَّ

عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ \* قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ  
الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ \* قَالَ فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿ص: 75 - 83﴾.

مواضع المتشابه:

المتشابه الأول:

في سورتي (ص) والحجر أثبت حرف النداء والمنادى فقال: ﴿يَا إِبْلِيسَ﴾ وخذفهما في الأعراف. ونوعه: متشابه بالإثبات والحذف.

ولفهم دلالة سياق في هذا الاختلاف نرى أن توجيهات المشتغلين بعلم المتشابه لهذه الآيات قد اختلفت:

فمن المتقدمين يرى الكرماي (ت. 1111/505) ومن بعده زكريا الأنصاري (ت. 1520/926) أن قرب الخطاب من ذكر إبليس في الأعراف هو السبب في الحذف. فيقول الكرماي (ت. 1111/505): "لأن خطابه قرب من ذكر إبليس في سورة الأعراف وهو قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11] ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾ [الأعراف: 12] فحسن حذف حرف النداء والمنادى ولم يقرب في (ص) قربه منه في الأعراف لأن في (ص): ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 74] بزيادة ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ فزاد حرف النداء والمنادى فقال: ﴿يَا إِبْلِيسَ﴾ [ص: 75] وكذلك في الحجر، فإن فيها: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 31] بزيادة (أبي)، فزاد حرف النداء والمنادى<sup>240</sup>.

وربما كان حذف اسم إبليس في الأعراف سببه أن سياق الآيات هو سياق تسخط كبير من العزيز الجبار أكثر من السورتين الأخرين.

والذي أراه بعد عرض أقوال الموجهين أن ما ذهب إليه الكرماي (ت. 1111/505) والأنصاري (ت. 1520/926) هو أنسب توجيه حيث إنه في سورة الأعراف اقتصر على نفي وقوع السجود من اللعين، فحسن حذفه عند الاستفهام عن سبب امتناعه من السجود لأن ذكره قريب في السياق بينما في الحجر نفي وقوع السجود وذكر سبب الامتناع وهو الإباء فبعد ذكره في السياق. وكذلك في ص فقد ذكر استكباره وكفره ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 74]، وعندما أراد الاستفهام عن سبب امتناعه أعاد نداءه باسمه ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾ [ص: 75]. لأن ذكره قد بُعد. والله تعالى أعلم.

المتشابه الثاني:

في سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾ [الأعراف: 12].

<sup>240</sup> الكرماي: أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن)، ص 116.

وقال في سورة ص : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾ [ص: 75].

وفي الحجر ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ [الحجر: 32].

ونوع المتشابه هنا: متشابه بالإبدال (إبدال لفظ بلفظ آخر).

هناك أمران لتوجيه هذا المتشابه: الأول منهما يتعلق بإيقاع الآيات وطولها وقصرها، والثاني يتعلق بالناحية البلاغية:

أ- في سورة الحجر كان التلاحق في الآيات سريعاً، والآيات في عموم السورة كانت أقصر مقارنة بالآيات في سورتي الأعراف و(ص)، برغم كون السور الثلاث مكيات. لذلك كان الكلام في سورة الحجر فيه اختصار ﴿مَا لَكَ﴾ بما يتوافق مع بقية الآيات.

ب- في سياق سورة الحجر نجد أن نبرة الغضب أخف فأتى بقوله: ﴿مَا لَكَ﴾ بينما النبرة تشتد في سورة (ص) حينما قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: 75]، وكانت النبرة الأعلى في الغضب في سورة الأعراف حين قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: 12]، فكان في زيادة (لا) في (ألا) دلالة على توكيد الغضب ونكران ترك السجود، وجاء فعل (أمرتُك) أقوى وأعظم وأشد من غيره.

والقارئ للسياق يتبين له سبب الغضب، إذ أن مخاطبة إبليس لله عز وجل وما سيفعله مع بني آدم كان على أشده في سورة الأعراف من حيث وعيده بشديد الإغواء للإنسان.

### المتشابه الثالث:

زاد (لا) في الأعراف لتوكيد السجود وهو قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12] بخلاف ما ورد في (ص) ﴿أَنْ تَسْجُدَ﴾ [ص: 75].

نوع المتشابه: متشابه بالزيادة والنقصان.

### تمهيد:

ما ورد في سورة (ص): ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ هو الأصل، لكن ما جاء في الأعراف وهو قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ ظاهره يقتضي أنه تعالى طلب من إبليس ما منعه من ترك السجود، لكن الأمر ليس كذلك؛ فالمقصود طلب المانع الذي منعه من أداء السجود وحصوله، ولهذا حدث الإشكال للمفسرين رحمهم الله. فذهب أكثرهم<sup>241</sup> إلى القول بأن (لا) صلة زائدة كما في قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمٍ

<sup>241</sup> وهم: السمرقندي (ت. 985/375)، والزمخشري (ت. 1144/538)، والقرطبي (ت. 1273/671)، والبيضاوي (ت. 1292/691)، والنسفي (ت. 1310/710)، والحازن (ت. 1340/741)، وأبو حيان (ت. 1344/745)،

الْقِيَامَةِ ﴿ [القيامة: 1] ومعناه أقسم، وكما في قوله: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: 29] أي لِيَعْلَمَ، وفيما يخص القول بزيادة (لا) قال الزمخشري (ت. 1144/538): "وفائدة زيادتها توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل في ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾ ليتحقق علم أهل الكتاب، وفي ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ ما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك"<sup>242</sup>.

وفريق ثانٍ من المفسرين رفضوا فكرة القول بزيادة (لا) وهم ينطلقون من مبدأ التأدب الإيماني والخلقي مع كتاب الله فيرون أنه لا يوجد حرف زائد في كلام الله، والذي يقول بالزيادة يرى أن الزيادة هي زيادة صناعية ولها هدفها في توكيد المعنى وذكرها تأويلات كثيرة أشهرها:

- من رأى أن إثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الأدب، وهو مشكل صعب، ورأوا في آية ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12] أَنَّ (مَنَعَكَ) تَضَمَّنَ معنى فعلٍ آخَرَ تَقْدِيرُهُ: مَا أَحْوَجَكَ وَالزَّمَكَ وَاضْطَرَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتَكَ وَنَحْوِ ذَلِكَ<sup>243</sup>. وأسلوب تضمين فعل لمعنى فعل آخر يكثر في اللغة العربية وهو لون من ألوان البلاغة.

- ومنهم من رأى أن الاستفهام للإنكار أي (لم يمنعك من ترك السجود شيء)، كقول القائل لمن ضربه ظمًا: (ما الذي منعك من ضربي أدينك أم عقلك أم حياؤك؟) والمعنى أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَحَدَ هَذِهِ الْأُمُورِ، وما امتنعت من ضربي<sup>244</sup>.

والكل متفق على أن فائدة هذا السؤال من الله عز وجل هو توبيخ اللعين وإظهار معاندته وجحوده.

---

والنيسابوري (ت. 1472/850)، وأبو السعود (ت. 982/898)، والأنصاري (ت. 1520/926)، والآلوسي (ت. 1854/1270)، وغيرهم.

ينظر: السمرقندي: بحر العلوم، 505/1. الزمخشري: الكشاف، 89/2. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 170/7. البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 7/3. النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 557/1. الخازن: علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، 184/2. أبو حيان: البحر المحيط، 17/5. النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، غرائب القرآن وרגائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 307/3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 216/3. فتح الرحمن في كشف ما يلبس في القرآن، زكريا الأنصاري، 187/1. روح المعاني: الآلوسي: 328/4.<sup>242</sup> الكشاف: الزمخشري، 89/2.

<sup>243</sup> وهذا هو رأي الإمام الطبري (ت. 923/310) واستحسنه ابن كثير (ت. 1372/774)، حيث يقول الطبري (ت. 923/310): "إن في الكلام محذوفًا قد كفى دليل الظاهر منه، وهو أن معناه: (ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد) فتترك ذكر (أحوجك)، استغناءً بمعرفة السامعين قوله: ﴿إِلَّا إِيْلَيْسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11]، أن ذلك معنى الكلام، من ذكره... وإنما قلنا إن هذا القول أولى بالصواب، لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له، وأن لكل كلمة معنى صحيحًا، فتبين بذلك فساد قول من قال: (لا) في الكلام حشو لا معنى لها". تفسير الطبري: 325/12-326. وينظر: تفسير ابن كثير، 392/3.

<sup>244</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 207/14. النيسابوري: غرائب القرآن ورجائب الفرقان، 207/3.

بدورنا نقول: إنه من المعلوم أن لكل علم من العلوم اصطلاحاته ومفرداته الخاصة به، أي أن هذه المصطلحات لا نفهمها بمعانيها اللغوية المعجمية، فللمصطلحات دلالات خاصة تغاير المعاني اللغوية، ومن هذه العلوم علم النحو. فكلمة حرف زائد ليس معناها أن هذا الحرف لا وظيفة له في التركيب، بل الحروف الزائدة في العربية من آيات تميزها عن غيرها، ومعنى ذلك أن للحرف الزائد وظيفة معنوية لا يؤديها غيره؛ فمثلاً بدل أن نقول: لست عليهم مسيطراً لست عليهم مسيطراً نقول: (لست عليهم بمسيطر) الباء هنا جاءت مكان جملة لأن وظيفتها توكيد المعنى. أما تسميته بالزائد فلا إشكال؛ لأن معنى كلمة زائد عند النحاة لا تعني المعنى اللغوي الذي يتبادر إلى ذهن السامع.

فلذلك مما سبق أرى أن ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن (لا) في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12] زائدة للتوكيد هو الصواب والله أعلم.

ويمكن أن نوجه هذا المتشابهة باتجاه آخر فنقول:

كانت نبرة الغضب في الأعراف أكبر وهذا ما يناسب زيادة (لا) في (أَنْ) فصارت (أَلَا)، والزيادة هنا أفادت أمرين؛ جانب في المعنى، وجانب في الصوت.

أما المعنى فإن زيادة الحرف في النحو تفيد التوكيد؛ بمعنى أن إبليس امتنع امتناعاً مطلقاً عن السجود ولم يفكر فيه البتة. والأمر الآخر فهو في الصوت؛ فإن زيادة (لا) فيه صوت مدّ أَلْفٍ؛ وهذا المدّ يوحي بعظيم التقريع والتوبيخ، وشدة الغضب من الله عز وجل، بما يتوافق مع اشتداد نبرة الغضب في سورة الأعراف. فكان كل لفظ في المكان الأنسب والأليق بسياقه، والله تعالى أعلم، وعلمه أتم وأحكم.

#### المتشابه الرابع:

جاء لفظ اللعن في سورة الحجر معرّفًا بالألف واللام: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ [الحجر: 35].

بينما جاء في سورة (ص) معرّفًا بالإضافة إلى ياء المتكلم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: 78].

نوع هذا المتشابهة: متشابهة باختلاف الصيغة الصرفية.

ولتوجيه السياق في فهم المتشابهة الحاصل في الآيتين السابقتين نقول:

ما ورد في سورة (ص): ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: 78]، اتفق المفسرون وعلماء توجيه المتشابهة<sup>245</sup> في توجيهه، فأروا أنه جاء ليوافق ويناسب ما ورد قبلها وهو قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75]، فخصَّ خلق آدم بإضافته إليه تبارك وتعالى تشريعاً له وتكريماً، ثم نَسَبَ طرد عدوه إليه أيضاً زيادة في التكريم لآدم عليه السلام.

<sup>245</sup> وهم: الإسكافي (ت. 1029/420)، وركريا الأنصاري (ت. 1520/926)، وابن جماعة (ت. 1333/733)، وابن الزبير الغرناطي (ت. 1308/708).

أما ما ورد في سورة الحجر: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: 35] فقد رأوا أن ورود فعل اللعن بصيغة اسم الجنس المعرف بالألف واللام جاء ليناسب ما ورد قبلها حيث ابتدأت القصة في سورة الحجر بذكر خلق الإنس والجن باسم الجنس المعرف بالألف واللام: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ \* وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: 26-27]. وكان الأمر في سورة (ص) بخلاف ذلك، حيث تبتدىء القصة بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 75] فلم تفتتح الآية بذكر الصنفين من الإنس والجن، باللفظ المعرف بالألف واللام، كما في سورة الحجر، فجاء كل لفظ لما يناسب سياقه<sup>246</sup>.

ويمكن أن نضيف فكرة أخرى؛ وهي أن إبليس حين ظهرت في سورة (ص) شدة التكبر عنده في قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 76]، كان غضب الله عليه وردّه أشد بلفظ: ﴿لَعْنَتِي﴾ وهي أقوى مما ورد في سورة الحجر: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ [الحجر: 35] حيث إنه لم يقل هناك (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) فجاءت الألفاظ متوافقة مع سياقها. والله تعالى أعلم.

#### المتشابه الخامس:

- 1- قال في سورة الأعراف: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ [الأعراف: 14]، وقال في سورتي الحجر و(ص): ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ [الحجر: 36، ص: 79] فأضاف كلمة ﴿رَبِّ﴾ والفاء.
- 2- قال في سورة الأعراف: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15]، وقال في سورتي الحجر و(ص): ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الحجر: 37، ص: 80].
- 3- ترك ذكر التوقيت في سورة الأعراف وذكره في سورتي الحجر و(ص) فقال: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: 81].

نوع المتشابه: النقاط الثلاثة الماضية جميعها من قبيل المتشابه بالحذف والإثبات.

#### دلالة السياق:

يرى كل من النيسابوري (ت. 1472/850) والأنصاري (ت. 1520/926) بأن حذف الفاء في آية الأعراف: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ [الأعراف: 14] سببه أن السياق قبلها - عندما سأله عن سبب امتناعه من السجود- قد حذف اسمه فلم يصرح به، فحذفت الفاء موافقة لحذف اسم اللعين قبلها.

<sup>246</sup> ينظر: الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 816/2. الأنصاري: فتح الرحمن، 297/1. ابن جماعة: كشف المعاني، ص223. الغرناطي: ملاك التأويل، 290/2.

وأما قوله في سورة الأعراف: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15] بدون فاء بينما في سورتي الحجر و(ص): ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الحجر: 37، ص: 80]. فهذا جواب جاء موافقاً ومطابقاً لصيغة السؤال الوارد قبله في كل من السور الثلاث.

وأما زيادة الفاء في سورتي الحجر و(ص): فلأن داعية الفاء ما تضمنه النداء - (رَبِّ) - من أدعوك أو أناديك فأنظري.

فيقول النيسابوري (ت. 1472/850): "لأنه في سورة الأعراف لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم، اقتصر فيها أيضاً على الخطاب دون ذكر المنادى، بخلاف السورتين. وأما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة؛ فلأن داعية الفاء ما تضمنه النداء من أدعو وأنادي نحو قوله: ﴿رَبَّنَا فَاعْفُزْ﴾ [آل عمران: 193] أي أدعوك فاغفر. فلما حذف النداء في هذه السورة تركت الفاء. وكذلك من قوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15] ليطابق الجواب السؤال" <sup>247</sup>.

ويقول زكريا الأنصاري (ت. 1520/926) "في الأعراف حذف الفاء موافقةً لحذف (يَا إِبْلِيسُ) فيها، وقال في الحجر و (ص) بذكرها موافقةً لذكره ثم، لما تضمنه النداء من أدعوك وأناديك" <sup>248</sup>.

ورأى الإسكافي (ت. 1029/420) <sup>249</sup> ومثله ابن جماعة (ت. 1333/733) <sup>250</sup> ما مختصره: أن قوله في الأعراف: ﴿أَنْظُرِي﴾ [الأعراف: 14] قد ورد مستأنفاً لم يقصد به عطف فلم يحتج إلى الفاء، بعكس ما ورد في السورتين الأخريين فقد ذكر في السياق قبلهما (لعن إبليس): ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: 35]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: 78] فيكون المعنى: إن لعنتي وطرقتني من رحمتك فأخر أجلي، وأنظري كي أنال بإغوائتي من عدوي الذي كان بسببه طردني وشقائي. أما أبو السعود (ت. 982/898) ومن بعده الألويسي (ت. 1854/1270) فقد ذكرا كلاماً مطولاً مفاده: أن سبب حذف الفاء في الأعراف ﴿أَنْظُرِي﴾ [الأعراف: 14]، وترك ذكر التوقيت، سببه أن السياق في الأعراف قد اقتضى مجرد الإخبار بمسألتي الاستنظار والإنظار، فسيقت الحكاية فيها على نهج إيجاز واختصار أكثر مما هو عليه في الحجر و (ص)، وهذا الإيجاز ناسبه الحذف وترك ذكر توقيت الإنظار <sup>251</sup>.

<sup>247</sup> النيسابوري: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، 217/3.

<sup>248</sup> الأنصاري: فتح الرحمن، 188/1

<sup>249</sup> ينظر: الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 576/2 - 577.

<sup>250</sup> ينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص175.

<sup>251</sup> ينظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 217/3. وينظر: الألويسي: روح المعاني، 333/4.

**خلاصة القول:** أن أصل الحوار مبني على الإيجاز حيث جاء الكلام في سورة الأعراف خاليًا من النداء والتوقيت، فافتضى ذلك حذف الفاء لأن الأمر غير مقيد بالزمان، ولم يحتج في ترتيب الأحداث وتسلسلها إلى العطف.

أما في سورتي الحجر و(ص) فلما اقترن الحوار بالنداء والوقت أي بالفاء مرتبة للأحداث على سبيل التعقيب والسرعة التي تُبصر اللعين بنهايته المحتومة التي سيصل إليها، بحيث أن الحوار قد بدأ هادئًا ثم انتهى بالزجر والوعيد والتهديد كما في قول الله عز وجل: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: 85]، وقوله في الحجر: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 43] والله تعالى أعلم.

#### 4.1.5 المسألة الخامسة: إغواء اللعين

##### المتشابه الأول:

قوله تعالى في سورة الأعراف مخبرًا عن قول إبليس: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16]. بدخول الفاء وبدون نداء. وقوله في سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أُغْوِيَنِي لِأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحجر: 39]. حذف الفاء وأضاف المنادى وهو لفظ (رَبِّ).

وقال في سورة (ص): ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: 82].

نوع المتشابه: في آيتي الأعراف والحجر تناقض في الحذف والإثبات بخلاف آية (ص) التي دخلت فيها الفاء مع القسم.

لتوجيه هذا المتشابه نقول: إن دخول الفاء في سورة الأعراف: ﴿فِيمَا أُغْوِيَنِي﴾ هو أكثر تناسبًا وتلاؤمًا حيث إنها كانت سببًا للكلام الذي قبله، بينما في سورة الحجر: ﴿رَبِّ بِمَا أُغْوِيَنِي﴾ كانت بزيادة النداء (رَبِّ) فلم تدخل الفاء.

وقال الخطيب الإسكافي (ت. 1029/420) "الدعاء في الصدر يستأنف بعده الكلام، والقصة غير مقتضية لما قبلها كما اقتضاه قوله: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ [الحجر: 36]، والفاء توجب ما بعدها بما قبلها. والنداء أولاً يوجب القطع واستئناف الكلام لا سيمًا في قصة لا يقتضيها ما قبلها، فلم تحسن الفاء مع قوله: ﴿رَبِّ بِمَا أُغْوِيَنِي﴾ [الحجر: 39]"<sup>252</sup>.

##### المتشابه الثاني:

<sup>252</sup> الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 583/2.

في سورة الأعراف: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ [الأعراف: 16].

وفي سورة الحجر: ﴿لَأُرِيَنَّ لَهُمْ﴾ [الحجر: 39].

وفي سورة (ص): ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: 82].

نوع المتشابهة: متشابهة باختلاف تعقيب الآيات واختلاف الفعل.

ولفهم هذا الاختلاف بين العبارات السابقة نقول:

إن اختلاف التعبير في آيتي الأعراف والحجر يرجع سببه إلى اختلاف ما تقدم ذكره في كل من السورتين؛ ففي سورة الأعراف: تقدم قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 3]، والمقصود هو القرآن الكريم، حيث أمروا باتباعه، ولما كان القرآن الكريم هو الذي يوضح الطريق إلى الله وهو الصراط المستقيم فإن إبليس اللعين طمع في الاستيلاء عليه من جميع الجهات فجاءت العبارة في الأعراف تعبيراً عن مقصد اللعين من ما تقدم ذكره فقال تعالى حكاية عن قول اللعين: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَأَنْتَنَّهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا بَجْدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 16 - 17].

أما في سورة الحجر: فقد ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ \* وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ \* إِلَّا مَن اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: 16 - 18] فقد أخبر سبحانه وتعالى أنه منع إبليس اللعين وجنوده من تعرف أخبار السماء واستراق السمع إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبین، فلما أيقن اللعين أنه قد صدَّ ومُنِعَ من هذه الجهة وهي جهة استراق السمع عدل إلى جهة أخرى وهي تزيين الشهوات لأبناء آدم وإغوائهم فقال: ﴿لَأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 18].

وفي هذا ذكر صاحب درة التنزيل كلاماً مطولاً مختصره أن: قوله تعالى: ﴿فِيمَا أَعْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: 16]، و﴿رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: 39] لا ينافي قوله تعالى في ص: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: 82] لأنه إن كان المقصود بقوله تعالى: ﴿بِمَا أَعْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: 39] بما خيبتني أو بتخييبك إياي، أو كان المقصود بما أهلكتني بأن لعنتني، أو كان المقصود بما حكمت علي بالغواية لأجتهدن في تخييبهم وإفسادهم، فإن كل المعاني أو التفسيرات الثلاثة السابقة هي حاصلة بعزة من الله والقسم بما كالتقسيم بعزة الله، وبهذا يفهم أنه لا تعارض في القسم على لسان اللعين بين الآيات الثلاث<sup>253</sup>.

وخلاصة القول: في سورة الأعراف نجد أن القصة تبدأ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10]، فذكر الله التمكين في الأرض وذكر المعاش

<sup>253</sup> ينظر: الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 580/2 - 583.

وذكر الشكر، فناسب ذلك محاولة إبليس من إضعاف التمكين والعبث بالمعاش ثم علل هدف الإغواء فقال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17] في نهاية قوله فناسب نهاية الآية التي بدأت بها القصة ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10]. فمحاولة إبليس للعين القعود على الصراط والإتيان من الجهات الأربع دليل على الحقد والحسد الشديدين من تمكين الله لابن آدم وبغضه لذلك فهو يحاول إضلاله بشتى الطرق ومن كل الجهات. أما في سورة الحجر فلم يذكر هدفاً لإغوائه.

#### 4.1.6 المسألة السادسة: أمر آدم بسكنى الجنة

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 35].  
وقال في سورة الأعراف: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 19].

مواضع المتشابه:

الموضع الأول: أسند الله عز وجل القول في البقرة إلى نفسه فقال: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ [البقرة: 35] بينما في الأعراف: ﴿وَيَا آدَمُ﴾ وهو متشابه بالحذف والإثبات.

وجوابه: أن السياق في البقرة سياق تكريم وتفضيل لآدم عليه السلام، وقد ظهر هذا التكريم من عدة أوجه - بينها سابقاً -، هذا التكريم ناسبه إظهار الله تعالى نفسه بقوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ [البقرة: 35].

الموضع الثاني: ورود الأمر لآدم وحواء عليهما السلام بالأكل في البقرة بواو النسق المقتضية عدم الترتيب ما لم يفهم من غيرها: ﴿وَكُلَا﴾ [البقرة: 35]، وفي الأعراف: بالفاء المقتضية الترتيب والتعقيب: ﴿فَكُلَا﴾ [الأعراف: 19]، والأمر واحد والقصة واحدة.

فالمتشابه هو اختلاف حرف العطف - إبدال حرف (الواو) بال (فاء) -

توجيه السياق:

معظم الموجهين<sup>254</sup> رأوا جواباً عن هذا المتشابه: أن الخطابين في الموضعين مختلفان؛ ففي البقرة كان الخطاب أثناء وجود آدم وزوجه في الجنة؛ فكان معنى الأمر بالسكنى عندئذ هو الإقامة. أما الخطاب في

<sup>254</sup> وهم: الخطيب الإسكافي (ت. 1029/420)، والكرماني (ت. 1111/505)، والرازي (ت. 1210/606)، وابن جماعة (ت. 1333/733)، وزكريا الأنصاري (ت. 1520/926).

الأعراف فكان آدم وزوجه خارج الجنة، فكان معنى الأمر بالسكنى هو اتخاذ المسكن. ولما اختلف الموضوعان اختلف التعبير عنهما لما يناسب.

وسأسوق بعض أقوال الموجهين ممن قالوا بهذا الرأي:

الرازي (ت. 1210/606) في تفسيره يقول: "ففي سورة البقرة إِنَّمَا وَرَدَ بَعْدَ أَنْ كَانَ آدَمُ فِي الْجَنَّةِ فكان المراد منه اللبث والاستقرار، والأكل لا يتعلّق به، فلا جرم ورد بلفظ الواو. وفي سورة الأعراف هذا الأمر إنما ورد قبل: أن يدخل الجنة فكان المراد منه (دخول الجنة) وقد بيّنّا أنّ الأكل يتعلّق به، فلا جرم ورد بلفظ الفاء"<sup>255</sup>.

وقال الكرمانى (ت. 1111/505): "قوله: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾ [البقرة: 35] بِالْوَاوِ، وفي الأعراف: ﴿فَكُلَا﴾ [الأعراف: 19] بِالْفَاءِ ﴿أَسْكُنْ﴾ فِي الْآيَتَيْنِ لَيْسَ بِأَمْرٍ بِالسُّكُونِ الَّذِي هُوَ ضَدُّ الْحَرَكَةِ؛ وَإِنَّمَا الَّذِي فِي الْبَقْرَةِ مِنَ السُّكُونِ الَّذِي مَعْنَاهُ الْإِقَامَةُ، وَذَلِكَ يَسْتَدْعِي زَمَانًا مُمْتَدًّا، فَلَمْ يَصْلِحْ إِلَّا بِالْوَاوِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: (اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها)، ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة؛ لِأَنَّ الْفَاءَ لِلتَّعْقِيبِ وَالتَّرْتِيبِ، وَالَّذِي فِي الْأَعْرَافِ مِنَ السُّكُونِ الَّذِي مَعْنَاهُ اتِّخَاذُ الْمَوْضِعِ مَسْكِنًا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْرَجَ إِبْلِيسَ مِنَ الْجَنَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْذُومًا﴾ [الأعراف: 18]، وَخَاطَبَ آدَمَ فَقَالَ: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: 19] أَيْ اتَّخَذَاهَا لِأَنْفُسِكُمَا مَسْكِنًا ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: 19] فَكَانَتْ الْفَاءُ أَوْلَى، لِأَنَّ اتِّخَاذَ الْمَسْكَنِ لَا يَسْتَدْعِي زَمَانًا مُمْتَدًّا، وَلَا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ اتِّخَاذِ الْأَكْلِ فِيهِ، بَلْ يَقَعُ الْأَكْلُ عَقِيبَهُ"<sup>256</sup>.

وبعضهم رأوا أن المقصود في الآيتين مختلف، فالذي في البقرة قصد به الإخبار والإعلام بما جرى في قصة آدم للرسول عليه الصلاة والسلام، ولما اختلف المقصود في الموضوعين اختلف التعبير في كل منهما.

فابن الزبير الغرناطي (ت. 1308/708) صاحب ملاك التأويل رأى ما مختصره أن: الوارد في البقرة قصد به الإخبار والإعلام للرسول عليه الصلاة والسلام بما جرى في قصة آدم، من غير ترتيب زمني أو تحديد غاية، فناسبه العطف بالواو، بينما في الأعراف كان القصد تعداد النعم على آدم وذريته، فناسبها العطف بالفاء، ولما اختلف القصدان اختلف التعبير عن كل منهما<sup>257</sup>.

أما السيوطي (ت. 1505/911) فله توجيه آخر وكلام جديد بعد أن ساق ما ذكره السابقون قبله من وجوه في توجيه التشابه الحاصل ثم أردف قائلاً: "ووجه آخر وهو أن سورة الأعراف أكثر ما سيق

<sup>255</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 3/453.

<sup>256</sup> الكرمانى: أسرار التكرار في القرآن الكريم، ص70.

<sup>257</sup> ينظر: ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، 1/28.

فيها من هذه القصة مدخول للفاء، كقوله: ﴿فَأَهْبِطُ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 13]، ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: 13]، ﴿فَاخْرُجْ﴾ [الأعراف: 13]، ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: 16]، ﴿فَوَسْوَسَ﴾ [الأعراف: 20]، فناسب أن يدخل في (كُلًّا)، رعاية للتناسب، وحيث لم يكن في البقرة كذلك، عطف بالواو التي هي أصل الجمع<sup>258</sup>.

وخلاصة القول: وردت السُّكْنَى في آيتي البقرة والأعراف مختلفتي المعنى مما استلزم اختلاف الحروف الداخلة عليها، فالمعنى في البقرة سواءً أكان الإقامة بمعناها الواسع الممتد في الزمان أو الواسع الممتد في النعيم المقترن بكلمة (رغداً) يكون الأكل داخلاً فيه دخول الجزء في الكل، فلا يلزم منه ترتيب ولا تعقيب فناسب دخول الواو.

ومعنى السُّكْنَى في الأعراف سواءً أكان يشير إلى أن آدم وزوجه كانا خارج الجنة أم أن إقامته كانت فيها يسيرة قليلة ناسب دخول الفاء لأداء الغرض فهي تفيد ترتيباً وتعقيباً بين السُّكْنَى والأكل، فالأكل في آية البقرة لا يمكن أن يتأخر عن السُّكْنَى لاتساع السُّكْنَى، أما في آية سورة الأعراف فتأخر عنها ولكنه باشرها لأنه كما يرى بعضهم أن آدم كان خارج الجنة فسكنها. والله تعالى أعلم.

**الموضع الثالث:** وصف الأكل في البقرة بالرغد فقال: ﴿وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة: 35]، ولم يقع هذا الوصف في الأعراف. وهو متشابه بالزيادة والنقصان.

#### دلالة السياق:

صاحب ملاك التأويل ذكر كلاماً مطولاً<sup>259</sup> مختصره أن هناك اختلافاً بين معنى: ﴿وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا﴾ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: 35]، وبين: ﴿فَكُلًّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: 19] ثم بنى ورود الرغد في البقرة وحذفه في الأعراف وفق ذلك الاختلاف.

<sup>258</sup> السيوطي: **قطف الأزهار**، ص 232 – 233.

<sup>259</sup> حيث يقول: "ورود (الرغد) في آية البقرة وسقوط ذلك في الأعراف إنما ذلك لأن معنى (من) هنا التبعيض، ومعناها بما هو تبعيض قد يسبق منه إرادة التقليل، وهو غير مراد هنا، وإنما مصرف التبعيض هنا إلى المأكول منه، فإن ما اشتملت عليه الجنة من ذلك إذا أكلت منه ذرية آدم بأجمعها فإنما تأكل بعضاً، إذ فيها من كل متنعم به ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاجتمع هنا أن البعضية مرادة بالنظر إلى ما انطوت عليه الجنة، وإباحة التوسعة في أكلها مقصودة، وليس ثم ما يحرزها، فقال تعالى: ﴿رَغَدًا﴾ ليحصل المعنى التوسعة وتجردت (من) لإحراز معناها، ولم يكن هنا بُدٌّ، إذ ليس في السياق ما يحرز ذلك المعنى من التوسعة، وذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: 19]، لإباحة ما في أماكنها، ومن المحال أن يباح لهما الأكل من حيث شاء منها على اتساع المساحة وكثرة المأكول ثم يحجر عليهما التوسع في الأكل والرغد فيه، هذا متناقض. فإن قيل: قد وقع في سورة البقرة: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: 35]، وتلك توسعة في الأماكن قلت: ليس موقع ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ موقعاً (مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا)؛ لأن (مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا) يحرز ويعطى (إباحة الأكل من ثم كل موضع فيها)". ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، 29/1.

حيث رأى أن الذي في الأعراف ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [الأعراف: 19] يُفهم منه إباحة الأكل من ثمر كل موضع فيها، أما الذي في البقرة ﴿مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 35]، فدل على إباحة الأكل في كل موضع لا من ثمر كل موضع، فلما فهم المعنى في البقرة على التبعية، والتبعية قد يسبقه تقليل، ناسب ذلك الإتيان بلفظ (الرغد) ليحرز معنى التوسعة في الأكل.

ولأبي حيان (ت. 1344/745) وجهة نظر أخرى حيث يقول: "وَحَذِفَ رَعْدًا هُنَا - (الأعراف) - على سبيل الاختصار، وأُثِبَتْ هُنَا - (البقرة) - لِأَنَّ تِلْكَ مَدِينَةً، وَهَذِهِ مَكِّيَّةٌ، فَوُجِّىَ الْمَعْنَى هُنَا بِاللَّفْظِ"<sup>260</sup>.

ومن المفسرين من أرجع زيادة الرغد في البقرة إلى زيادة الخبر تعظيمًا في بداية الآية: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35] بينما في سورة الأعراف جاءت الصيغة بقوله تعالى: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمَلًا لَّجَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ \* وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: 18-19]. وكان منهم الكرمانى (ت. 1111/505)<sup>261</sup>.

وخلاصة القول: جاءت كلمة ﴿رَعْدًا﴾ في آية البقرة وتعني الحياة الهنيئة المقترنة بالرّفه، تشير إلى التوسعة في الأكل من الجنة دون قيد؛ لأن (مِنْ) دخلت على (هَا) العائدة على الجنة، فإن تكن (مِنْ) جاءت بمعنى التبعية فإن الضمير كان في غاية التوسعة لأنه لم يربطها بمكان معين، فكان تمام منة الله عزّ وجلّ على آدم أن جعل كل ذلك مقرونًا بالرغد، فكان فيه غاية الإكرام مع تمام السعادة. أما في آية الأعراف فقد دخل حرف الجر (مِنْ) على (حَيْثُ)، و(حَيْثُ) مكانٌ مخصوصٌ ولكنّه مرتبطٌ بمشيئة الأكلين فأطلق لهما الخيار حتى يتلذذا بما أباح لهما فأغنى ذلك عن مجيء الرغد لأن في هذا الإطلاق كفاية وبلوغ غاية. والله تعالى أعلم.

<sup>260</sup> أبو حيان: البحر المحيط، 24/5.

<sup>261</sup> ينظر: الكرمانى: أسرار التكرار، ص 71.

## 4.1.7 المسألة السابعة: هبوط آدم وزوجه من الجنة

### الموضع الأول:

في الآيات التي تحدثت عن أمر الله بالهبوط من الجنة إلى الأرض جاءت صيغة القول في سورة البقرة بالجمع: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: 36]، بينما جاءت في سورتي الأعراف وطه بالمفرد: ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ [الأعراف: 24]، ﴿قَالَ اهْبِطَا﴾ [طه: 123].

### الموضع الثاني:

جاء فعل الأمر (اهبط) بصيغة الجمع في سورتي البقرة والأعراف: ﴿اهْبِطُوا﴾ [البقرة: 36]، الأعراف: 24]، فيما جاء في سورة طه بصيغة المثني: ﴿اهْبِطَا﴾ [طه: 123].

### الموضع الثالث:

في سورة البقرة ورد لفظ الاتباع محففاً: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة: 38] بينما ورد في سورة طه بالتشديد: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه: 123].  
الملاحظ أن هذه الآيات حكاية لمحكي واحد ومع ذلك جاءت مختلفة بالنقص والزيادة والإبدال، وهذا من التنوع الذي روعي فيه مقتضى المقام في كل سورة.  
دلالة السياق:

### جواب المتشابه الأول (قُلْنَا، قَالَ):

ورد فعل القول بصيغة الجمع في آيتي البقرة ﴿قُلْنَا﴾ [البقرة: 36، 38] متناسباً مع سياق الآيات التي وردت قبلها، فالآيات التي تتحدث عن أمر الملائكة بالسجود لآدم جاءت فيها صيغة القول بالجمع ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ [البقرة: 34]، وعند الأمر لآدم عليه السلام بسكنى الجنة جاء فعل القول أيضاً بصيغة الجمع: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35].  
أما في سورة الأعراف فجاء فعل القول مفرداً تناسباً أيضاً مع سياق ما ورد قبلها حيث قال: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ آلَا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12]، ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 13]، ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ [الأعراف: 14]، ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15]، ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16]، ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 18]، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 22]، ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف: 24]. وما قلناه في الأعراف ينطبق على ما ورد في طه حيث قال في

الآية التي قبلها: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: 122]، فذكر أفعال الاجتباء والتوبة والهدى بصيغة المفرد ناسب أن يأتي بعدها فعل القول بصيغة المفرد أيضاً.

قال أبو السعود (ت. 982/898): " (قال) استئناف مبني على السؤال، نشأ من الإخبار بأنه تعالى قبل توبته وهداه، كأنه قيل: فماذا أمره تعالى بعد ذلك؟ فقيل: قال له ولزوجته: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه: 123]"<sup>262</sup>.

### جواب المتشابه الثاني: (اهبطوا، اهبطوا):

إن مجيء فعل الأمر (اهبط) بصيغة الجمع: ﴿اهْبِطُوا﴾ [البقرة: 36، الأعراف: 24] في سورتي البقرة والأعراف، ومجيئه في سورة طه بصيغة المثني: ﴿اهْبِطَا﴾ [طه: 123] يرجع سببه إلى اختلاف المخاطبين في الآيات؛ فالمخاطب في سورة طه كان آدم وحواء فقط أما المخاطبين في سورة البقرة بقوله: ﴿اهْبِطُوا﴾ [البقرة: 36] فاختلف المفسرون في تحديدهم وذكروا في ذلك وجوهاً عديدةً وأرجح الأقوال أن المخاطبين كانوا آدم وحواء عليهما السلام وإبليس اللعين<sup>263</sup>. قال الشنقيطي (ت. 1973/1393) "إِنَّ التَّشْبِيهَ باعتبار آدم وحواء فقط، والجمع باعتبارهما مع ذُرِّيَّتِهِمَا. خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّ التَّشْبِيهَ باعتبار آدم وإبليس، والجمع باعتبار ذُرِّيَّتِهِمَا معهما، وخِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّ الجمعَ في قوله: ﴿اهْبِطُوا﴾ مُرَادٌ بِهِ آدَمَ وَحَوَاءَ وَإِبْلِيسَ، والدليل على أَنَّ الحَيَّةَ لَيْسَتْ مُرَادَةً فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّهَا لَا تَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [طه: 123] لِأَنَّهَا غَيْرُ مُكَلَّفَةٍ"<sup>264</sup>.

### جواب الثالث: (تبع، اتبع):

نوع المتشابه: متشابه باختلاف الصيغة الصرفية.

إن اختلاف الصيغة الصرفية بين (تبع) و(اتبع) يوحي باختلاف المعنى لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فلفظ (تبع) يفهم منه لحاقٌ وتبعية من غير مشقة ولا تكلف، أما زيادة الأحرف في (اتبع) تؤكد على المشقة ولزوم الاتباع بشكل أكبر وأعظم لما في زيادة الحروف فهنا خمسة حروف فيها حرفان زائدان همزة والتضعيف فتقدم الفعل (تبع) الذي هو الجذر الأصلي وتأخَّرَ (اتبع) الذي فيه تغيير صيغة وزيادة.

<sup>262</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 47/6.

<sup>263</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 463/3. وينظر: النيسابوري: غرائب القرآن ووعائب الفرقان، 261/1.

<sup>264</sup> الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995م، 120/4.

ويرى زكريا الأنصاري (ت. 1520/926): أن صيغة (اتَّبَعَ) تحمل معنى التأكيد فيقول: "ولأن القضية لما بُنيت من أول الأمر على التأكيد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾ [طه: 115] ناسب اختصاصها بالزيادة المفيدة للتأكيد"<sup>265</sup>.

ويرى السامرائي أن "التخفيف الذي يفيد التلطف بالعباد جاء مع إسناد القول إلى نفسه، وأن التشديد جاء مع إسناد القول إلى الغائب (قال) وقد ذكرنا أن الله سبحانه يظهر نفسه في موقف التلطف والتكريم. فوضع كلِّ فِعْلٍ في موضعه الذي هو أليق به"<sup>266</sup>.

وخلاصة القول: أبرز مواطن التكريم التي لا يحتاج معها الإنسان إلى كلفة ومشقة، فاقتضى ذلك استعمالَ لفظٍ يسيرٍ بحروف قليلة ﴿تَبِعَ﴾ لأنه مُفضِّلٌ إلى جنات ينتفي فيها الحزن والخوف، وأما في الآية الأخرى فلما ذكر أن آدم عليه السلام لم يستطع الصبرَ فعصى ربه وغوى لزم من ذلك مكابدةً ومشقةً حتى يمحوَ ذلك الضلالَ والشقاءَ فأتى بالفعل ﴿اتَّبَعَ﴾ بزيادة تعبر عن هذه المشقة والمكابدة. والله تعالى أعلم.

<sup>265</sup> الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، 22/1 - 23.

<sup>266</sup> السامرائي: فاضل، التعبير القرآني، ص 293.

## 4.2. قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

### 4.2.1 المسألة الأولى: الأمر بالاعتداء بالرسول (ومن بينهم إبراهيم وإسماعيل)

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136].

وقال في سورة آل عمران: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 84].

مواضع المتشابه:

الموضع الأول: اختلاف صيغة الخطاب بين الوارد في سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، وبين ما جاء في سورة آل عمران: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾

وجوابه: أن قوله تعالى: ﴿قُولُوا﴾ أمرٌ لجميع المخاطبين المقصودين بهذا وأما قوله: ﴿قُلْ﴾ فهو أمرٌ مخصوص للنبي صلى الله عليه وسلم فلحق ضمير الجمع أولاً لخطابهم ولم يلحق ضمير في الثاني لإفراد الخطاب<sup>267</sup>.

الموضع الثاني:

قوله تعالى في البقرة: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، وفي آل عمران: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ وهو متشابه باختلاف حرف الجر.

جوابه: قال الخطيب الإسكافي (ت. 1029/420) صاحب درة التنزيل: "وأول الآية التي اختصت بها (إلى): ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 136] وشرح ذلك: أن (على) موضوعة لكون الشيء فوق الشيء، وجيئه من علو فهي مختصة من الجهات الست بجهة واحدة و(إلى) للمنتهى.. فلا تخصص (إلى) بجهة واحدة، كما تخصص (على)، فقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: 136] اختيرت فيها (إلى) لأنها مصدرية بخطاب المسلمين، فوجب أن يختار لها (إلى)..، فالمؤمنون لم ينزل الوحي في الحقيقة عليهم من السماء، وإنما أنزل على الأنبياء، ثم انتهى من عندهم إليهم، فلما كان ﴿قُولُوا﴾ خطاباً لغير الأنبياء.. كان اختيار (إلى) أولى من اختيار (على). ولما كانت في سورة آل عمران قد

<sup>267</sup> ينظر: ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، 1/ 52-53.

صدرت الآية بما هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو قوله: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ كانت (على) أحق بهذا المكان، لأن الوحي أنزل عليه<sup>268</sup>.

### الموضع الثالث:

قوله في البقرة: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، وفي آل عمران: ﴿وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو متشابه بالحذف والإضافة (حذف الفعل وإثباته).

قال ابن جماعة (ت. 1333/733) جوابًا عن هذا المتشابه: "جوابه: أن آل عمران تقدم فيها: ﴿وَأُذِ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: 81]، فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانياً، ولم يتقدم مثل ذلك في البقرة، فصرح فيه بإيتائهم ذلك"<sup>269</sup>.

وخلاصة القول: جاء في آية البقرة قوله: ﴿قُولُوا﴾ [البقرة: 136] وهو خطاب يعم جميع المسلمين بما فيهم الأنبياء والرسل، وهذا مقتضى الإيمان المطلق والتسليم لله بأنهم يؤمنون بالله وما أنزل إليهم... فحين يكون تنزل الوحي للمؤمنين عمومًا يتعدى بـ (إلى) لأنهم الغاية في التكليف والعمل وإطاعة الأوامر، وخصّ النبيين بقوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 136] تمييزًا لهم عن سائر المؤمنين بأنهم هم فضلًا عن طاعتهم لربهم وتكليفهم وقيامهم بالأعمال فهم مخصوصون بأنهم مبلغون عن الله عز وجل فكان ما أوتوه من ربه هو الذي سيؤدونه إلى الناس حق الأداء ويبلغونه تمام البلاغ.

وأما في آية آل عمران فقد صُدِّرت الآية بـ ﴿قُلْ﴾ [آل عمران: 84] وهو فعل فاعله النبي صلى الله عليه وسلم فهو مأمور على وجه الخصوص بأن يقول: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا...﴾ فتعدى الفعل (أُنزِلَ) بـ (على) لأن النبي صلى الله عليه وسلم محطُّ تنزل الوحي والمبلغ عن الله، والوحي يُتَنَزَّلُ من العلوِّ فيتلقاه قلب النبي المأمور بتبليغه فناسب تعدي الفعل (أُنزِلَ) بـ (على) ثم لما ذكر موسى وعيسى عطف عليهم بقية النبيين دون أن يذكر شيئًا آخر لأنهم داخلون في عموم قول النبي ﴿قُلْ﴾ فالنبيون جميعًا متلقون للوحي النازل من الله مبلغون عن الله. والله تعالى أعلم، وعلمه أتم وأحكم.

<sup>268</sup> الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 298/1 - 304. وقريب من ذلك ما ذهب إليه زكريا الأنصاري. ينظر:

الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، 41/1 - 53.

<sup>269</sup> ابن جماعة: كشف المعاني، ص 108.

## 4.2.2 المسألة الثانية: المصطفى من ذريته

قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: 130].

وقال في سورة النحل: ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: 121].  
وقال في سورة العنكبوت: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: 27].

هناك اختلاف من وجهين:

الاختلاف الأول: اختلاف الأفعال: ﴿اصْطَفَيْنَاهُ﴾، ﴿آتَيْنَاهُ﴾.

الاختلاف الثاني: اختلاف في التقديم والتأخير (بين النحل والعنكبوت)

لمعرفة دلالة السياق في فهم هذين الاختلافين أقول:

في آية البقرة يصف الله الذين يرغبون عن ملة إبراهيم بسفه النفس فيقول: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: 130]، لأن ملة إبراهيم هي الملة الأقوم والأسلم، فلا يجيد عنها إلا سفيه ولا يتنكب عنها إلا غبي، لأنها الأمة المختارة والمصطفاة لأن تكون من أهل الآخرة، وإنما تكون الأمة هكذا إذا كان إمامها هو مثلها الأعلى وقدوتها الأسمى ولذلك قال الله تعالى في حقه عليه السلام ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة: 130].

أما في سورة النحل: فقد وصف الله سبحانه وتعالى إبراهيم بالقنوت لله، وبأنه كان حنيفاً فضلاً عن كونه أمةً فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَمَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120] وبأنه شاعر لأنعم الله: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 121]، فاستحق بذلك اجتناء الله وهدايته له، فقال: ﴿اجْتَبَاهُ﴾، وجاءت كلمة ﴿حَسَنَةً﴾ في صيغة النكرة وهذا التنكير إنما يراد به التعظيم، ولم تُقَيَّد بشيء من الصالحات لتعمها جميعاً كالذكر الحسن والقدوة الحسنة وتولي جميع أهل الأديان له وحبهم إياه...

وأما في آية العنكبوت: ففي قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: 27] جاءت بعد قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت: 26] فكان جزاءً هجرته الأجر العظيم في الدنيا قبل الآخرة وكان من ذلك أن رزقه الله بولدين معجزتين، وأنه خُصَّ بالنبوة وبأن جميع الأنبياء من بعده من ذريته، وهذا من بعض أجره في الدنيا، ثم ختمت الآيات الثلاث في البقرة والنحل والعنكبوت بقوله

سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ هذه هي النتيجة الحتمية لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: 37] أي وفى في كل شيء؛ في استجابته لربه في نحر ولده وبناء بيت ربه، فاستحق بذلك أن يكون في الآخرة من الصالحين.

### 4.2.3 المسألة الثالثة: موقف إبراهيم عليه السلام من أبيه آزر وما دار بينهما من

#### مناقشات

مواضع المتشابهة:

الموضع الأول:

قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: 52].

وقال في سورة الشعراء: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: 70].

وقال في سورة الصافات: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: 85].

نوع المتشابهة: اختلاف تعقيب الآيات ما بعد كلمة (وقومهم).

توجيه السياق:

قال الكرمانى (ت. 1111/505): "قوله تعالى في قصة إبراهيم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: 70]، وفي الصافات: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: 85]. لأن (ما) لمجرد الاستفهام فأجابوا فقالوا: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾، و(ماذا) فيه مبالغة، وقد تضمن في الصافات معنى التوبيخ، فلما وبَّخهم قال: ﴿أَتُنْفِكُوا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: 86]، ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 87]. فجاء في كل سورة ما اقتضاه ما قبله وما بعده" <sup>270</sup>.

وأقول: في سورة الأنبياء كان سؤال إبراهيم عليه السلام فيه ذكر للتماثيل من باب الإنكار والتعجب، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: 52]، وكأنه لم يسمع بها ويعرفها، فركز على هذه التماثيل لغاية في نفسه، وظهرت هذه الغاية في نهاية الحوار في قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57]، ثم كان ذكر الأصنام في سؤاله لنهاية القصة التي فيها تفاصيل حين جعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم، وحين سألوا عمن فعل ذلك فكان جوابه: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾

<sup>270</sup> الكرمانى: أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن)، ص 190.

[الأنبياء: 63]، فعاد إلى الأصنام لكي يثبت أنهم لا يضرّون ولا ينفعون فكانت الإشارة إلى الأصنام في السؤال تفيد على فكرة الإلحاح والتركيز على الأصنام، وكأنه سيفعل شيئاً بها، وهذا ما حصل فعلاً.

أما في سورة الشعراء فلم يكن في سؤاله ذكر الأصنام: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: 70]، فهنا لم يكن التركيز على ماهيتها فلم يذكرها؛ لأن السياق وُظّف في أمر آخر، وليس في السياق ذكر لكسر الأصنام، وهذا الأمر هو محاولة منه لإفهامهم أن ما يعبدونه تتصف بصفات نقص، فليست إذا معبودة، وليست إذا آلهة، إذ أنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، ففي السياق كانت القصة تشرح صفات النقص في هذه الآلهة المزعومة لذا فأغفل جانب الأصنام ولم يذكرها أصلاً في سؤاله لأنها ليست ذي شأن.

أما في سورة الصافات فالسؤال كان: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: 85]، ففيه زيادة (ذا) ليصبح السؤال عن الحال ثم استطرّد في التقرّيع: ﴿أَتُنْفِكُوا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: 86]، فجاء في الجواب ذكر تكسير الأصنام بدون تفصيل.

والفرق بين (ماذا) في الصافات، و(ما) في سورة الشعراء أن (ما) هي لغير العاقل، وأن (ما) هنا تخص فقط المعبود، وليست استفساراً عن الفعل. أما (ماذا) فهي أبلغ من (ما)، وهي صيغة سؤال عامة أكثر من (ما)، بمعنى أنها تشمل أمرين معاً؛ الأمر الأول فعل العبادة المستقبّح، والأمر الثاني المعبود المستقبّح، لذلك سَخِرَ في الآية بعدها من الفعل ومن الآلهة معاً فقال: ﴿أَتُنْفِكُوا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: 86]، فقوله: ﴿أَتُنْفِكُوا آلِهَةً﴾ سُخِرِيَةٌ من الآلهة المزعومة والتي هي الأصنام، وقوله: ﴿تُرِيدُونَ﴾ استنكارٌ لفعالهم. فكان التفصيل أكبر في الانتقاد لما تقتضيه الأداة (ماذا).

### الموضع الثاني:

قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 53].

وقال في سورة الشعراء: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 74].

نوعه: متشابه بالحذف والإثبات حيث أثبت الحرف (بل) في سورة الشعراء فيما حذفت في سورة الأنبياء، وهو متشابه باختلاف تعقيب الآيات أيضاً.

### دلالة السياق:

قال الخطيب الإسكافي (ت. 1029/420) "إن الآية الأولى وقع السؤال فيها على وجه لا يقتضى (بل) في الجواب، لأنه قال: (ما هذه الأصنام التي نَحْتَمُوها تماثيل وعكفتم عليها)، فكانه سقّه آراءهم وقال لهم: (لم تفعلون ذلك) فقالوا: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾، فاقتدينا بهم. وفي سورة الشعراء تقدم سؤال أضرّبوا عنه ونفوا ما تضمّنه، لأنه: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الشعراء: 72]، فقالوا مضرّين عن هذه الأشياء التي ونحوا عليها من عبادتهم ما لا يسمع .. وكأنهم قالوا: (لا)، ﴿بَلْ وَجَدْنَا

آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿ [الشعراء: 74]، فلأنَّ السؤال هنا يقتضى في جوابهم أن ينفوا ما نفاه إبراهيم عليه السلام أضربوا عنه إضراب من ينفي الأول، ويثبت الثاني، فاختصاص المكان بـ (بَل) لهذا<sup>271</sup>.

وأقول:

في آية الأنبياء ورد سؤال إبراهيم عليه السلام عن معبودات قومه أولاً على صيغة التحقير، وثانياً على صيغة الإنكار عليهم، مبيّناً لهم علمه بسفاهتها ووضاعتها وأنها لا تصلح للعبادة: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿ [الأنبياء: 52]، فلم يجدوا جواباً إلا تعللهم بفعل آبائهم: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿ [الأنبياء: 53]، وهذا رد في العموم إلى العادة فحاء الجواب مباشراً لم يحتج معه إلى (بل). في حين أنه في سورة الشعراء أوهمهم أنه لا يعرف طبيعة هذه المعبودات فقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿ [الشعراء: 70] على صيغة الاستفهام الحقيقي من جهة، وعلى صيغة السخرية والاستهزاء والتحقير من جهة أخرى، ولكن إبراهيم أراد منهم التقرير فأقروا بذلك فقالوا: ﴿تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿ [الشعراء: 71]، فكان هذا الكلام منهم إلزاماً لهم وحجةً عليهم، وهذا الذي أراده إبراهيم عليه السلام حيث أردف بسؤالين: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ \* أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿ [الشعراء: 72 - 73]، أي حين أقررتم أنكم تعبدون أصناماً وتماثيل هل ترون منها قبولاً لدعائكم، أو سمعاً، أو ضرراً، أو نفعاً، فحادوا عن الجواب حيدة المنقطع بأن أضربوا عنه بـ (بل)، وحاءوا بجواب مخالف تماماً لذلك ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿ [الشعراء: 74]. والله أعلم.

الموضع الثالث:

قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿ [الأنبياء: 70].

وقال في سورة الصافات: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿ [الصافات: 98].

اختلاف وصف المفعول به في كل من الآيتين وهو من قبيل التشابه بالإبدال (إبدال كلمة بأخرى).

توجيه السياق:

قال النيسابوري (ت. 1472/850): "قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿ [الأنبياء: 70]، وفي الصافات: ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿ [الصافات: 98] لأن في هذه السورة كادهم إبراهيم لقوله: ﴿لَا كَيْدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴿ [الأنبياء: 57]، وكادوه لقوله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ﴿ [الأنبياء: 70]، فغلبهم إبراهيم لأنه كسر أصنامهم وسلّم من نارهم فكانوا هم (الأخسرين). وفي الصافات: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي

<sup>271</sup> الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 903/1 - 904.

الجحيم ﴿ [الصفات: 97] فَأَجَّجُوا نَارًا عَظِيمَةً وَبَنُوا بِنَاءً عَالِيًا، وَرَفَعُوهُ إِلَيْهِ، وَرَمَوْا بِهِ إِلَىٰ أَسْفَلَ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ وَجَعَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّافِلِينَ، وَفِي الْعَقَبِ فِي السَّافِلِينَ<sup>272</sup>.

وجاء في تفسير ابن عرفة (ت. 1400/803): "لما تقدمها: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ [الصفات: 97]، وهو أمر حَسِّيٌّ يقتضي العلو والارتفاع، قابله بنقيضه حَسًّا، فقال: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصفات: 98]، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 70]، فإن الكيد أمر معنوي فقابله بالمعنوي<sup>273</sup>.

الخلاصة: أقول: أما آية الأنبياء: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 70] فقد قامت القضية على مكايدة بين إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 57]، وبين قومه الذين أرادوا به كيدًا حيث قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ [الأنبياء: 70]، فكان كيد إبراهيم حقيقةً لأنه تَحَقَّقَ، وكان كيدهم إرادة لم تَحَقَّقْ، ومعلوم أن المنتصر في المكايدة يسمى فائزًا، والمنهزم يسمى خاسرًا، فكان كيد إبراهيم بتحطيم أصنامهم، وقد تحقق له ذلك وهذا أدى إلى غيظهم، أما كيدهم؛ فتمثل في إضرار نار عظيمة وظنوا أنه متحقق لا محالة، ولكن الله هو الذي أبطله بأنه وعلى الرغم من إلقاء إبراهيم في النار فإنها لم تحرقه، فكان هذا أغيظ لهم وأكيد، فلم يكونوا خاسرين فحسب بل كانوا هم الأخسرين.

وأما في سورة الصفات فلم تكن المسألة تتعلق بالكيد وإنما كانت تتعلق بالبنيان الذي يرتفع، فالفريقان بين ارتفاع وانخفاض ولذلك لما عَلَوْا ببنياهم وظنوا أنهم الأعلى وضعهم الله ورفع نبيهم فكانوا هم الأسفلين.

#### 4.2.4 المسألة الرابعة: دعاء إبراهيم "رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا"

قال تعالى في سورة البقرة حكاية عن دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: 126].

وقال في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: 35].

المتشابه الأول: في سورة البقرة جاء لفظ (بلد) نكرة ﴿بَلَدًا﴾، بينما ورد في سورة إبراهيم معرفًا بـ (ال). ونوعه: متشابه بالتعريف والتنكير.

<sup>272</sup> النيسابوري: غرائب القرآن و غرائب الفرقان، 34/5.

<sup>273</sup> ابن عرفة: محمد بن محمد بن عرفة، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2008م، 366/3.

## توجيه السياق:

يقول الإسكافي (ت. 1029/420) في درة التنزيل جوابًا عن هذا المتشابه: "إن الدعوة الأولى وقعت، ولم يكن المكان قد جعل بلدًا، فكأنه قال: رب اجعل هذا الوادي بلدًا آمنًا، لأن الله تعالى حكى عنه أنه قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: 37]... والجواب الثاني: أن تكون الدعوتان واقعيتين بعد ما صار المكان بلدًا، وإنما طلب من الله تعالى أن يجعله آمنًا"<sup>274</sup>.

وقال الزمخشري (ت. 1144/538): "فإن قلت: أي فرق بين قوله: ﴿اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: 126]، وبين قوله: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: 35]؟ قلت: قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني أن يخرج من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمان، كأنه قال: (هو بلد مخوف، فاجعله آمنًا واجنبني)"<sup>275</sup>.

**وأقول: في آية البقرة** جاءت كلمة (بلد) نكرة، وهي مفعول به ثان للفعل (اجْعَلْ)، والمفعول الأول هو اسم الإشارة (هذا)، والبلد: هو الموطن المأهول بالناس الممكن سكنه فمن هنا قوله تعالى: ﴿اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا﴾ [البقرة: 126]، أي إنه كان صحراء قاحلة وقد ترك فيه إبراهيم عليه السلام تركته التي هي زوجته وابنه، في وادٍ غير مأهول ليس فيه زرع ولا ضرع، فدعا ربه أن يحول هذا الوادي إلى مكان مأهول، ولم يكتفي بذلك بل طلب من ربه فضلًا عن أن يكون مأهولًا أن يؤمن من يسكنه، يجعله (آمنًا).

أما في آية إبراهيم فهو بعد أن جعل ابنه وزوجه في ذلك الوادي غير المأهول وتركهم فيه، ودعا دعوته الأولى، عاد فدعا دعوته الثانية: (اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ) المأهول (آمنًا) فجاء بالـ (بَلَدٍ) مُعْرِفَةً بالألف واللام العهدية، أي هذا البلد الذي كان صحراء قاحلة خاليًا من كل أسباب الحياة اجعله آمنًا، أي هو مسكون ولكن زد على سكنه الأمان حتى يؤمنه الناس من سائر الأقطار والأمصار، ففي آية البقرة أراد إبراهيم من ربه أن يجعل هذا المكان مؤهلًا للسكنى والأمان فحسب، حتى يطمئن على تركته فيه، وفي آية إبراهيم وقد تحقق الاستقرار في ذلك المكان أراد إبراهيم أن يكون (هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) حتى يؤمنه الناس فيصبح بذلك منارة للعالمين على مر العصور، وبذلك ورد كل على ما يناسب في موضعه والله تعالى أعلم.

## المتشابه الثاني:

اختلاف تعقيب الآية ما بعد لفظ (بلد).

<sup>274</sup> الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 1/282.

<sup>275</sup> الزمخشري: الكشاف، 2/557.

فقد قال تعالى في سورة البقرة حكاية عن دعاء إبراهيم: ﴿اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 126].

وقال في سورة إبراهيم: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلْنِي كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 35-36].

#### وجوابه:

إن اختلاف توقيت كل من الدعاءين كان سببًا لاختلاف التعقيب فيهما، ففي آية البقرة الدعاء كان الوادي غير مأهول حيث دعا إبراهيم بالرزق لمن سيسكن في هذا الوادي المؤمنين منهم فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 126]، فأجاب الله دعوته، ولكنه أشرك الكافرين في الرزق معه فقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 126]، لأن رزق المؤمن إعانة على طاعة الله، ورزق الكافر متاع في الدنيا، ثم اضطرار إلى عذاب الله.

أما في آية إبراهيم فكان الدعاء بعد أن أصبح المكان مأهولًا مسكونًا فدعا ربه أن يجنِّبه وولده عبادة الأوثان والأصنام التي كان عليها عموم الناس في زمانه لا سيَّما في جزيرة العرب.

#### 4.2.5 المسألة الخامسة: دخول الملائكة على إبراهيم عليه السلام وتبشيرهم إياه وثناء

#### الله عليه

#### مواضع المتشابه:

المتشابه الأول: قال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: 69].

وقال تعالى في سورة الذاريات: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: 26].

موضع المتشابه: وصف العجل في سورة هود بأنه حنيد ووصفه في سورة الذاريات بأنه سمين. ونوعه: متشابه بالإبدال (إبدال كلمة بأخرى).

وإذا أردنا أن نفهم سبب الاختلاف بحسب توجيه كل معنى وسياقه فنقول:

في آية هود كان الكلام عن البشرى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ [هود: 69] فالمبشّر بالخير يتخيّر للمبشّر أجنود الأنواع بصرف النظر عن حجمه، وكانوا قديماً يعدّون الشّيء على الحجارة من أطيب أنواع الشّيء، والعجل الحنيد هو العجل المشوي على الحجارة المحمّاة، قال الزمخشري (ت. 1144/538) في تفسيره لآية هود: "﴿حَنِيدٌ﴾ مشويٌّ بالرّضف<sup>276</sup> في أحدود. وقيل ﴿حَنِيدٌ﴾ يقطر دسمه، من حَنَدْتُ الفَرَسَ إذا أَلْقَيْتُ عليها الجِلَّ حتى تقطُر عَرَقًا"<sup>277</sup>، فكان من إكرام إبراهيم عليه السلام لضيوفه الذين جاؤوه بالبشرى أن قدّم لهم العجل على هذه الصورة. أما في آية الذاريات: فالمقبلون عليه هم ضيوف وصفهم الله بأنهم مُكْرَمُونَ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: 24] ولم تردّ البشرى في سياق الآيات إنما ورد وصف دخولهم وتسليمهم عليه فكان رد إبراهيم عليهم بالسلام ولكنه وصفهم بأنهم قوم منكرون ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: 25] فهذا ناسب أن يصف العجل بالسّمّن لأنه لم يكثرث بنوعية الطعام وإنما بكميته فقال: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: 26].

#### المتشابه الثاني:

- 1- قال تعالى في سورة التوبة في الثناء على إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114].
  - 2- وقال في سورة هود: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: 75].
- نوع المتشابه: متشابه بالتقديم والتأخير. حيث قدّم في التوبة وصف إبراهيم عليه السلام بأنه (أوّاه) على (حلِيم)، وأخّره في هود فقدّم فيها وصفه بـ (حلِيم). ومتشابه آخر وهو زيادة كلمة (مُنِيبٌ) في سورة هود وهو من قبيل المتشابه بالزيادة والنقصان.

#### توجيه السياق:

علّل الكرماني (ت. 1111/505) سبب الاختلاف في الموضعين السابقين بموافقة الفواصل فقال: "قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61]، وبعده ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90]، لموافقة الفواصل ومثله: ﴿لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: 75]. وفي التوبة: ﴿لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114] للروي في السورتين"<sup>278</sup>.

<sup>276</sup> جاء في لسان العرب: "الرّضفُ: الحجارة التي حُمِيت بالشمس أو النار" ابن منظور: لسان العرب، مادة: رضف، 121/9.

<sup>277</sup> الزمخشري: الكشاف، 410/2.

<sup>278</sup> الكرماني: أسرار التكرار، ص146.

وجاء في ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي (ت. 1308/708): "قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114]، وفي سورة هود: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: 75]. فتقدم في الأولى الوصف بـ (أَوَّاه) على (حَلِيم)، وتأخر في الثانية وتقدم فيها وصفه بـ (حليم). ووجه ذلك والله أعلم أن (الأَوَّاه): الكثير التأوه، فلمراد بالآية أن إبراهيم عليه السلام مع غلظة أبيه وقساوته حتى قال له: ﴿لَيْسَ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجَمَنَّكَ﴾ [مریم: 46]، وإبراهيم عليه السلام مع ذلك يتأوه تأسفاً وتحسراً على إباية أبيه عن إجابته واتباعه، مع تَلَطُّفِ إبراهيم عليه السلام .. وأعلمه تعالى بِعُذْرِ إبراهيم في استغفاره وأن ذلك كان عن موعدة تقدمت منه لأبيه، فتقدم وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه (أَوَّاه)، وذلك مناسب لما بَيَّنَّاه. أما آية هود فَمُنَزَّلَةٌ على ما ذَكَرَ سبحانه من مجادلته في قوم لوط، جرياً على ما وصفه سبحانه به من الحلم؛ فكان تقدم وصفه هنا بالحلم أنسب وأجری على ما بني عليه<sup>279</sup>.

وأقول: في آية التوبة كان السياق يتعلق باستثناء دعاء إبراهيم لأبيه الكافر، ولولا الموعدة التي وعده إياها بقوله في سورة الممتحنة: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: 4] لما دعا له، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: 114]، وبراءة الابن من الأب تجعل القلب منكسراً حزيناً متفجعاً، فاقترضى أن يكون الوصف (أَوَّاه) هو المتقدم. أما في سورة هود فحين جاءت الملائكة تُبَشِّرُ إبراهيم بالغلام وتخبره بهلاك قوم لوط أخذ يجادل الملائكة ويلتمس لقوم لوط الأعدار فنهاه الله عن ذلك بقوله: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ [هود: 76] فاقترضى السياق أن تتقدم صفة الحلم لما فيها من معنى الصبر على الخصم، وتأخر كلمة (أَوَّاه) لمعرفته بما يحل بالكافرين مما يفتح القلب وختمت الآية بصفة ثلاثة لم تذكر بآية التوبة وهي (مُنِيب) استجابة لأمر ربه بالإعراض عن مجادلة الملائكة. كما أن لمناسبة الفواصل دورها في هذا المتشابه كما بين الكرمانى (ت. 1111/505)، والله تعالى أعلم.

### المتشابه الثالث:

قال تعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: 53].  
وقال تعالى في الصافات: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 101].  
وفي الذاريات: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: 28].  
وهو متشابه بالإبدال (إبدال صفة بأخرى).

<sup>279</sup> الغرناطي: ملاك التأويل، 236/1.

## توجيه السياق:

وردت ﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: 28]، في الذاريات و﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: 53] في الحجر دلالة على إسحق والله أعلم، لأن معظم الأنبياء كانوا من ذريته، والنبوة أساسها العلم وإبراهيم عليه السلام كان بحاجة إلى من يتحمل عنه هذا العلم، لأنه خشى الموت لا سيما في بلاد فلسطين التي بقيت لمدة طويلة مهبط الوحي ومركز النبوة، ففي آية الحجر بعد أن ذكرت البشارة ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ \* قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 55 - 56] فالأب في هذا المقام حين يُبَشِّرُ بالغلام العليم يستشعر رحمة ربه، التي تحجزه عن الضلال والقنوط. وكذلك في سورة الذاريات كانت البشرية بالغلام العليم له ولزوجته التي تعجبت من كبر زوجها وعقمها فكان من تمام البشرية لهما أن يبشرا بغلام عليم أي ليس غلامًا عاديًا إنما غلام قد حوى العلم فهو قرّة عين لهما، لأن الوالدين أكثر ما يرجوانه من ابنهما أن يكون ذا علم حتى ينتفعا به في حياته وبعد مماته.

## أما في آية الصافات

فالمبشّر به هو إسماعيل عليه السلام وجاءت البشرية بأنه (غلامٌ حليمٌ) والحلم هو الصبر مع عظم العقل لأن الله أراد منه أن يجتاز عددًا من الاختبارات حتى يرتقي في مدارج الحلم؛ أولها الذبح وثانيها تغيير عتبة بيته كما في الحديث حين قال أبوه لامرأته: "قولي له يُعَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ"<sup>280</sup> أي يطلقها والثالث تثبيت عتبة بيته كما أمر والد إبراهيم عليه السلام زوجة ابنه الثانية أن يثبت عتبة بيته بقوله: "مُرِّيهِ يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ"<sup>281</sup> أي يمسكها والرابع تهيئته لعمارة الكعبة المشرفة فهذا كله يقتضي حلمًا وصبرًا عجيبين فلذلك قال: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 101]. والله تعالى أعلم.

<sup>280</sup> كما في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث: 3364، 142/4.

<sup>281</sup> المرجع السابق، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث: 3364، 142/4.

### 4.3. قصة عيسى عليه السلام

#### 4.3.1 المسألة الأولى: بشرى الملائكة لمريم عليها السلام

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 45 - 47].

وقال تعالى في سورة مريم: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا \* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 19 - 21].

مواضع المتشابه وأنواعه:

#### الموضع الأول:

في سورة آل عمران يوجد إثبات لكلمة (ربّ): ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ فيما حذف في آية مريم. وهذا متشابه بالإثبات والحذف.

وأقول في توجيه هذا المتشابه:

في آية آل عمران وَجَّهَتْ مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامَ الْخَطَابَ لِرَبِّهَا فَقَالَتْ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران: 47]، لأن الملائكة قالت لها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 45] فالبشارة من الله، وذكر فيها اسم ولدها المسيح فكان خطابها لربها: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران: 47]، أي كيف سألد مولودًا ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: 47].

بينما في آية مريم كانت البشارة من الملك فلاجل ذلك اقتصر على قولها: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾.

#### الموضع الثاني:

في سورة مريم على لسان مريم عليها السلام ذكر كلمة (غُلام)، وفي آل عمران قال: (وَلَدٌ). ونوعه: متشابه بالإبدال (إبدال كلمة بأخرى).

لمعرفة دلالة السياق في هذا الموضع يجب أن نعرف الفرق بين الغلام والولد فلفظ (ولد) في اللغة يطلق على الذكر والأنثى، بينما لفظ (الغلام) لا يطلق إلا على الذكر.

رأى الكرمانى (ت. 1111/505) وابن جماعة (ت. 1333/733) والسيوطى (ت. 1505/911) والأنصارى (ت. 1520/926) في توجيههم للمتشابه في الآيات السابقة أن في سورة آل عمران ذُكِرَ المسيح تقدّم فيها وهو ولدها، بينما في مريم تقدّم ذكر الغلام حيث قال: ﴿لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: 19] لأجل ذلك ورد كل لفظ بحسب ما ورد قبله<sup>282</sup>.

وأقول: أما استخدامها للفظ (وَلَدٌ) في سورة آل عمران ﴿رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران: 47]، دون لفظ (غلام) فلأنه لما كانت البشرية من الله ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 45] كان سؤالها سؤالاً مستأنفاً عن إمكان ولادة الولد أصلاً - بغض النظر عن كونه ذكراً أو أنثى - من غير أن يمسه بشرٌ أي لم تنطبق عليها الأسباب والشروط المعهودة للولادة (من الأبوين) فكأنها استبعدت إمكانية حصول مطلق الحمل والتكوين، ولذلك كان الجواب لها من الله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 47].

وأما في آية مريم: فالذي بشرها هو جبريل عليه السلام، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: 19] ولذلك خاطبته: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [مريم: 20] لأن البشرية كانت بغلام، فجوابها كان من قبيل المشاكلة اللفظية على المملِك.

### الموضع الثالث:

في سورة مريم توجد زيادة جملة: ﴿وَلَمْ أَكُ بَعْثِيًّا﴾، بينما حذفت في آل عمران. وهو متشابه بالتفصيل والإجمال.

وجوابه: لأنها تخاطب المملِك واصفة حالها، والمملِك لا يعلم كعلم الله عز وجل، أما في آية آل عمران فلم تذكر ذلك لأن الله يعلم طهرها.

### الموضع الرابع:

<sup>282</sup> ينظر: الكرمانى: أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن)، ص 89. ابن جماعة: كشف المعاني، ص 128. السيوطى: قطف الأزهار في كشف الأسرار، ص 593. الأنصارى: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص 87/1.

في قصة عيسى عليه السلام: في سورة آل عمران قال: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 47]. وفي قصة زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 40]. وهو متشابه باختلاف الفعل.

يجيب أبو حيان (ت. 1344/745) عن هذا المتشابه فيقول: "إن أمر زكريا داخل في الإمكان العادي الذي يُتَعَارَفُ وإن قَلَّ، وفي قصة مريم: ﴿يَخْلُقُ﴾، لأنه لا يُتَعَارَفُ مثله، وهو وجود ولد من غير والد، فهو إيجاد واختراع من غير سبب عادي، فلذلك جاء بلفظ: ﴿يَخْلُقُ﴾، الدال على هذا المعنى"<sup>283</sup>. إذاً فمسألة خلق عيسى عليه السلام أكثر عجباً وإبداعاً لذلك عبّر فيها بلفظ الخلق الدال على الإبداع والاختراع. والله تعالى أعلم.

### 4.3.2 المسألة الثانية: اختلاف الأحزاب في عيسى عليه السلام

قال تعالى في سورة مريم: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: 37].

وقال في سورة الزخرف: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: 65].

موضع المتشابه:

الموضع الأول: اختلاف الفعل الذي وصف فيه الأحزاب ففي مريم قال: ﴿كَفَرُوا﴾ بينما في الزخرف قال: ﴿ظَلَمُوا﴾.

ولفهم هذا الاختلاف وفق دلالة السياق وتوجيهه أقول:

إن الكفر أعظم وأخطر من الظلم وإن كان كل كافر ظالمًا لنفسه، وقوله سبحانه في سورة مريم: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [مريم: 37] الأحزاب: هي الفرق التي اختلفت في عيسى عليه السلام، فمنهم من يدعي أنه الله، ومنهم من يدعي أنه ابن الله، ومنهم من يقول هو ثالث ثلاثة. وهؤلاء الأحزاب جميعًا هم كفرون بنص القرآن حيث قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: 73]، وقال في سورة المائدة في آيتين بموضعين مختلفين: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17 - 72]، فلما جاءت في سورة مريم قصة عيسى مفصلة، وظهر صنيع قومه معه جليًا، حيث قالوا عنه أنه ابن الله فكفروا بذلك وظلموا أنفسهم فأخبر الله تعالى عنهم

<sup>283</sup> أبو حيان: البحر المحيط، 158/3.

بالوصف الذي يتضمن لفظ أكبر الذنوب، وهو الكفر<sup>284</sup> فقال عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مریم: 37].

### أما في الزخرف:

فقد جاءت القصة مُجَمَّلة وجاءت في سياق احتجاج كفار قريش على نبيهم به، مناصرين بذلك آهتهم المزعومة، حيث قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ \* وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: 57-58]. فلما أجمل فيها ما فصله في مریم "وصفهم بالوصف الذي يدل على أنهم حرّموا أنفسهم ما عُرضوا له من الثواب، وأوجبوا عليها أليم العذاب، فبذلك ظلموها"<sup>285</sup>. فناسبه لفظ (الظلم): ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الزخرف: 65]. والله تعالى أعلم.

وأما موضع المتشابه الثاني فهو: اختلاف تعقيب الآيتين في كل من السورتين (اختلاف وصف يوم القيامة) ففي مریم قال: ﴿مَنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وفي الزخرف: ﴿مَنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾. وجوابه أنه في سورة مریم لما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [مریم: 37] وضحت بذلك عظمة المشهد وهوله لأن الكافر مستحق له، والعذاب جزء منه، فقال في وصف هذا المشهد ﴿مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. أما في سورة الزخرف: فقله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الزخرف: 65]، ناسبه العذاب الأليم، لأن المشهد العظيم أعم من العذاب الأليم، كما أن الكفر أعم من الظلم. والله أعلم وعلمه أكمل وأحكم.

### 4.3.3 المسألة الثالثة: دعوة عيسى ليني إسرائيل للإيمان بالله

مواضع المتشابه:

#### الموضع الأول:

قال تعالى في سورة مریم على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [مریم: 36]، فعطف الآية على ما قبلها بواو النسق فيما جاءت آيتي آل عمران والزخرف بدون عطف ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [آل عمران: 51]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الزخرف: 64]... ونوعه: متشابه بالإثبات والحذف. (إثبات حرف العطف وحذفه).

توجيه السياق:

رأى ابن الزبير الغرناطي (ت. 1308/708) في ملاك التأويل في جوابه عن هذا المتشابه ما مختصره: أن آية مریم: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [مریم: 36] هذه الآية وهي من حكاية قول عيسى عليه

<sup>284</sup> ينظر: الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 885/1.

<sup>285</sup> الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 885/1.

السلام وهو في المهد جاءت معطوفةً على كلامه عليه السلام في الآيات قبلها: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَمَا يَجْعَلُنِي جَبَّارًا شَقِيًّا \* وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مریم: 31 - 33] وما توسط بين المعطوف والمعطوف عليه كلامٌ وهو قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ \* مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مریم: 34 - 35]، ناسب ذلك الإتيان بواو النسق حتى تدل على أنه كلام معطوف متصل غير منقطع ولا مستأنف<sup>286</sup>.

### وأقول:

إن عطف آية مریم بواو النسق ومجيء آيتي آل عمران والزخرف بدون عطف فلأن في آية آل عمران يخاطب عيسى عليه السلام قومه، وهو يدعوهم مبيِّناً نعم الله عز وجل عليه: ﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 50 - 51] فلم يحتج إلى حرف العطف، لأن الكلام متصل ببعضه ببعض، والقائل واحدٌ وهو متناسقٌ مفضٍ أولُهُ إلى آخره.

### أما في آية مریم:

فبعد أن قال عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مریم: 33] انتقلت الآيات إلى كلام جديد وهو وصفُ الله قولَ عيسى بأنه القول الحق الذي يجادل فيه النصراني: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مریم: 34]، وكذلك أن الله عز وجل لا ينبغي له أن يتخذ ولداً: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مریم: 35]، وهذا كله من كلام الله ثم جاء بعد ذلك كلام عيسى عليه السلام معطوفاً على كلامه السابق: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [مریم: 36] الآية، فهنا لزم دخول الواو لأن كلام عيسى قد فصل بينه بآيتين لا غنى عنهما في هذا السياق لبيان المراد من ذكر كلام عيسى، فاقتضى دخول الواو على الآية التالية: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [مریم: 36] لربطها بكلام عيسى عليه السلام السابق: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مریم: 33].

الموضع الثاني: زيادة ضمير الفصل (هو) في سورة الزخرف وخلوه في آيتي آل عمران ومریم. ونوعه: متشابه بالزيادة والنقصان. فانفردت كل آية من الآيات الثلاث بما وردت عليه مع اتحاد المقصد فيما أعطته كل واحدة منها.

<sup>286</sup> ينظر: الغرناطي: ملاك التأويل، 85/1 - 86.

## جوابه:

رأى الإسكافي (ت. 1029/420) والكرماني (ت. 1111/505) ما مختصره: أن سبب ورود الضمير المؤكّد (هُوَ) في آية الزخرف أنه في سورتَي آل عمران ومريم ذُكرت آيات كثيرة في شأن عيسى عليه السلام وابتداء أمره وخلقه ودلّت على أنه عبد من عباد الله وأن الله هو ربّه وهو الذي خلقه وأيدّه بمعجزات تدل على صدق نبوته فكانت هذه الأفعال التي ذُكرت في السياق صارفةً لهم إلى أنه تعالى ربّه فافتنى بما طال من الكلام ولم يُحتج إلى التأكيد.

بينما في سورة الزخرف لم توجد تلك الآيات الكثيرة التي تدل على أن الله تعالى هو ربه وأن عيسى عليه السلام عبده فحسن تأكيد الكلام بالضمير ليزيد لهم في نفي ما ادعوه من أنه ابن الله، وليؤكد لهم أنه عبد لله<sup>287</sup>.

وكان لابن الزبير الغرناطي (ت. 1308/708) رأي آخر مختلف، مختصره: أن زيادة الضمير (هو) في سورة الزخرف كان ضروريًا والداعي له ما تقدم في سياق الآيات قبله وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ \* وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ...﴾ [الزخرف: 57 - 58] يقصدون المسيح فجاء قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام في سياق الآيات اللاحقة مدعمًا بضمير التأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الزخرف: 64] ليناسب قول الكفار للرسول محمد عليه الصلاة والسلام ولم يرد في آية آل عمران ومريم مثل ما ورد في سورة الزخرف من ذكر آلهتهم فلم يحتج إلى المضير المؤكّد<sup>288</sup>.

وأقول: زيادة الضمير (هُوَ) في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الزخرف: 64] حيث دخل ضمير الفصل (هُوَ)، واستغني عن حرف العطف (الواو) في بداية الجملة، فهذا لتأكيد عبودية عيسى لربه، وأنه ليس ابنًا له وليس هو، لأن الكفار احتجوا به على نصره آلهتهم، فأراد الله أن يدحض حجتهم بقول عيسى عليه السلام نفسه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي﴾ [الزخرف: 64] أي لا أحد غيره ولا يشاركه في ربوبيته أحد. وفي الآيات الثلاث أمرٌ بعبادته سبحانه وأن عبادته هي الصراط المستقيم. والله أعلم.

<sup>287</sup> ينظر: الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 379/1 - 380. وينظر: الكرماني: أسرار التكرار، ص 91.

<sup>288</sup> ينظر: الغرناطي: ملاك التأويل، 86/1.

#### 4.3.4 المسألة الرابعة: معجزات عيسى عليه السلام

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 49].  
فجاء فعل الكون بالتذكير.

وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110].

مواضع المتشابه:

#### الموضع الأول:

في سورة آل عمران جاء فعل الكون بالتذكير وفي سورة المائدة جاء بالتأنيث. ونوعه: متشابه بالتذكير والتأنيث.

دلالة السياق:

يرى ابن الزبير الغرناطي (ت. 1308/708) أنه "قد ورد قبل ضمير آية آل عمران من قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ [آل عمران: 44] إلى قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: 49] نحوًا من عشرين ضميرًا من ضمائر المذكر فورد الضمير في قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ ضمير مذكر ليناسب ما تقدمه ويشاكل الأكثر الوارد قبله. بينما آية العقود فمفتحة بقوله تعالى: ﴿أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: 110] وخلقه الطائر ونفخه فيه من أجل نعمه تعالى عليه لتأييده بذلك، فناسب ذلك تأنيث الضمير ولم تكثر الضمائر هنا ككثرتها هناك، فجاء كل من الآيتين على أتم مناسبة<sup>289</sup>.

ورأى ابن جماعة (ت. 1333/733) في كشف المعاني أن "آية آل عمران من كلام المسيح عليه السلام في ابتداء تحديه بالمعجزة المذكورة ولم تكن صورة بعد فحسن التذكير والإفراد. وآية المائدة من كلام الله تعالى له يوم القيامة معددا نعمه عليه بعد ما مضت وكان قد اتفق ذلك منه مرات، فحسن التأنيث لجماعة ما صوره من ذلك ونفخ فيه"<sup>290</sup>.

ورأى زكريا الأنصاري (ت. 1520/926) أن هذا الاختلاف نوع من التفنن جرياً على عادة العرب في تفننهم في الكلام. وأنه خصَّ ما في آل عمران بتوحيد الضمير مذكراً، وما في المائدة بجمعه مؤنثاً لأنَّ ما

<sup>289</sup> ينظر: الغرناطي: ملاك التأويل، 84/1.

<sup>290</sup> ينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، 128 – 129.

في آل عمران إخباراً من عيسى قبل الفعل فوحّده، وما في المائدة خطاب من الله له في القيامة، وقد سبق من عيسى الفعل مرّاتٍ فجمعه<sup>291</sup>.

**وأقول:** حين قال في السورتين: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ فإن هذه جملة مكونة من مضاف وهو (هَيْئَةٌ) ومضاف إليه وهو (الطير) وفي هذه الحالة في اللغة العربية يجوز التذكير والتأنيث لكلمة (هَيْئَةٌ) لأن المضاف مؤنث والمضاف إليه مذكر وبعبارة أخرى يجوز تأنيثها لأنها مؤنثة ويجوز تذكيرها لأنها مضافة إلى مذكر ولكل وجه دلالة مختلفة.

وفي سورة آل عمران كان الكلام على لسان سيدنا عيسى عليه السلام فكان الاهتمام بعموم الطير فذكر.

أما في سورة المائدة فالخطاب من الله عز وجل فحاء أكثر تخصيصاً وأكثر عمقاً ونبّه الله عز وجل على أمر مهم وهو أن المخلوق الذي سيخرج بعد النفخ مطابقٌ تمامًا للهَيْئَةِ فَأَنْتَ لِنَبِيهِ عَلَى تَمَامِ الْمَطَابَقَةِ التي يناسبها التأنيث لأنه يتكلم عن الهَيْئَةِ والهَيْئَةُ مؤنث. والله تعالى أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿يَا ذُنِ اللّٰهِ﴾ مرتين في آية آل عمران مضافاً إلى الظاهر وهو لفظ الجلالة، وفي سورة المائدة قال: ﴿يَا ذُنِي﴾ أربع مراتٍ مضافاً إلى ضميره سبحانه وتعالى. ونوعه: متشابه بالإجمال والتفصيل. أجمل فقال: ﴿يَا ذُنِي﴾، وفصّل فقال: ﴿يَا ذُنِ اللّٰهِ﴾. **دلالة السياق:**

رأى الكرمانى (ت. 1111/505) والسيوطى (ت. 1505/911) وزكريا الأنصارى (ت. 1520/926) أن سبب ورود قوله تعالى في آل عمران ﴿يَا ذُنِ اللّٰهِ﴾ [آل عمران: 49] وفي المائدة ﴿يَا ذُنِي﴾ [المائدة: 110] لأن الذي في آل عمران هو كلام عيسى عليه السلام فالأفعال التي ذكرت في الآية ما يتصور منها أن يكون من فعل البشر وبمقدورهم الإتيان بها أضافها إلى نفسه وهي الخلق الذي معناه التقدير، والنفخ الذي هو إخراج الريح من الفم، وما يتصور إضافته إلى الله تعالى أضافه إليه وهو قوله: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذُنِ اللّٰهِ وَأُبْرِيءُ الأَكْمَمَةَ والأَبْرَصَ﴾ [آل عمران: 49] فإن خلق الطير وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى هي من أفعال الله عز وجل فأضافها إليه.

وما ورد في المائدة فهو من كلام الله سبحانه وتعالى فأضاف جميع ذلك إلى صنعه إظهاراً لعجز البشر، ولأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى. وانتقد الخطيب الإسكافي (ت. 1029/420) هذا الرأي فرأى أن

<sup>291</sup> ينظر: الأنصارى: فتح الرحمن، 1/89.

﴿يَاذُنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 49] تعود إلى جميع الأفعال التي ذكرت قبلها وهذا ما رجحه السيوطي (ت).  
1505/911) أيضًا<sup>292</sup>.

ورأى ابن الزبير الغرناطي (ت. 1308/708) أن القصدين في الآيتين مختلفين ولما اختلف القصدان اختلف التعبير عنهما وبيان ذلك أن آية آل عمران فيها إخبار وبشارة لمريم عليها السلام بالمزايا والخصائص التي اختص الله تعالى بها عيسى عليه السلام، وكذلك فيها تعريف لبني إسرائيل برسالة عيسى وتحديداً بمعجزاته وتبرئاً من دعوى انفراد بقدرة في مقاله: ﴿أَيُّ أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذُنُ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى يَأْذُنُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 49] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾ [آل عمران: 49] إلى ما بعده ولم تتضمن هذه الآية غير البشارة والإعلام.

وأما آية المائة: فقصد بها غير هذا حيث أنها بُنيت على توبيخ النصارى وتعنيفهم في مقالهم في عيسى عليه السلام، فوردت متضمنة عدّه سبحانه إنعامه على نبيه عيسى عليه السلام على طريقة تجاري العتب وليس بعتب،... فأعلم الله سبحانه وتعالى أن تلك الآيات بإذنه وأكد ذلك تأكيداً يرفع توهم حول أو قوة لغير الله سبحانه أو استبداد ممن ظنه ونزّه نبيه عيسى عليه السلام عن نسبة شيء من ذلك لنفسه مستقلاً بإيجاده أو ادعاء فعل شيء إلا بقدرة ربه سبحانه وإذنه وبرأه من شنيع مقالتهم. ويؤيد هذا ويعضده ما جاء في الآيات التي بعدها وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَلَمْ أَقُلْ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ [المائدة: 116] الآيات، فهذا توبيخ واضح وتقريع صريح للنصارى والمقصود منه جواب عيسى عليه السلام بقوله في إخبار الله سبحانه عنه: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ [المائدة: 116] فافتتح بتزيه ربه ثم نفى عن نفسه ما نسبوا إليه وأتبع بالتبري والتسليم لربه فقال: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: 116] فآية آل عمران بشارة وإخبار لمريم، وآية المائة واردة فيما يقوله سبحانه لعيسى عليه السلام توبيخاً للنصارى فلما اختلف القصدان اختلفت العبارتان<sup>293</sup>.

وأقول: في آية آل عمران: وردت ﴿يَاذُنِ اللَّهِ﴾ مرتين في قوله سبحانه: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذُنُ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى يَأْذُنُ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 49] فصدُرُ الآية: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ

<sup>292</sup> ينظر: الكرمانى: أسرار التكرار، ص90، السيوطي: قطف الأزهار، ص594 - 595، الأنصاري: فتح الرحمن،

90/1. الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 375/1 وما بعدها.

<sup>293</sup> ينظر: الغرناطي: ملاك التأويل، 84/1 - 85.

مِنْ رَبِّكُمْ ﴿﴾، و(الآية) هنا: هي المعجزة التي يؤيدُ بها النبي من الله عز وجل، فهذه العبارة توحى بأن كل ما سيقوله عيسى عليه السلام إنما هو من عند الله فلم يُحتج إلى الإكثار من قوله: (بِإِذْنِ اللَّهِ) فقد وردت مرتين على سبيل الإجمال، فكل مرة منهما تستوعب ما قبلها من المعجزات، فالأولى هي بعد قوله: ﴿أَبِي أَخْلَقَ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 49] والثانية بعد قوله: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 49] فقد ذكرها حينما كانت المعجزة كبيرة وذلك حين خلق الطير ونفخ الروح فيه وإحياء الموتى فهذه كلها معجزات لا تكون إلا من الله عز وجل، أما معجزة إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون فهذه معجزات أقلُّ عِظَمًا من تلك المعجزات فلم يردفها بقوله: (بِإِذْنِ اللَّهِ) إيجازًا.

أما في سورة المائدة: فلما كان المتكلم بهذه المعجزات هو الله سبحانه وتعالى وأراد أن يظهر فضله على بني إسرائيل بإرسال عيسى عليه السلام، وكذلك أراد أن يظهر فضله على عيسى عليه السلام خصوصًا بأن يجعل كل معجزة مستقلة بإذن الله فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَثُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110] وهذه كلها معجزات دامغات لا مجال للتصرف البشري فيها، ولما انتقل الحديث إلى الكلام على كفَّ بني إسرائيل عن عيسى بعد أن جاءهم بالبينات لم يحتج إلى قوله: (بِإِذْنِي) ﴿وَإِذْ كَفَفْتُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 110]، والله أعلم.

#### 4.3.5 المسألة الخامسة: إيمان الحواريين ونصرتهم لعيسى عليه السلام

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَآشَهِدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، فحذف النون من (أَنَا).

وقال في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآشَهِدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111]، بإثبات النون.

مواضع المتشابه:

الموضع الأول: إثبات الجار والمجرور (بالله) في سورة آل عمران ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ وحذف الجار والمجرور في سورة المائدة ﴿آمَنَّا﴾. ونوعه: متشابه بالإثبات والحذف.

وجوابه: أنه في آية آل عمران سبقها الجملة الخبرية: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ حيث السؤال قبله كان: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ فناسب الجواب أن يأتي بالجار والمجرور (بالله) ليوافق السؤال ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ فيكون الجواب ﴿أَمْنَا بِاللَّهِ﴾.

أما في سورة المائدة: فجاء الأمر ﴿آمِنُوا بِي﴾ ولم يذكر اسم الله عز وجل فكان الجواب مناسباً للفظة الإيمان ومركزاً على الإيمان فكان الجواب (آمنا) بدون لفظة الجلالة. والله تعالى أعلم.

### الموضع الثاني:

في سورة آل عمران: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، حذف النون من (أنا). وفي سورة المائدة: ﴿آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111]، بإثبات النون. ونوعه: متشابه بالحذف والإثبات (حذف حرف وإثباته).

### توجيه السياق:

قال الخطيب الإسكافي (ت. 1029/420) صاحب درة التنزيل: "للسائل أن يسأل فيقول: لم أحص ما في سورة آل عمران بـ (أنا)، وما في سورة المائدة بـ (أنا)، والحرفان سواء، والتخفيف جائز في الموضعين كما يجوز الإتيان به على الأصل فيهما؟

والجواب أن يقال: إن الذي في سورة المائدة جاء على الأصل غير مخفف بالحذف، لأنه أول كلام الحوارين في هذا المعنى، ألا تراه خيراً عن الله تعالى أنه قال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111]، والذي في سورة آل عمران حكاية عن عيسى عليه السلام أنه ساهم عمّا أقروا به لله تعالى، فقال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فكان ذلك منهم إقراراً ثانياً لرسوله عليه السلام بمثل ما أقروا به لله تعالى، والثاني يختار فيه من التخفيف ما لا يختار في الأول، لأن الأول قد وفي العبارة حقها، والثانية معتمدة على ما قبلها، وهي مكررة، والعرب تستثقل المعاد ما لا تستثقل غيره، فاختير في سورة آل عمران ما لم يختار في سورة المائدة لذلك<sup>294</sup>.

وقال ابن جماعة (ت. 1333/733) في كشف المعاني: "قوله تعالى: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، وفي المائدة: ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111]؟. جوابه: أن آية المائدة في خطاب الله تعالى لهم أولاً، وفي سياق تعدد نعمه عليهم أولاً، فناسب سياقه تأكيد انقيادهم إليه أولاً عند إيجائه إليهم. وآية آل عمران في خطابهم المسيح لا في سياق تعدد النعم فاكتفي ثانياً بـ (أنا) لحصول المقصود<sup>295</sup>.

<sup>294</sup> الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، 384/1 - 385.

<sup>295</sup> ابن جماعة: كشف المعاني، ص 130.

وقال صاحب ملاك التأويل: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، وفي سورة المائدة: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111]. فحذفت النون من (أنا) في آية آل عمران تخفيفاً وثبتت في آية المائدة فقيلاً: (أنتنا) مع أن التخفيف بالحذف جائز فيهما والإثبات جائز وهو الأصل فللسائل أن يسأل عن وجه تخصيص كل من الموضعين بما ورد فيه؟

والجواب عن ذلك والله أعلم أن آية المائدة لما ورد فيها التفصيل فيما يجب الإيمان به وذلك قوله: ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: 111] فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوفاهما ناسب ذلك ورود (أنا) على أوفي الحالين وهو الورد على الأصل، ولما لم يقع إفصاح بهذا التفصيل في آية آل عمران حين قال تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 52] فلم يقع هنا (وبرسوله) إيجازاً للعلم به، وشهادة السياق ناسب هذا الإيجاز كما ناسب في آية المائدة الإتمام فقيلاً هنا: ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، وجاء كل على ما يجب ولو قدر ورود العكس لما ناسب والله سبحانه أعلم بما أراد<sup>296</sup>.

ومثل السابقين قال السيوطي (ت. 1505/911)<sup>297</sup> والأنصاري (ت. 1520/926)<sup>298</sup>.

وأقول: جاء الكلام في آية المائدة بأن الله أوحى إلى الحواريين أن يؤمنوا به وبرسوله على صيغة الأمر، فكان كلام الحواريين خطاباً لله مباشرة: ﴿قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111]، أي (واشهد يا ربنا بأننا مسلمون). وفي مقام المناجاة مع الله عز وجل فإن كلام المناجي يكثر فيه الإسهاب والإطناب وهذا كان حال الحواريين مع الله عز وجل فناسب المقام الإطناب، فلم يكن هناك حذف للنون.

أما في سورة آل عمران فكان سؤال عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52]، فجاء الجواب من الحواريين لعيسى: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52]، (واشهد يا عيسى بأننا مسلمون) فهنا حُذِفَ من السياق لفظ (ورسوله) لأن عيسى طلب النصرة لنفسه، وعلى من ينصره أن يتبني وجه الله فقال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52]، فكان مقتضى الجواب أن يكون: (نحن أنصارك إلى الله) ولكنه حذف هذا حتى لا يكون تكرار في السياق فقالوا: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52].

<sup>296</sup> الغرناطي: ملاك التأويل، 87/1.

<sup>297</sup> ينظر: السيوطي: قطف الأزهار، ص 597.

<sup>298</sup> ينظر: الأنصاري: فتح الرحمن 90/1.

[52]، فلزم من ذلك حذف النون، لأن التخفيف من التكرار يناسبه التخفيف في عموم السياق. والله تعالى أعلم.



## الخاتمة

تَبَيَّنَ لنا أن القرآن الكريم فيه الكثير من التنوع في طرح القصص القرآنية، إذ تختلف بعض التفاصيل في القصة الواحدة من سورة إلى أخرى لغاياتٍ بلاغيةٍ وتشويقيةٍ تجذب المتلقي والقارئ، وهذا ما تشرحه دراسات المتشابه القرآني من خلال توجيه النصوص أدبيًا، والغوص في أعماق الآيات، والتركيز على الألفاظ المتشابهة والألفاظ المختلفة في سياقاتها في سور متعددة للقصة الواحدة في القرآن الكريم.

وتَبَيَّنَ في الدراسة أنَّ هناك أمورًا أدبيةً تتعلَّق بدراسة المتشابه لتفسِّره وتحاول فهمه، منها دراسة السياق ودراسة القرائن وبُنية النصِّ والسَّابق واللاحق.

وتَبَيَّنَ لنا أن دراسة المتشابه تعتمد على النظر والتحليل والمقارنة بين الآيات في السُّور المختلفة للقصة الواحدة، ولذلك يمكن للقارئ اليقظ مُتَّفِدَ الدَّهْنِ أن يضيف على هذه الدِّراسَات إذا كان نبيها ذا رؤيةٍ مُتَبَصِّرَةٍ وَعِنْدَهُ القدرة على التَّحْلِيلِ، وحينها يستطيع أن يُوجِّه النَّصَّ وَيُوجِّهَ المتشابهة توجيهًا صحيحًا. وخلص البحث إلى نتائج متعددة لعل من أهمها ما يلي:

1- ظَهَرَ لنا أن دراسة المتشابه اللفظي تحتاج إلى تأمُّلٍ وتفكُّرٍ وعمُقٍ في البحث، وزيادة إمعان في النَّظَرِ بين الآيات مع دراسة السَّابق واللاحق في كُلِّ آية متشابهة حتى نَعْرِفَ السِّرَّ فيه، لذلك فهو علم صعب المنال شاقٌّ ولكنه في الوقت نفسه مُتَمِّعٌ ومُفِيدٌ.

2- تَبَيَّنَ لنا أن الآيات المتشابهات تحبِّي في طياتها أسرارًا عجيبة وحكماً عظيمة ما إن اجتهدنا في معرفتها حتى زادتنا يقينًا في عظمة إعجاز هذا القرآن وعُلُوِّ شأنه ورفعة قدره ومكانته.

3- تَبَيَّنَ لنا أن للسياق أهمية كبيرة في التفسير فدلالة السياق تفيد في فهم المعنى الذي يقصده القرآن وتزيل اللبس أو الإشكال الحاصل في بعض الألفاظ، وقد كان للسياق اعتبار في تفسير النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين.

4- تَبَيَّنَ لنا أن للسياق القرآني أنواعًا متعددة هي: سياق القرآن وسياق السورة وسياق المقطع وسياق الآية، وعرفنا أن دراسة المتشابه اللفظي تأتي على كل تلك الأنواع ولا سيما سياق المقطع وسياق السورة. والذي يُحِبُّ أن يغوصَ في دراسة المتشابه ينبغي عليه أن يقف عند اللفظة ضمن السياق والقرينة التي تشرح المعنى المراد بتلك اللفظة.

5- إن الاختلاف في سرد القصة الواحدة في سُورٍ متعددة سواءً كان ذلك تقديمًا وتأخيرًا، أو حذفًا وإثباتًا، أو اختلاف الفعل... سببه الأول السياق. لذلك يجب مراعاة مقتضى حال الخطاب وفهم السياق.

6- إن القصص القرآني في ظل دراسة المتشابه تُفهم بشكل أوضح وأكثر عمقًا وذلك بسبب العَوَصِ في سياق الآيات واختلافاتها والمقارنة مع مثيلاتها في سور أخرى. وكأننا في كل سورة ندرس القصة من جانب مختلف بسبب اختلاف كلمة أو فعل أو حرف أو ضمير... ويزداد الوضوح من خلال تسليط الضوء على جانب جديد في القصة.

7- التكرار في القرآن لم يأت لغرض التكرار فحسب؛ بل هو باب مهم من أبواب البلاغة يؤدي فكرةً ويخدم غرضين في آنٍ واحدٍ؛ غرضًا فنيًا يتمثل في التصوير والتفنن في العرض والتنوع في الأداء، وغرضًا نفسيًا له تأثيرٌ واسعٌ في النفوس.

8- تبين أن للقصة القرآنية خصائص لا توجد في فن آخر وهي الإيجاز ووحدة الغاية وتنوع طريقة العرض وبراعة الاستهلال وجمال التصوير وتنوع وسائل ربط المشاهد.

هذا والفضل لله أولاً وأخيراً، فله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن الجميل، وإن أصبتُ فبتوفيق من الله وإكرام وإحسان، وإن أخطأتُ فمِئِّي ومن نفسي ومن تقصيري ومن الشيطان.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا

تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

والحمد لله رب العالمين.

## 299 ثبت المصادر والمراجع

- ابن برد: الديوان، أبو معاذ، بشار بن برد (ت. 784/168)، جمع وشرح وتعليق: محمد الطاهر ابن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة. د.ط، د.ت.
- ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت. 1201/597)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.
- ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت. 1308/708)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.
- ابن المنادي: متشابه القرآن العظيم: أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن أبي داود المنادي (ت. 947/336)، تحقيق: عبد الله بن محمد الغنيمان، ط1، 1408هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية.
- ابن النديم: الفهرست: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت. 1046/438)، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2، 1417هـ - 1997م.
- ابن جزى: التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (ت. 1340/741)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.
- ابن جماعة: كشف المعاني في المتشابه من المثاني: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت. 1333/733)، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط1، 1410هـ - 1990م.
- ابن جنبي: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت. 1002/392)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، د.ت.

<sup>299</sup> هذا ثبت مرتب حسب كنية أو لقب المؤلف ووفق تسلسل الأحرف الهجائية.

- ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت. 939/327) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.
- ابن حبان: صحيح ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت. 965/354)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
- الخنساء: ديوان الخنساء: تماضر بنت عمرو السلمية، شرحه وضبط نصوصه: د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن دريد: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت. 933/321)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
- ابن دقيق العيد: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: محمد بن علي بن وهب بن مطيع المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد (ت. 1302/702)، مطبعة السنة المحمدية، د. ط، د.ت.
- ابن دقيق العيد: شرح الإمام بأحاديث الأحكام: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت. 1302/702)، تحقيق: محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، سوريا، ط2، 1430هـ - 2009م.
- ابن سلام: فضائل القرآن: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت. 839/224)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م.
- ابن عاشور: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت. 1973/1393)، الدار التونسية، تونس، 1984هـ.
- ابن عرفة: تفسير ابن عرفة: محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت. 1400/803)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2008م.

- ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
- ابن فارس القزويني: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت. 1005/395)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت. 1350/751)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.
- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت. 1372/774)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ - 1999م.
- ابن منظور: لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت. 1311/711)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- أبو البقاء: الكليات: أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت. 1683/1094)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
- أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت. 982/898)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- أبو حيان: البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت. 1344/745)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت. 1005/395)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- الأزهري: تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت. 980/370)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

- الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، (ت. 1029/420)، تحقيق: د. محمد مصطفى آيدن، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ط1، 1422هـ - 2001م.
- الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت. 1108/502)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق - بيروت، ط1، 1412هـ - 1991م.
- الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت. 1854/1270)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (ت. 1520/926)، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.
- باحويرث: أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني: تهاني باحويرث، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، 1428هـ - 2007م.
- البغا: الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب - دار العلوم الإنسانية - دمشق، ط2، 1418هـ - 1998م.
- البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت. 1122/516)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.
- البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت. 1480/885)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- البوطي: من روائع القرآن: محمد سعيد رمضان البوطي (ت. 2013/1434)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ - 1999م.

- **البيضاوي:** أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
- **الترمذي:** سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت. 892/279)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ - 1975م.
- **ابن تيمية:** مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ت. 1328/728)، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، طبعة عام: 1490هـ - 1980م.
- **الثعلبي:** الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت. 1035/427)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ - 2002م.
- **الجاحظ:** البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب (ت. 869/255)، دار الهلال، بيروت، 1423هـ.
- **جبل:** في علم الدلالة - دراسة في شرح الأنباري للمفضليات -، عبد الكريم محمد حسن جبل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر، 1997م.
- **الجرجاني:** دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت. 1078/471)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م.
- **جغيم:** طرق الكشف عن مقاصد الشارع: الدكتور نعمان جغيم، دار النفائس، الأردن، ط1، 1435هـ - 2014م.
- **جلو:** أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم: الحسين جلو، مؤسسة الرسالة - بيروت، دار العلوم الإنسانية - دمشق، ط1، 1414هـ - 1994م.
- **ابن الجوزي:** نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت. 1201/597)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.

- ابن الجوزي: فنون الأفتان في عيون علوم القرآن: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت. 1201/597)، دار البشائر، بيروت - لبنان، ط1، 1408هـ - 1987م.
- الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت. 1003/393)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
- حبنكة: قواعد التدبر الأمثل: د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت. 2004/1927)، دار القلم، دمشق، ط1، 1400هـ - 1980م.
- حمادي: المنهج الأصولي في فقه الخطاب، إدريس حمادي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.
- الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن (ت. 1340/741)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- الخطابي: بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب (ت. 998/388)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.
- الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ - 1975م.
- خليل: العربية وعلم اللغة الحديث: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، 2006م.
- دبور: أسس بناء القصة من القرآن الكريم (رسالة دكتوراة): محمد دبور، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية، قسم الأدب والنقد، 1417هـ - 1996م.
- دراز: النبأ العظيم: محمد بن عبد الله دراز (ت. 1958/1377)، دار القلم، دمشق، طبعة عام 1426هـ - 2005م.
- الدقور: اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني (رسالة دكتوراة)، سليمان محمد علي الدقور، كلية الشريعة - جامعة اليرموك، إربد - الأردن، 1426هـ - 2005م.

- **دُوَزي:** تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوَزي (ت. 1883/1300)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمّد سليم النعيمي وجمال الحياط، وزارة الثقافة والإعلام- الجمهورية العراقية، ط1، من 1979 - 2000م.
- **الذهبي:** التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت. 1978/1398)، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **الرازي:** مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت. 1209/606)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- **الراغب:** وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام الراغب، دار فصلت، حلب، ط1، 1422هـ - 2001م.
- **رشيد رضا:** تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا (ت. 1935/1354)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- **رضا:** معجم متن اللغة: أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1380هـ - 1960م.
- **رضوان:** القصة القرآنية: فتحي رضوان، دار الهلال، القاهرة، 1978م.
- **الزبيدي:** تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزبيدي (ت. 1790/1205)، دار الهداية، د.ط، د.ت.
- **الزركشي:** البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت. 1392/794)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376هـ - 1957م، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي، مصر، د.ط، د.ت.
- **الزمخشري:** الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، جار الله (ت. 1144/538)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- **الزمخشري:** أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت. 1144/538)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.

- **السامرائي:** التعبير القرآني: فاضل السامرائي، دار عمار، عمّان - الأردن، ط4، 1427هـ - 2006م،
- **السجلماسي:** المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع: أبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي (ت. حوالي 1305/704)، تحقيق: علاء الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1401هـ - 1980م.
- **السرخسي:** أصول السرخسي: أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت. 1097/490)، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ - 1993م.
- **السكاكي:** مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت. 1229/626)، تحقيق: نعيم زرزورة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ - 1987م.
- **السمرقندي:** بحر العلوم: أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت. 985/375)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م.
- **السيوطي:** الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت. 1505/911)، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974م.
- **السيوطي:** قطف الأزهار في كشف الأسرار: جلال الدين السيوطي (ت. 1505/911)، تحقيق: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، إدارة الشؤون الإسلامية- الدوحة، ط1، 1414هـ - 1994م.
- **الشاطبي:** الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت. 1388/790)، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ - 1997م.
- **الشافعي:** الرسالة: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت. 820/204)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط1، 1358هـ - 1940م.

- **الشتوي:** دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى (رسالة ماجستير): فهد الشتوي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، 1426هـ - 2005م.
- **الشنقيطي:** أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت. 1393/1973)، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1415هـ - 1995م.
- **الشهري:** استراتيجيات الخطاب: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004م.
- **الصابوني:** صفوة التفاسير: محمد علي، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1417هـ - 1997م.
- **الطبري:** جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت. 310/923)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م.
- **عباس:** قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس، دار النفائس، عمّان - الأردن، ط3، 1430هـ - 2010م.
- **عبد التواب:** الصورة الأدبية في القرآن الكريم: صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية، لونغمان - القاهرة، ط1، 1995م.
- **عبد اللطيف:** النحو والدلالة: محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420 - 2000م.
- **عتر:** القرآن الكريم والدراسات الأدبية: د. نور الدين عتر، جامعة دمشق، كلية الشريعة، 1988م.
- **العز بن عبد السلام:** الإمام في بيان أدلة الأحكام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء (ت. 660/1262)، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م.
- **علوش:** معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: د سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م.

- **علي: المعنى وظلال المعنى:** محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007م.
- **عمر: علم الدلالة:** د.أحمد المختار عمر (ت. 2003/1424)، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.
- **عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة:** د أحمد المختار عمر (ت. 2003/1424)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ - 2008م.
- **فتحي: معجم المصطلحات الأدبية:** د.إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين، دار التعااضدية العمالية، صفاقس - تونس، 1986م.
- **الفراهيدي: العين:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت. 786/170)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت. 1414/817)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط8، 1426هـ - 2005م.**
- **القاسم: دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير (رسالة ماجستير)، د. عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، نوقشت بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1999م.**
- **قدور: مبادئ اللسانيات العامة، أحمد محمد قدور، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1427هـ - 2006م.**
- **القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني (ت. 1285/684)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981م.**
- **القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت. 1273/671)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.**

- **قطب:** في ظلال القرآن، سيد قطب (ت. 1966/1385)، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ - 2003م.
- **قطب:** التصوير الفني في القرآن، سيد قطب (ت. 1966/1385)، دار الشروق، القاهرة، ط16، 1423هـ - 2002م.
- **الكرماني:** أسرار التكرار في القرآن المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان): محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، (ت. 1111/505)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، د.ط، د.ت.
- **لاينز:** اللغة والسياق والمعنى: جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط1، 1987م.
- **مؤمن:** اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط2، 2005م.
- **مسلم:** صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت. 875/261)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- **مشاهرة:** التناسب القرآني عند الإمام البقاعي، مشهور مشاهرة، دراسة بلاغية، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 1422هـ - 2001م.
- **مصطفى:** المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، د.ط، د.ت.
- **المقري:** الناسخ والمنسوخ: أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (ت. 1019/410)، تحقيق: زهير الشاويش - محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1404هـ.
- **النَّحَّاس:** إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت. 949/338)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.

- **النَّحَّاسُ**: الناسخ والمنسوخ: أبو جعفر النَّحَّاسُ أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت. 949/338)، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1408هـ.
- **النسفي**: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت. 1310/710)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م،
- **النسيابوري**: غرائب القرآن و رغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النسيابوري (ت. 1446/850)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ.
- **نقرة**: سيكولوجية القصة في القرآن: التهامي نقرة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1974م.
- **نهر**: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: هادي نهر، عالم الكتب الحديث، دار جدارا، إربد - الأردن، ط1، 1429هـ-2008م.
- **وهبة**: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
- DEMİR, Ömer, ACAR, Mustafa, **Sosyal Bilimler Sözlüğü**, (Ankara: Vadi Yayınları, 1997).
- TİYEK: Fatih, **KUR'AN'I ANLAMADA BAĞLAMIN ROLÜ VE MEALLERDEKİ BAĞLAMSAK SORUNLAR**, Doktora Tezi, ERCİYES ÜNİVERSİTESİ, Kayseri, 2014.
- Ünver, Mustafa, **TEFSİRİN TEMEL BİR İLKESİ OLARAK SİYAKA RİAYET ELMALILI TEFİRİ ÖRNEĞİ-**, Tefsir Araştırmaları Dergisi, Sayı: 1, 2017.
- ŞENGÜL, İdris. **Kıssa**. Diyanet İslam Ansiklopedisi içinde, Ankara: TDV Yayınları.